

لا يَظَلِّمُ دينَكَ^(١)، وَوَلَّ^(٢) أَهْلَ الْيَتِيمَاتِ وَالشَّرَفِ، تَسْتَصْلِحُ بِهِمْ عَشَائِرَهُمْ، حَتَّى يَكُونَ النَّاسُ جَمَاعَةً، فَإِنْ بَعَضَ مَا يَكْرَهُ النَّاسُ - مَا لَمْ يَتَعَدَّ الْحَقَّ، وَكَانَتْ عَوَاقِبُهُ تَوْدَى إِلَى ظَهْوَرِ الْعَدْلِ، وَعَزَّ الدِّينَ - خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَحِبُّهُ النَّاسُ، إِذَا كَانَتْ عَوَاقِبُهُ تَدْعُو إِلَى ظَهْوَرِ الْجَوْرِ، وَذُلُّ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَزُّ الْفَاجِرِينَ، وَاقْتِدَابُ مَا جَاءَ عَنْ أَعْمَةِ الْعَدْلِ، فَقَدْ جَاءَ عَنْهُمْ: «إِنَّهُ لَا يَصْلُحُ الْكَذِبُ إِلَّا فِي حَرْبٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ^(٣)» وَلَكَ فِي ذَلِكَ سَعَةِ، إِذَا كُنْتَ مُحَارِبًا، مَا لَمْ تُبْطِلْ حَقًّا .

وَاعْلَمْ أَنَّ عَلِيًّا أَبَاكَ إِنَّمَا رَغِبَ النَّاسَ عَنْهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ أَنَّهُ آتَى^(٤) بَيْنَهُمْ فِي النَّعَى، وَسَوَّى بَيْنَهُمْ فِي الْعَطَاءِ، فَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ تَحَارِبُ مَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، حَتَّى ظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ، فَلَمَّا وُحِّدَ الرَّبُّ، وَبُحِّقَ الشِّرْكُ، وَعَزَّ الدِّينَ، أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ، وَفَرَّوْا الْقُرْآنَ مُسْتَهْزِئِينَ بِآيَاتِهِ، وَقَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَهُمْ كُسَالَى، وَأَدَّوْا الْفَرَائِضَ وَهُمْ لَهَا كَارِهُونَ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُ لَا يَعْزُزُّ فِي الدِّينِ إِلَّا الْأَتْقِيَاءُ الْأَبْرَارَ، تَوَسَّمُوا بِسِمَى الصَّالِحِينَ، لِيُظَنَّ الْمُسْلِمُونَ بِهِمْ خَيْرًا، فَزَالُوا بِدَلِكِ حَتَّى شَرِكُوهُمْ فِي أَمَانَاتِهِمْ، وَقَالُوا حَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَأَخَوَانُنَا فِي الدِّينِ، وَإِنْ كَانُوا كَاذِبِينَ كَانُوا بِمَا أَقْرَفُوا هُمُ الْأَخْسَرِينَ، وَقَدْ مُنِنْتَ بِأَوْلَئِكَ وَبِأَبْنَائِهِمْ وَأَشْبَاهِهِمْ،

(١) الطَّيِّبُ : الْمَهْمُ ، مِنْ طَهَّرَهُ إِذَا اتَّهَمَهُ فَهُوَ صَالِحٌ بِمَعْنَى مَعْمُولٍ ، وَيُثَلَّمُ : يُمِيبُ وَبَعْضُ ، وَأَصْلُهُ مِنْ تَلَّمَ الْإِيمَانَ إِذَا كَسَرَ حَرْفَهُ وَنَادَى صَرْبَ وَفَرَحَ ، وَرَوَى « وَاشْتَرَى مِنَ الضَّغْنِ دِيهَهُ مَا لَا يَثَلُمُ دِيكَ » وَالصَّبِيحُ : الْحَيْلُ . (٢) وَفِي رَوَاةٍ « وَاسْعَلْ » وَفِي أُخْرَى « وَوَال » . (٣) الْحَرْبُ خُدْعَةٌ مِثْلُهُ الْخَاءُ ، وَنَضْمُهَا مَعَ فَحِ الدَّالِ : أَيْ تَعَصَّى مُخَدَّعةً . (٤) آتَى بَيْنَهُمْ : أَيْ سَوَّى .

والله ما زادم طولُ العمر إلا غَيًّا ، ولا زادم ذلك لأهل الدين إلا مَقْتًا ،
فجاهدْهم ولا تَرْضَ دَنِيَّةً ، ولا تَقْبَلْ خَسْفًا^(١) ، فإن عليًا لم يُجِبْ إلى الحكومة
حتى غلب على أمره فأجاب ، وإنهم يعلمون أنه أولى بالأمر إن حكموا بالعدل ،
فلمَّا حكموا بالهَوَى رجع إلى ما كان عليه حتى أتى عليه أجله ، ولا تخرجَنَّ من
حقِّ أنت أولى به ، حتى يَحُولَ الموت دون ذلك ، والسلام .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص : ٨ ، والعقد المريد ١ : ٩ ، ٢ : ٢٤٤)

٢ — كتاب الحسن إلى معاوية

ودَسَّ معاوية رجلا من جُمُير إلى الكوفة ، ورجلا من بني القَيْن إلى
البصرة ، يكتبان إليه بالأخبار فُدِّلَ على الحميرى وعلى القَيْنى فَأُخِذا وقتلا ،
وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية :

« أما بعد : فَإِنَّكَ دَسَسْتَ إِلَى الرِّجَالِ ، كَأَنَّكَ تَحِبُّ اللِّقَاءَ ، لَا أَشْكُ
فِي ذَلِكَ ، فَتَوَقَّعْهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَبَلَّغْنِي أَنَّكَ شِمْتٌ بَمَا لَمْ يَشْمَتْ بِهِ ذُوو
الْحِجَبِ^(٢) ، وَإِنَّمَا مَثَلُكَ فِي ذَلِكَ كَمَا قَالَ الْأَوَّل :

فَإِنَّا وَمَنْ فَدَا مَاتَ مِنَّا لَكَالَّذِي يَرُوحُ فَيُمْسِي فِي الْمَبِيتِ لِيَعْتَدِي
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خِلَافَ الَّذِي مَضَى تَجَهَّزْ لِأُخْرَى مِنْهَا فَكَأَنَّ قَدْ

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص : ٩١)

(١) دلا . (٢) أى شمت بموت أبى ، والعاقل لا يشمت بالموت .

٣ - رد معاوية على الحسن

فأجابه معاوية .

« أما بعد : فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمتُ بما حدث فلم أفرح ولم أحزن ، ولم أشتت ولم آس^(١) ، وإن علياً أباك لكما قال أعشى بن قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وأنت الذي	إذا ما القلوب ملأ الصدورا
جديرٌ بطعة يوم اللقا	يُضربُ منها النساء النجورا
وما مُزبدٌ من خليج البحّا	ريعلو الإكام ويعلو الجسورا ^(٢)
بأجود منه بما عنده	فيُعطي الألف ويعطي البدورا ^(٣)

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ . س ١١)

٤ - كتاب ابن عباس إلى معاوية

وكتب عبد الله بن عباس من البصرة إلى معاوية :

« أما بعد : فإنك ودستك أخا بني القَيْنِ إلى البصرة تلتمس من غفلات قريش مثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما قال أميّه بن الأسكر^(٤) :

(١) أي ولم أحرز وفلا كمرح .

(٢) أريد الحر لإراداً وهو مراد أي مائع تقذف بالرد (بالحر ك) وهو كالرعوه ، والإكام : جمع أكمة كمصاة وهي الل . (٣) البدره كوردة : كس منه أمف أو عسره آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار وجمعه بدر كمت وبدور كمود .

(٤) في شرح ابن أبي الحديد « أميّه بن أبي الصلت » وهو خطأ ، روى صاحب الأغاني قال : أصب قوم من بني حديع (كريع) بن أبي بن بكر بن هوارن رهط أميّه بن الأسكر قال لهم سو ربنا (كصحه) بن حديع ، أصابهم أصحاب إلى صلى الله عليه وسلم يوم الراسع في عرويه بن المصطلق

لَعَمْرُكَ إِنَّ الْخُرَاعِيَّ طَارِقًا كَنَعَجَةً فَادَتْ حَنَفَهَا تَحْفَرُ^(١)
 أَثَارَتْ عَلَيْهَا شَفْرَةً بِكَرَاعِهَا فَظَلَّتْ بِهَا مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ تُنَحَّرُ^(٢)
 شِمِتَ بِقَوْمٍ هُمْ صَدِيقُكَ أَهْلَكُوا أَصَابَهُمْ يَوْمٌ مِنَ الدَّهْرِ أَعَسَرُ^(٣)
 (الأعاني ١٨ : ١٦٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٢)

ه - رد معاوية على ابن عباس

فأجابه معاوية :

« أما بعد : فإن الحسن بن عليّ قد كتب إلى بنحو مما كتبت به ،
 وأتبنى بما لم يحقق سوء ظن ورأي فيّ ، وإنك لم تُصِبْ مثلي ومثلكم ، وإنما
 مثّلنا كما قال طارق الخُرَاعِي يُجيب أميّة عن هذا الشعر :
 فوالله ما أدري (وإني لصادق) إلى أيّ مَنْ بَطَّنْتُني أتعذر^(٤)
 أعنف أن كانت زينة أهليكت ونالَ بني حِليانَ شرٌّ فأنفروا^(٥)
 (الأعاني ١٨ : ١٦٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٢)

وكانوا حيرانه يومئذ ومعهم ناس من بني حليان (بالأكسر) من هذيل ، ومع بني حديع رجل من حراة
 يقال له طارق ، فاتهمه بنو آيث بهم وأنه دل عليهم ، وكان حراة مسلمها ومشرکها يملون إلى النبي
 صلى الله عليه وسلم على قريش ، فقال أمية بن الأكسر : لعمرك إني والخُرَاعِي في أساب ، فأجابه
 طارق الخُرَاعِي : لعمرك ما أدري »

(١) غاد : ناكرب ، والحف . الموب ، ومع بوجه من الصرف للصورة .
 (٢) الشفرة : السكين العظم ، والكراع من العم والقر : مسدق الساق وهو عبره الوطف من
 الفرس ، وحاء في المثل : « كاللحاح عن المذبة » وروى « عن الشفرة » وفي آخر : « كباخته
 عن حمها نطقها » وأصله أن رجلاً كان حائماً بالعلاء الفمر ، فوجد شاه ولم يكن معه ما يدعها به ،
 فحشب الشاة الأرض بأطرافها ، فسمط على شفرة فدسها بها ، فصرب لسكل من أعان على هسهه سوء
 بدبره . (٣) اطه واطه : المطاء . والمطاء مشددتين : أهمه ، وهو امعل من الطه بالأكسر
 أي الهمة ، فأصلا اطه ، ثم أبدل وأدغم . (٤) أهروا : سرّدوا .

٦ - كتاب الحسن إلى معاوية

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية :

« من عبد الله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد :
فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله رحمةً للعالمين ، فأظهر به الحق ، وفَمَعَ
به الشرك ، وأعزَّ به العرب عامة ، وشَرَّفَ به قريشاً خاصة ، فقال : « وَإِنَّهُ
لَدِكْرُكَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ » فلما توفاه الله تنازعت العرب في الأمر بعده ، فقالت
قريش : نحن عَشِيرَتُهُ وأولياؤه ، فلا تُنازعونا سلطانه ، فعرفت العرب
لقريش ذلك ، وجأحدتنا قريش ما عرفت لها العرب ، فهيهات ! ما أنصفتنا
قريش ، وقد كانوا ذوى فضيلة في الدين ، وسابقة في الإسلام ، ولا غرو^(١)
إلا منازعتك إيانا الأمر بغير حق في الدنيا معروف ، ولا أثر في الإسلام
محمود ، فالله الموعِد ، نسأل الله معروفة أن لا يؤثمتنا في هذه الدنيا شيئاً
يَنْقُصُنَا عنده في الآخرة .

إن علياً لما توفاه الله ولأني المسامون الأمر بعده ، فاتق الله يا معاوية ،
وانظر لأمة محمد صلى الله عليه وآله ما تَحَقُّنُ به دماءها ، وتُصلِح به
أمرها ، والسلام .

وبعث بالكتاب مع الحارث بن سويد التيمي (تيم الرباب) وجُنْدُب
الأزدى ، فقدمَا على معاوية ، فدعواهُ إلى يَبْعَةِ الحسن عليه السلام ، فلم
يُجِبْهُمَا . وكتب جوابه : (سرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٩)

(١) لا عرو ولا عروى : أى لا يحب .

٧ - رد معاوية على الحسن

« أما بعد : فقد فهمتُ ما ذكرتَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله ، وذكرتَ تنازعَ المسلمين الأمرَ بعده ، فصرّحتَ بتهمة أبي بكر الصديق وعمر وأبي عبيدة الأمين وصلحاء المهاجرين ، فكرهتُ لك ذلك ، إن الأمة لما تنازعت الأمرَ بينها ، رأت قريشاً أخلَقَهَا به ، فرأت فريش والأنصار وذوو الفضل والدين من المسلمين أن يُؤلّوا من فريش أعلمها بالله ، وأخشاها له ، وأفواها على الأمر ، فاختاروا أبا بكر ولم يألوا^(١) ، ولو علموا مكان رجل غبر أبي بكر يقوم مقامه ويدبُّ عن حرَم الإسلام ذبّه ، ما عدّوا بالأمر إلى أبي بكر ، والحالُ اليومَ بيني وبينك على ما كانوا عليه ، فلو علمتُ أنك أضبطُ لأمر الرعية ، وأخوطة على هذه الأمة ، وأحسنُ سياسةً ، وأكيدُ للعدو ، وأفوى على جمع النِّيء ، لسمّيتُ لك الأمرَ بعد أبيك ، فإن أباك سعى على عثمان حتى قُتِلَ مظلوماً ، فطالب الله بدمه ، ومن يطلبه الله فلن يفوته ، ثم ابتز الأمة أمرها ، وفرّق جماعتها ، خالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقِدَم في الإسلام ، وادعى أنهم نكثوا بيعته ، فقاتلهم ، فسفكت الدماء ، واستحلّت الحرّم ، ثم أقبل إلينا لا يدعى علينا بيعه ، ولكنه يريد أن يملكنا اغتراراً ، فخاربنا وحاربنا ، ثم صارت الحرب إلى أن اختار رجلاً واخبرنا رجلاً ليحكما بما تصلح عليه الأمة ، وتعود به الجماعة والألفة ، وأخذنا بذلك عليهما ميناقا ، وعليه مثله ، على الرضا

(١) ألا نألو : نصر وأطأ .

بِمَا حَكَأَ ، فَأَمْضَى الْحَاكِمَانِ عَلَيْهِ الْحُكْمَ بِمَا عَلِمْتَ وَخَلَعَاهُ ، فَوَاللَّهِ مَا رَضَى بِالْحُكْمِ ، وَلَا صَبَرَ لِأَمْرِ اللَّهِ ، فَكَيْفَ تَدْعُونِي إِلَى أَمْرٍ إِنَّمَا تَطْلُبُهُ بِحَقِّ أَيْيَكُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْهُ ، فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ وَلِدِينِكَ ، وَالسَّلَامَ » .

ثم قال للحارث وجُنْدُب : ارجعا فليس ببني وبينكم إلا السيف .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٩)

صورة أخرى لكتاب الحسن إلى معاوية

وروى كتاب الحسن السابق إلى معاوية بصورة أخرى وهي :
كتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع جُنْدُب بن عبد الله الأزدي :
« من الحسن بن علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليك فإني أحمّد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله جل جلاله بعث محمداً رحمةً للعالمين ، ومِنَّةً للمؤمنين ، وكافةً للناس أجمعين « لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ » فبلغَ رسالات الله ، وقام بأمر الله : حتى توفاه الله غبراً مقصراً ولا وانٍ ، بعد أن أظهر الله به الحقَّ ، وتحقّق به الشُّركُ ، وخصّ به فريشاً خاصة ، فقال له : « وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ » فلما توفّي تنازعت سلطانه العربُ ، فقالت فريش . نحن قبيلته وأسرته وأولياؤه ، ولا يحلّ لكم أن تنازعونا سلطانَ محمد وحقّه ، فرأت العرب أن القول ما قالت فريش ، وأن الحجة في ذلك لهم على من نازعهم أمرَ محمد ، فأُنْعَمَتْ ^(١) لهم وسلّمت إليهم ، ثم حاجبنا نحن قرناً بمثل ما حاجبت به العرب ، فلم تُنْصِفْنَا

(١) أنعم له : قال له نعم .

قريش إنصاف العرب لها ، إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج ، فلما صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى مُحاجَّتهم وطلب التَّصَنُّف^(١) منهم ، باعدونا واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومُراغمتنا^(٢) ، والعنت منهم لنا ، فالموعد الله ، وهو الولي النصير .

ولقد كنا تَعَجَّبْنَا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا وسلطان بيتنا ، وإن كانوا ذوى فضيلة وسابقة في الإسلام ، وأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب^(٣) في ذلك مَغْمَرًا يثْلُمُونَهُ به ، أو يكون لهم بذلك سبب إلى ما أرادوا من إفساده ، فاليوم فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله ، لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود ، وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى فرشب لرسول الله صلى الله عليه وآله وكتابه ، والله حسيبك ، فسترد وتعلم لمن عُقبي الدار ، وبالله لتلقين عن قليل ربك ، ثم ليَجْزِيَنَّكَ بما قدَّمْتَ يداك ، وما الله بظلام للعبيد .

إن علياً لما مضى لسبيله - رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم من الله عليه بالإسلام ، ويوم يُبْعَث حيا - ولأني المسلمون الأمر بعده ، فأَسْأَلُ الله أن أن لا يُؤْتِينَا في الدنيا الزائلة شيئاً يَنْقُصُنَا به في الآخرة مما عنده من كرامة ، وإنما حملني على الكتاب إليك الإِعْذَارُ فيما بيني وبين الله عز وجل في أمرك

(١) البص : الانصاف . (٢) راسمهم . نادهم وعاداهم ، والعصب : المشقة .

(٣) هي الأحزاب التي نخرت وظهرت على قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من فريس وعطاف وبي مره وبي أشجع وبي سلم وبي أسد (في عروه الأحزاب ، وهي عروه الحندق سنة ٥ هـ) وكان ماتهم العام أنا سمان .

ولك في ذلك إن فعلته الحظُّ الجسيم ، والصِّلاح للمسلمين ، فدع التَّماذِيَّ في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من يبعثي ، فإنَّك تعلم أنَّي أحقُّ بهذا الأمر منك عند الله وعند كلِّ أوَّاب^(١) حفيظ ومَن له قلب مُنيب ، واتفق الله ودع البغي واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالِك خبر في أنَّ تلقى الله من دماهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، وادخل في السَّلم والطاعة ، ولا تُنازع الأمرَ أهله ، ومَن هو أحقُّ به منك ، ليطغى الله النَّائرة^(٢) بذلك ، ويجمع الكلمة ، ويصلح ذاتَ البين ، وإنَّ أنت أبيت إلا التَّماذِيَّ في غيك ، سرتُ إليك بالمسلمين ، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين .
(شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ١٢)

صورة أخرى لرد معاوية على الحسن

وروى أيضاً : رد معاوية على الحسن بصورة أخرى وهي :
فكتب معاوية إليه

من عبد الله معاوية أمر المؤمنين إلى الحسن بن علي : سلام عليك فإنِّي أحمَدُ إليك اللهَ الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرتَ به محمداً رسول الله من الفضل ، وهو أحقُّ الأولين والآخرين بالفضل كلّهُ ، فديعه وحديثه ، وصغبره وكبره ، وقد والله بلغ وأدّى ، ونصّح وهَدَى ، حتى أُنقذ الله به من الهلكة ، وأُناز به من العمى ، وهَدَى به من

(١) آب إلى الله تعالى : رجع عن دمه واثاب ، فهو أوَّاب ، منامه .

(٢) النَّائرة : العداوة والشَّقاء .

الجمالة والضلالة ، فجزاء الله أفضل ما جَزَى نبيًّا عن أمته ، وصلوات الله عليه يوم وُلِدَ ، ويوم بُعِثَ ، ويوم قُبِضَ ، ويوم يُبْعَثُ حيا ، وذكُرت وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتنازعَ المسلمون الأمرَ بعده ، وتغلبَهم على أيك ، فصرّحت بثَّمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وحواري^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلاح المهاجرين والأنصار ، فكَرِهت ذلك لك ، إنك امرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ولا المسئ ولا اللئيم ، وأنا أحب لك القول السديد ، والذكر الجميل .

إن هذه الأمة لما اختلفت بينها ، لم تَجْهَلَ فضلكم ولا سابقتم ولا فرابتكم من نبيكم ، ولا مكانكم في الإسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تَخْرُجَ من هذا الأمر لقرش لمكانها من نبيها ، ورأى صلحاء الناس من قرش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يُؤثُوا هذا الأمر من قرش أقدمها إسلامًا ، وأعلمها بالله ، وأحبها له ، وأقواها على أمر الله ، فاختاروا أبا بكر ، وكان ذلك رأى ذوى الدين والفضل والناظرين للأمة ، فأوقع ذلك في صدوركم لهم الشَّمة ، ولم يكونوا متَّهمين ، ولا فيما اتُّوا بالخطئين ولو رأى المسلمون أن فيكم من يُغْنِي غناءه^(٢) ، ويقوم مقامه ، ويُدبَّ عز حريم الإسلام ذبّه ، ما عدلوا بالأمر إلى غيره رغبةً عنه ، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله ، والله يَجْزِيهم عن الإسلام وأهله خيرًا وقد فهمتُ الذى دعوتنى إليه من الصلح ، والحال فيما بينك وبينك اليوم

(١) هو الربير بن العوام ، والحواريّ : الناصر أو ناصر الأنبياء .

(٢) الغاء : النعم ، وأعنى غناءه : آخرأ عنه وفام معاه .

مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ،
فلو علمت أنك أضبط مني للرعية ، وأحوط على هذه الأمة ، وأحسن سياسة ،
وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو ، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ،
ورأيتك لذلك أهلاً ، ولكن قد علمت أنني أطول منك ولاية ، وأقدم منك
بهذه الأمة تجربة ، وأكبر منك سناً ، فأنت أحق أن تُجيبني إلى هذه المنزلة
التي سألتني ، فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدى ، ولك ما في بيت مال
العراق من مالٍ ، بالغاً ما يبلغ تحمله إلى حيث أحببت ، ولك خراج أيّ
كُورِ العراق شئت ، معونةً لك على نفقتك ، يجزيها أمينك ، ويحملها إليك
في كل سنة ، ولك ألا يُستولى عليك بالإساءة ، ولا تُقضى دونك الأمور ،
ولا تُعصى في أمر أردت به طاعة الله ، أعاننا الله وإياك على طاعته ، إنه
سميع مجيب الدعاء ، والسلام . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٣)

٨ - كتاب معاوية إلى الحسن

وكتب معاوية إلى الحسن رضى الله عنه :

« أما بعد : فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا مُعَقَّبَ حُكْمِهِ وَهُوَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ، فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رِجَالٍ من الناس ، وأيسرُ
من أن تجد فينا غمِزةً ، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني ، وفيت لك
بما وعدت ، وأجريت لك ما شَرَطْتُ ، وأكون في ذلك كما قال أعشى
بنى قيس بن ثعلبة :

وإنَّ أَحَدَهُ أَشَدُّ إِلَيْكَ أَمَانَةً فَأَوْفِ بِهَا ، تُدْعَى إِذَا مِتَّ وَافِيَا
 وَلَا تَحْسُدِ الْمَوْلَى إِذَا كَانَ ذَا غِنَى وَلَا تَجْفُهُ إِنْ كَانَ فِي الْمَالِ فَانِيَا^(١)
 ثم الخلافة لك من بعدى ، فأنت أولى الناس بها ، والسلام .
 (شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ١٣)

٩ — رد الحسن على معاوية

فأجابه الحسن .

« أما بعد : فقد وصل إلى كتابك تذكر فيه ما ذكرت ، وتركت
 جوابك خشية البغى عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فأتبع الحق تعلم أنى
 من أهله ، وعلى إثم أن أقول فأكذب ، والسلام . »
 (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ١٣)

١٠ — كتاب معاوية إلى عماله

فلما وصل كتاب الحسن إلى معاوية قرأه ، ثم كتب إلى عماله على
 النواحي بنسخة واحدة :

« من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ومن قبله من
 المسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمدُ إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد :
 فالحمد لله الذى كفاكم مؤنة^(٢) عدوكم ، وقتلة خليفكم ، إن الله بلطفه وحسن

(١) المولى : الصاحب والقرب كابن العم ونحوه .

(٢) المؤنة : الثقل ، وفيها ألعاب لإحداها . مؤنة على وزن فعوله بهج الفاء وبهجرة مضموه ،
 والثالث : مؤنة بهزة ساكنه كعرفة ، والثالث : مؤنة كسورة .

صنعه أتاح لعلّ بن أبي طالب رجلاً من عبادِه فاغتاله فقتله ، فترك أصحابه متفرقين مختلفين ، وقد جاءتنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائِرهم ، فأقبلوا إلّى حين يأتينكم كتابى هذا بجهنكم وجندكم ، وحسن عُدتكم ، فقد أصبتم بحمد الله الثأر ، وبلغتم الأمل ، وأهلك الله أهلَ البنى والعُدوان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
وأقبل معاوية بجيشه قاصداً إلى العراق .

(شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٣)

١١ — الصلح بين الحسن ومعاوية

وتجهز الحسن عليه السلام للقاء معاوية ، وخرج بأصحابه إلى المدائن ، ولكنهم رأوا منه أنه يحنح إلى موادة معاوية ومصالحته ، فناروا به وأساءوا إليه^(١) ، فازداد لهم بغضا ، وارداد منهم ذعرا ، ورأى الأمر قد تفرق عنه ،

(١) وذلك أن الحسن عليه السلام لما أتى سناط ، أقام بها أياما ، فلما أراد أن يرحل إلى المدائن ، قام خطب الناس . فقال : « أيها الناس لا يسمون على أن سألوا من سالت ، ومحاربوا من حاربت ، وإنى والله ما أصحت محتملا على أحد من هذه الأمة صعه في شرق ولا غرب ، ولما كرهوا في الجماعة والأئمة والأمن وصلاح داب النى ، حرر مما يحون في العرفه والخوف والساعص والمداوة ، وإن علياً أتى كان يقول : لا تكرهوا إمارة معاوية ، فإيكم لو فارقتموه لرأيتم الردوس تدر عن كواهلها كالحطل » ثم برل فطر الناس بعضهم إلى بعض ، وقالوا : ما قال هذا القول إلا وهو خالع نفسه ومسلم الأمر لمعاوية ، كفر والله الرجل ؛ ثم شدوا على فسطاطه فانهبوا متاعه حتى أخذوا مصلاه من محبه ، وابرعوا مطرفه عن عاتقه ، وأخذوا حاربه كانت معه فدمغوه فركه ، وأحرق به طوائف من حاصته وشعبه ، ومعاونيه من أرادته ، ولازموه وصغروه لما تكلم به ، فلما سرى في مظلم سناط ، قام إليه رجل قال له حراح بن سنان ويده معول ، فأخذ بلباح ورسه وقال : الله أكبر يا حسن ! أسرك أنوك ثم أسركت أنت ! وطعنه بالمعول فوقعت في خده فشقه حتى بلغ أربنته (أصل الفخذ) وسقط الحسن إلى الأرض بعد أن صرّب الذي طعنه بسيف كان معه ، واعتصمه خرا جمعاً إلى الأرض ، واستد أصحاب الحسن حراح بن سنان فقتلوه وحمل الحسن على سريره إلى المدائن ومها ساعد من مسعود الثقفي (عم المختار بن أبي عسدر) والأعاليها من قبل فأقام عنده حتى برى من حره (شرح ابن أبى الحديد م ٤ : ص ١٠ - ١٥) .

فبعث إلى معاوية يطلب الصلح ، وبعث معاوية إليه رسولين قَدِمَا عليه المدائن ، فأعطياه ما أراد ، وصالحاه على أن يأخذ من بيت مال الكوفة خمسة آلاف ألف في أشياء اشترطها

قال الطبرى : « كَاتَبَ الحسن معاوية وأرسل إليه بشروط ، قال : إن أعطيتني هذا فأنا سامع مطيع ، وعليك أن تَنَقِّيَ لِي بِهِ ، ووقعت صحيفة الحسن في يد معاوية ، وقد أرسل معاوية قبل هذا إلى الحسن بصحيفة بيضاء مختوم على أسفلها ، وكتب إليه : أَنِ اشْتَرِطْ فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ الَّتِي خَتَمْتُ أَسْفَلَهَا مَا شِئْتَ فَهُوَ لَكَ ، فَلَمَّا أَتَى الْحَسْنَ اشْتَرَطَ أَضْعَافَ الشُّرُوطِ الَّتِي سَأَلَ مُعَاوِيَةَ قَبْلَ ذَلِكَ وَأَمْسَكَهَا عِنْدَهُ ، وَأَمْسَكَ مُعَاوِيَةَ صَحِيفَةَ الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامَ ، الَّتِي كَتَبَ إِلَيْهِ يَسْأَلُهُ مَا فِيهَا .

فلما التقي معاوية والحسن عليه السلام ، سأله الحسن أن يعطيه الشروط التي شرط في السَّجَلِ الَّذِي خَتَمَ مُعَاوِيَةَ فِي أَسْفَلِهِ ، فَأَبَى مُعَاوِيَةَ أَنْ يَعْطِيَهُ ذَلِكَ ، فَقَالَ : لَكَ مَا كُنْتَ كَتَبْتَ إِلَيَّ أَوَّلًا لَسَأَلَنِي أَنْ أُعْطِيَكِهِ ، فَإِنِّي فَدَّيْتُكَ حِينَ جَاءَنِي كِتَابُكَ ، قَالَ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَأَنَا فَدَّيْتُكَ حِينَ جَاءَنِي كِتَابُكَ ، وَأَعْطَيْتَنِي الْعَهْدَ عَلَى الْوَفَاءِ بِمَا فِيهِ ، فَاخْلَعَا فِي ذَلِكَ فَلَمْ يَنْقُذْ لِلْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الشُّرُوطِ سَبْئًا » .

وسلم الحسن عليه السلام الأمر إلى معاوية ، ودخل معاوية الكوفة وبايعه أهلها بالخلافة لخمس بقين من ربيع الأول ، ويقال من جمادى الأولى

١٢ - كتاب الحسن إلى معاوية بعد الصلح

ولما سلم الحسن بن علي رضي الله عنه الأمر إلى معاوية ، سار يريد المدينة ، فكتب إليه معاوية يدعوه إلى قتال الخوارج ، فكتب إليه :
 « لو آثرتُ أن أقاتلَ أحداً من أهل القبلة لبدأتُ بقتالك ، فإنني نرکتک
 لصلاح الأمانة ، وحقن دماؤها » . (الكامل لابن الأثير ٣ : ١٦٣)



وروى أبو العباس المبرّد قال :

دخل معاوية الكوفة مع الحسن بن علي صلوات الله عليه بعد أن باعه الحسن والحسين عليهما السلام ، وبيع بن سعد بن عباد ، ثم خرج الحسن يريد المدينة ، فوجه إليه معاوية ، وقد تجاوز في طريقه ، يسأله أن يكون المتولّى لمحاربة الخوارج^(١) ، فقال الحسن : « والله لقد كففتُ عنك لحقن دماء المسلمين ، وما أحسبُ ذلك يسعني ، أفأفيل عنك فوما أنت والله أوفى بالقنال منهم » . (الكامل للمبرّد ٢ : ١٥٦)

(١) وكان أول من حرج منهم بعد صلح علي مع السلام حوره الأسدی ، فإنه كان . حاداً بالسديحين ، فكتب إلى حاس الطائي يسأله أن يولي أمر الخوارج حتى سار إليه جميعه ، معاصد علي معاهدة معاوية ، فأحابه ورجعا إلى موضع أجهاب الحيلة ، فلما رجع حواب الحسن إلى معاوية وحده إليهم حشاً أكرمهم من أهل الكوفة فمروهم .

١٣ - كتاب معاوية إلى ابن عباس

وكتب معاوية إلى ابن عباس رضى الله عنه ، عند صلح الحسن عليه السلام له كتاباً يدعو فيه إلى بيعته ، ويقول له فيه :

« وَلَعَمْرِي لَوْ قَتَلْتُكَ بَعَثَانُ رَجُوتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًا ، وَأَنْ يَكُونَ رَأْيًا صَوَابًا ، فَإِنَّكَ مِنَ السَّاعِينَ عَلَيْهِ ، وَالْخَازِلِينَ لَهُ ، وَالسَّافِكِينَ دَمَهُ ، وَمَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَلَاحٌ فِيمَنْعَكَ مِنِّي ، وَلَا يَبِيدُكَ أَمَانٌ » .

(شرح ابن أبي الحديد م : ٤ : ص ٥٨)

١٤ - رد ابن عباس على معاوية

فكتب إليه ابن عباس جواباً طويلاً يقول فيه :

« وَأَمَّا فُؤَادُكَ : إِنِّي مِنَ السَّاعِينَ عَلَى عُثْمَانَ ، وَالْخَازِلِينَ لَهُ ، وَالسَّافِكِينَ دَمَهُ ، وَمَا جَرَى بَيْنِي وَبَيْنَكَ صَلَاحٌ فِيمَنْعَكَ مِنِّي ، فَأُفْسِمُ بِاللَّهِ لَأَنْتَ الْمَتْرَبُصُّ بِقَتْلِهِ ، وَالْمَحْبُوبُ لِهَلَاكِهِ ، وَالْخَاسِسُ النَّاسَ قَبْلَكَ عَنْهُ ، عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَلَقَدْ أَتَاكَ كِتَابُهُ وَصَرِيحُهُ ^(١) يَسْتَعِثُّ بِكَ وَيَسْتَصْرِخُ ، فَاخْفَلْتَ بِهِ ^(٢) ، حَتَّى بَعَثْتَ إِلَيْهِ مُعَذِّرًا بِأَخْرَةِ ^(٣) ، أَنْتَ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ لَنْ يَرْكُوهَ حَتَّى يُقْتَلَ ، فَقَتَلْتَ كَمَا كُنْتَ أَرَدْتَ ، ثُمَّ عَلِمْتَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ لَنْ يَعْدِلُوا ^(٤) بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ ،

(١) الصرخ : المستعِث (والعِث أيضاً ، صد) واستصرخ : استعاث ، مول : اسصرحه فأصرحه
(٢) انظر ص ٣١٤ من الجزء الأول . (٣) المعدر : المصخرة يدعى عدر ، يوم أن له عدرأ
ولا عدر له ، وحاء أجرة وأجره محركتين وقد يصم أولهما : أى أحر كل شيء ، وفى الأصل (بأجره)
وهو تحريف . (٤) أى لن يسوا .

فَطَفِقْتَ تَنَعَى عُثْمَانَ وَتَلَزِمْنَا دَمَهُ ، وَتَقُولُ : قُتِلَ مَظْلُومًا ، فَإِنْ يَكُ قُتِلَ
مَظْلُومًا فَأَنْتِ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ ، ثُمَّ لَمْ تَزَلِ مُصَوِّبًا وَمُصَعِّدًا^(١) ، وَجَائِمًا وَرَابِضًا^(٢) ،
تَسْتَغْوِي الْجُهَّالَ ، وَتَنَازِعُنَا حَقًّا بِالسَّفَهَاءِ ، حَتَّى أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ ، وَإِنْ
أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ » .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٥٨)

١٥ — كتاب معاوية إلى الحسين بن عليّ

قال صاحب زهر الآداب :

وكان لمعاوية بن أبي سفيان عَيْنٌ بِالْمَدِينَةِ يَكْتُبُ إِلَيْهِ بِمَا يَكُونُ مِنْ أُمُورِ
النَّاسِ وَقَرِيشَ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْتَقَ جَارِيَةً لَهُ
وَتَزَوَّجَهَا ، فَكُتِبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى الْحُسَيْنِ :

« مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَعَاوِيَةَ إِلَى الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَزَوَّجْتَ جَارِيَتَكَ ، وَتَرَكْتَ أَكْفَاءَكَ مِنْ
قَرِيشَ ، مِمَّنْ تَسْتَحْسِنُهُ لِلْوَلَدِ ، وَتَتَجَدُّ بِهِ فِي الصَّهْرِ ، فَلَا لِنَفْسِكَ نَظَرَتْ ،
وَلَا لَوْلَدِكَ انْتَقَيْتَ » .

(١) التصويب خلاف الصعبد ، قال صوّب رأسه : إذا خفضه .

(٢) حم الطائر والإسنان كصرب وصر حثما وخثوما: تلد بالأرض ، ورضت الشاة كصرب رضىً
وربوصاً ، وهو مثل خنوم الطير وبروك الإبل .

١٦ - رد الحسين على معاوية

فكتب إليه الحسين بن علي رضي الله عنه :

« أما بعد ، فقد بلغني كتابك وتعييرك إياي بأني تزوجت مولاتي ، وتركت أ كفائي من فريش ، فليس فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم مُنتهى في شرف ، ولا غاية في نسب^(١) ، وإنما كانت ملك عيني ، خرجت عن يدي بأمر التمسست فيه ثواب الله تعالى ، ثم ارتفعت على سنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وقد رفع الله بالإسلام الحسيصة ، ووضع عنا به النقيصة ، فلا لوم على امرئ مسلم إلا في أمر مائمه ، وإنما اليوم لوم الجاهلية »

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه إلى يزيد فقرأه وقال : لشد ما فخر عليك الحسين ! قال : لا ، ولكنهم السنة بنى هاشم الحداد ، التي تفلق الصخر ، وتعرف من البحر (رهر الآداب ١ : ٧٢)



وروى صاحب العقد هذا الخبر قال :

تزوج علي (زين العابدين) بن الحسين جارية له وأعتقها ، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فكتب إليه يؤثبه ، فكتب إليه علي :
« إن الله رفع بالإسلام الحسيصة ، وأتم به النقيصة ، وأكرم به من

(١) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عراهود خير (سنة ٧ هـ) وهرهم وسام ، وكان في السى صيه نب حى ن أحط سيد بنى الصغير ، فتزوجها عليه السلام وأصدقها عمها ، وقد أسلم .

اللوّث ، فلا حارَ على مسلم ، وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج أُمّتَهُ^(١) ، وأمرأة عَبْدِهِ^(٢) .

فقال عبد الملك : إن عليّ بن الحسين كَشَّرَف من حيث يَبْضَعُ الناس .
(العقد الفريد ٣ : ٢٤٣)

١٧ — كتاب الحسين بن علي إلى معاوية

وروى ابن أبي الحديد عن المدائني قال :

قال معاوية يوما لعقيل بن أبي طالب : هل من حاجة فأفوضها لك ؟

(١) هي صفة اليهودية كما قدما .

(٢) يشير إلى رواجه صلى الله عليه وسلم من ربت بنت ححسن — وأما أُمّيته عمته — بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة ، وذلك أن رسول الله كان حطّها له ، فأبى أهلها من ذلك لشرفها ورفعة حسبها — وكان العرب يأبون أن يروحوا ، اتهم من الموالى — وزيد وإن كان قد تناباه الرسول — لا يابعه ذلك بالأعراف ، فلما نزل قوله تعالى « وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا الْمُؤْمِنَاتِ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَصَلَ بِالصَّلَاةِ الْمُسْنَاءِ » لم يروا بدا من القول ، فلما دخل بها زيد أرتته من كدريائها ودالها ما لم يحتمله ، فشكاها لرسول الله فأمره فأحياها والصبر عليها ، إلى أن صابق بها درعا ، فأحمره بعرمه على طلاقها وكره ذلك ، فأمر الله نبيه أن تزوج ربت بعد طلاقها ، حسباً لهذا السباق من جهة ، وحفظاً لشرعها أن يصيب مد رواحها عوى من جهة أخرى ، ولكن رسول الله حتى لوم اليهود والعرب عليه في رواجه روح الله . فقال لزيد أمسك عليك روحك وابس الله ، وأخفى في نفسه ما أبداه الله ، فب الله حكمه بإبطال هذه القاعدة وهي حرم روح المثنى بقوله تعالى : « وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ » وَيُنْخَفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَرْوَاحِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْلُومًا .

قال : نعم ، جارية عُرِضَتْ عَلَىَّ وَأَبَى أَصْحَابُهَا أَنْ يَبِيعُوهَا إِلَّا بِأَرْبَعِينَ أَلْفًا ،
فَأَحْبَبَّ مَعَاوِيَةَ أَنْ يَمَازَحَهُ فَقَالَ : وَمَا تَصْنَعُ بِجَارِيَةٍ يَمِيتُهَا أَرْبَعُونَ أَلْفًا ،
وَأَنْتَ أَعْمَى تَجْتَزِيُ بِجَارِيَةٍ قِيمَتُهَا خَمْسُونَ دِرْهَمًا ؟ قَالَ : أَرْجُو أَنْ أَطَافَهَا فَتَلِدَ
لِي غُلَامًا إِذَا أَغْضَبْتَهُ يَضْرِبُ عُنُقَكَ بِالسَّيْفِ ، فَضَحِكَ مَعَاوِيَةُ وَقَالَ : مَا زَحْنَاكَ
يَا أَبَا يَزِيدَ ، وَأَمْرٌ فَا بَيْعَتْ لَهُ الْجَارِيَةُ الَّتِي أَوْلَدَهَا ابْنُهُ «مُسْلِمًا» ، فَلَمَّا أَتَتْ عَلَى
مُسْلِمٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً ، وَقَدْ مَاتَ عَقِيلُ أَبَوَيْهِ ، قَالَ لِمَعَاوِيَةَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
إِنْ لِي أَرْضًا بِمَكَانٍ كَذَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ بِهَا مِائَةُ أَلْفٍ ، وَفَدَّ أَحْيَيْتُ
أَنْ أُبِيعَ لَهَا ، فَادْفَعْ إِلَيَّ ثَمَنَهَا ، فَأَمَرَ مَعَاوِيَةَ بِقَبْضِ الْأَرْضِ وَدَفْعِ الثَّمَنِ
إِلَيْهِ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَكَتَبَ إِلَى مَعَاوِيَةَ :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّكَ غَرَرْتَ غُلَامًا مِنْ بَنِي هَاتِمٍ ، فَابْتَعْتَ مِنْهُ أَرْضًا
لَا يَمْلِكُهَا ، فَابْزُضْ مِنَ الْغُلَامِ مَا دَفَعْتَهُ إِلَيْهِ ، وَارْجِعْ إِلَيْنَا أَرْضَنَا »

١٨ — رد معاوية على الحسين

فَبَعَثَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مُسْلِمٍ فَأَخْبَرَهُ ذَلِكَ وَأَقْرَأَهُ كِتَابَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ،
وَقَالَ : ارْجِعْ عَلَيْنَا مَا لَنَا وَخُذْ أَرْضَكَ ، فَإِنَّكَ بَعْتَ مَا لَا تَمْلِكُ ، فَقَالَ مُسْلِمٌ :
أَمَّا دُونَ أَنْ أَضْرِبَ رَأْسَكَ بِالسَّيْفِ فَلَا ، فَاسْتَلْقَى مَعَاوِيَةَ ضَاحِكًا يَضْرِبُ
بِرَجْلَيْهِ ، وَفَالَ : يَا بَنِي هَذَا وَاللَّهِ كَلَامُ قَالِهِ لِي أَبُوكَ حِينَ ابْتَعْتَ لَهُ أَمْلَكَ ، ثُمَّ
كَتَبَ إِلَى الْحُسَيْنِ :

« إِنِّي قَدْ رَدَدْتُ عَلَيْكُمْ الْأَرْضَ ، وَسَوَّغْتُ^(١) مُسْلِمًا مَا أَخَذَ » فقال الحسين عليه السلام : « أَيُّتُمْ يَا آلَ أَبِي سَفِيَانَ إِلَّا كَرَمًا » .
(شرح ابن أبي الحديد م ٣ : ص ٨٢)

١٩ - كتاب الحسين بن علي إلى معاوية

وكان مال حُجِّل من اليمين إلى معاوية ، فلما مرَّ بالمدينة وثب عليه الحسين بن عليّ عليه السلام ، فأخذه وفسمه في أهل بيته ومواليه ، وكتب إلى معاوية :

« من الحسين بن عليّ إلى معاوية بن أبي سفيان :
أما بعد : فَإِنْ عِيرًا^(٢) مَرَّتْ بِنَا مِنَ الْيَمِينِ تَحْمِلُ مَالًا وَحُلَلًا ، وَعَنْبَرًا وَطِيبًا إِلَيْكَ ، لِتُودِعَهَا خَزَائِنَ دِمَشْقَ ، وَتُعَلِّبَهَا بَعْدَ النَّهْلِ^(٣) بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِنِّي أَسْتَجِبْتُ إِلَيْهَا فَأَخَذْتُهَا ، وَالسَّلَامَ » . (شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٣٢٧)

٢٠ - رد معاوية على الحسين

فكتب إليه معاوية :

« من عبد الله معاوية أهير المؤمنين إلى الحسين بن عليّ :
سلام عليك ، أما بعدُ : فَإِنْ كَتَابَكَ وَرَدَ عَلَيَّ ، تَذَكَّرْتُ أَنْ عِبراً مَرَّتْ بِكَ

(١) سَوَّغَهُ مَا أَصَابَ : رَكَدَ لَهُ خَالِصًا .

(٢) الْعِيرُ : الْإِبِلُ شَمَلُ الْمَرْبِ ، وَلَا وَاحِدَ مِنْ لُطْطِهَا ، أَوْ كَلَّ مَا لَهَا عَلَيْهِ إِلَّا كَاتِبٌ أَوْ حِمَارٌ أَوْ حَالَا

(٣) الْعَلَّ وَالْعَالُ مَحْرُكَةٌ : الْفَرَسُ الْمَانِيهِ أَوَّلَ الْفَرَسِ بَعْدَ الْفَرَسِ نَاعًا ، عَلَّ كَسَرَتْ وَبَصَرَ ، وَعَلَاهُ

كَسَرَتْ وَبَصَرَ أَيْضًا وَأَعْلَاهُ ، وَالْهَلْ مَحْرُكَةٌ : أَوَّلُ الْمَرْبِ . هَلَّتْ الْإِبِلُ كَمَرْجٍ ، وَفَدَّ أَهْلُهَا

من اليمين ، تحمل مالا وحللا ، وعَنبراً وطيباً إلى ، لِأودِعَهَا خَزَائِنَ دِمَشْقَ ،
وأعلَّ بها بعد النَّهْلِ بَنِي أَبِي ، وَأَنْكَ احْتَجَّتْ إِلَيْهَا فَأَخَذَتْهَا ، ولم تكن
جديراً بأخذها ، إِذْ نَسَبَتْهَا إِلَى ، لِأَنَّ الْوَالِيَّ أَحَقَّ بِالْمَالِ ، ثُمَّ عَلَيْهِ الْمَخْرَجُ
منه ، وَأَيُّمُ اللَّهِ لو تَرَكْتَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ إِلَيَّ ، لَمْ أَبْجَسَنَّكَ حَظَّكَ مِنْهُ ، وَلَكِنِّي
قَدْ ظَنَنْتُ يَا بَنَ أَخِي أَنَّ فِي رَأْسِكَ تَزْوَةَ^(١) ، وَبِوُدِّي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ فِي
زَمَانِي ، فَأَعْرِفَ لَكَ قَدْرَكَ ، وَأَتَجَاوَزَ عَنْ ذَلِكَ ، وَلَكِنِّي وَاللَّهِ أَتَخَوَّفُ أَنْ
تُبْتَلَى بِمَنْ لَا يُنْظَرُكَ فُؤَادُ^(٢) نَاقَةٍ ، وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

يَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ : لَيْسَ مَا	جِئْتَ بِالسَّائِغِ يَوْمًا فِي الْعِلَلِ ^(٣)
أَخَذَكَ الْمَالَ وَلَمْ تُؤْمَرْ بِهِ	إِنَّ هَذَا مِنْ حُسَيْنٍ لَعَجَلٍ
قَدْ أَجَزْنَاهَا وَلَمْ نَغْضَبْ لَهَا	وَاحْتَمَلْنَا مِنْ حُسَيْنٍ مَا فَعَلَ
يَا حُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ ذَا الْأَمَلِ	لَكَ بَعْدِي وَثْبَةٌ لَا تُحْتَمَلُ
وَبِوُدِّي أَنِّي شَاهَدُهَا	فَإِلَيْهَا مِنْكَ بِالْخُلُقِ الْأَجَلِ ^(٤)
إِنِّي أَرْهَبُ أَنْ تَصْلَى بِمَنْ	عِنْدَهُ فِدَا سَبَقِ السَّيْفِ الْعَدَلِ ^(٥)

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٣٢٧)

-
- (١) الزوة : الوثبة ، من تزا نروا ورواها إذا وثب ، ربد أنه ثوبت لطلب الخلافة .
(٢) أنظره : أمهله ، والعواق كعرات وفتح : ما بين الحلتين من الوقت ، أو ما بين فتح ذلك
وقبصها على الصرع . (٣) السائغ : الخائر . (٤) ألها : أي أولوها وأعالها .
(٥) سقى السيف العدل : مثل معناه قد فرط من الفعل مالا سبيل إلى رده (والعدل : اللوم)
وأول من قال هذا المثل صبة بن أدد بن طابجة بن إلياس بن مصر ، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد
وللآخر سعيد ، فمعت إبل لضمة تحت الليل ، فوحه ابنه في طلبها ، فوجدها سعد فردها ، ومضى
سعيد في طلبها ، فلقبه الحارث بن كعب ، وكان على العلام بردان ، فسأله الحارث لإيأها ، فأبى عليه ،
فقتله وأخذ رده ، وكان ضمة إذا أمسى فرأى تحت الليل سوادا قال : أسعد أم سعيد (فدهمت
مثلا نصرت في السحاح والحية) فركت ضمة بذلك ماشاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج فواري عكاظ ، فلقى
بها الحارث بن كعب ورأى عليه بردى ابنه سعيد ، فعرفهما فقال له : هل أتت بحبرى ما هذان

٢١ - كتاب محمد بن الحنفية إلى الحسين بن علي

وجرى بين الحسين بن عليّ وبين أخيه محمد^(١) بن الحنفية رضي الله عنهما كلام ، واقتربا متغاضبين ، فلما وصل محمد إلى منزله كتب إلى الحسين بعد البسملة :

« من محمد بن عليّ إلى أخيه الحسين بن عليّ ، أما بعد ، فإن لك شرفاً لا أبلغه ، وفضلاً لا أدركه ، فإن أُمّي امرأة من بني حنيفة ، وأُمّك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو كان من الأرض نساء مثل أُمّي ما وفّيت بأُمّك ، فإذا قرأت رُفعتي هذه فالبس رداءك ونعليك ، وسِرْ إلىّ لترضيني ، وإياك أن أسبقك إلى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني ، والسلام » :

فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء إليه وترضاه^(٢) .

(عرر الخصائص الواضحة : ص ٣٨٣)

البردان اللذان عليك ؟ قال : بلى ، ثبيت غلاماً وهما عليه ، فسألته لإيهاما فأبى عليّ فقتله وأخذت برديه هذين ، فقال ضبة : سيعك هذا ؟ قال : نعم ، فقال : فأعطينيه أُنظر إليه فإنّي أظنه صارماً ، فأعطاه الحارث سيفه ، فلما أخذه من يده هزه وقال : الحديث ذوشجون (أى ذو طرق جمع شجن كشمس) ثم صربه به حتى قتله ، ف قيل له : يا ضبة ، أفى المهر الحرام ؟ فقال : سبق السيف العذل . (١) هو محمد بن علي بن أبي طالب ، والحنفية أُمّه ، وهى من بني حنيفة بن لقيم ، واسمها خولة بنت جعفر ، ووفى محمد سنة ٨١ - انظر ترجمته فى وفيات الأعيان ١ : ٤٤٧ .

(٢) وفى رواية زهر الآداب (١ : ٧١) .

وقع بين الحسن بن عليّ ومحمد بن الحنفية رضى الله عنهما لقاء (أى مازعة) ومضى الناس بينهما بالنمائم ، فكتب إليه محمد بن الحنفية :

« أما بعد ، فإن أنى وأباك عليّ بن أبي طالب ، لا تفضلنى فيه ولا أفضلك ، وأُمّي امرأة من بني حنيفة ، وأُمّك فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلو ملكت الأرض بمثل أُمّي ، لكأنت أُمّك خيراً منها ، فإذا قرأت كتابى هذا ، فاقدم حتى ترضانى ، فإنك أحق بالفضل منى » .

٢٢ - كتاب الحسن بن علي إلى أهل البصرة

وكتب الحسن بن علي عليهما السلام إلى أهل البصرة كتاباً قال فيه :
« من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر ، ومن حمل ذنبه على ربه
فقد فُجِرَ ، إن الله لا يُطاعُ استكراها ، ولا يُعصى لِعَلْبَةٍ ، لأنه المليك لما
ملكهم ، والقادر على ما أقدروا عليه ، فإن عَمِلُوا بالطاعة لم يَحُلْ بينهم وبين
ما فعلوا ، وإن عَمِلُوا بالمعصية فلو شاء حال بينهم وبين ما فعلوا ، فإذا لم يفعلوا
فليس هو الذي أجبرهم على ذلك ، فلو أجبر الله الخلق على الطاعة لَأَسْقَطَ
عنهم الثواب ، ولو أجبرهم على المعاصي لَأَسْقَطَ عنهم العقاب ، ولو أهملهم
لَكَانَ عَجْزاً في القدرة ، ولكن له فيهم المَشِيئَةُ التي غَيَّبَهَا عنهم ، فإن عملوا
بالطاعات كانت له المِنَّةُ عليهم ، وإن عملوا بالمعصية كانت له الحُجَّةُ عليهم .
(النسخة والأمل ص ١٠)

٢٣ - كتاب ابن عباس إلى مجبرة الشام

وكتب عبد الله بن عباس إلى مُجْبِرَةِ^(١) الشَّامِ :
« أما بعد ، أأمرؤن الناس بالتقوى وبكم صَلَّ المتقون ، وَتَنَهَوْنَ الناس
عن المعاصي وبكم ظهر العاصون ؟ يا أبناء سَلَفِ المقاتلين ، وأعوان الظالمين ،
وَحُزَّانِ مساجد الفاسقين ، وُعَمَّارِ سَلَفِ الشياطين ، هل منكم إِلَّا مُفْتَرٍ على الله

(١) المجبرة أو الحبرية: فرقة تقول بأن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة ، وإنما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار ، وأنه كالريسه في مهب الرياح ليس له كسب فيما يأتيه .

يَحْمِلُ أَجْرَامَهُ^(١) عَلَيْهِ ، وَيَنْسِيهَا عَلَانِيَةً إِلَيْهِ ، وَهَلْ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ السَّيْفُ قِلَادَتُهُ ، وَالزُّورُ عَلَى اللَّهِ شَهَادَتُهُ ؟ أَعَلَى هَذَا تَوَالَيْتُمْ ، أَمْ عَلَيْهِ تَمَالَيْتُمْ^(٢) ؟ حَظُّكُمْ مِنْهُ الْأَوْفَرُ ، وَنَصِيبُكُمْ مِنْهُ الْأَكْبَرُ ، عَمَدْتُمْ إِلَى مُوَالَاةٍ مَنْ لَمْ يَدْعَ لِلَّهِ مَالًا إِلَّا أَخَذَهُ ، وَلَا مَنَارًا إِلَّا هَدَمَهُ ، وَلَا مَالًا لِيَتِيمٍ إِلَّا سَرَقَهُ أَوْ خَانَهُ ، فَأَوْجَبْتُمْ لِأَخْبَثِ خَلْقِ اللَّهِ أَعْظَمَ حَقٍّ لِلَّهِ ، وَتَخَاذَلْتُمْ أَهْلَ الْحَقِّ حَتَّى ذَلُّوا وَقَلُّوا ، وَأَعْتَمْتُمْ أَهْلَ الْبَاطِلِ حَتَّى عَزُّوا وَكَثُرُوا ، فَأَنْيَبُوا إِلَى اللَّهِ وَتَوَبُّوا ، تَابَ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ ، وَقَبِلَ مِنْ أَنْابٍ . (المية والأمل ص ٩)

٢٤ - كتاب معاوية إلى عمرو بن العاص

وَكُتِبَ مُعَاوِيَةَ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ - وَبَلَغَهُ عَنْهُ أَمْرٌ - :
« وَقَفَّكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ ، بَلَغَنِي كَلَامُكَ فَإِذَا أَوَّلُهُ بَطَرٌ وَآخِرُهُ خَوَرٌ ،
وَمِنْ أَبْطَرِهِ الْغَنَى أَذَلَّهُ الْفَقْرُ ، وَهَذَا صِدْدَانُ مُخَادَعَانِ لِلْمَرْءِ عَنْ عَقْلِهِ ، وَأَوَّلَى
النَّاسِ بِمَعْرِفَةِ الدَّوَاءِ مَنْ يَبِينُ لَهُ الدَّاءُ ، وَالسَّلَامُ . »

٢٥ - رد عمرو على معاوية

فَأَجَابَهُ عَمْرُو :

« طَاوَلْتُكَ النَّعْمَ ، وَطَاوَلْتُ بِكَ ، عَلُوْا لِنَصَافِكَ يَوْمَ مِنْ سَطْوَةِ جَوْرِكَ ،
ذَكَرْتَ أَنِّي نَطَقْتُ بِمَا تَكْرَهُ ، وَأَنَا مُخْدَوِعٌ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي مِلْتُ إِلَى مُحِبَّتِكَ
وَلَمْ أُخْدَعْ ، وَمِثْلُكَ شَكَرَ مَسْعَى مُعْتَذِرٍ ، وَعَفَا زَلَّةَ مُعْتَرِفٍ . »

(العدد العرود ٢ : ٢٠١)

(١) الأحرار : جمع حرم بالصم وهو الحرمة . (٢) مخفف عن غلام أي اجتمعهم .

٢٦ - كتب بين معاوية وبسر بن أبي أرطاة وبين زياد ابن أبيه

روى الطبرى قال :

« صالح الحسن عليه السلام معاوية ، وشَخَّص إلى المدينة ، فبعث معاوية بُسرَ بنَ أبي أرطاة إلى البصرة في رجب سنة ٤١ هـ ، وزيادٌ متحصِّنٌ بفارس^(١) ، فكتب معاوية إلى زياد : « إِنَّ في يديك مالاً من مال الله ، وقد وَلَّيتَ ولايةً ، فأدِّ ما عندك من المال » : فكتب إليه زياد :

« إنه لم يَبْقَ عندي شيءٌ من المال ، وقد صَرَفْتُ ما كان عندي في وَجْهِهِ ، واستودعتُ بعضَه قوماً ، لِإِزالةٍ إنْ تَزَكَّتْ ، وَحَمَلْتُ ما فَضَلَ إلى أمير المؤمنين^(٢) رَحْمَةُ اللَّهِ عليه . »

فكتب إليه معاوية « أَنْ أَقْبِلْ إلى نَنْظَرٍ فيما وَلَّيتَ وَجَرَى على يديك ، فَإِنْ استقامَ بيننا أمرُ فهو ذاك ، وإلا رَجَعْتَ إلى مَأْمَنِكَ » .

فلم يَأْتِهِ زياد ، فأخذ بُسرُ بنَ زياد الأكبرَ منهم فحبسهم (عبد الرحمن وعُبَيد الله وعَبَّاداً) وكتب إلى زياد :

« لَتَقْدَمَنَّ على أمير المؤمنين أَوْ لَأَقْتُلَنَّ بَنِيكَ » فكتب إليه زياد :
« لستُ بَارِحاً من مكانى الذى أَنَا بِهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بينى وبين صاحبك »

(١) وكان واليا عليها من قبل الإمام على كرم الله وجهه كما قدمنا في الجزء الأول .

(٢) يعنى الامام عليا رضى الله عنه .

فإن قتلَ مَنْ في يدك من ولدي ، فالمصيرُ إلى الله سبحانه ، ومن ورائنا وورائكم الحسابُ ، وسيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .
فهم يقتلهم ، فاتاه أبو بكر^(١) فقال : أخذت ولدي وولد أخى غلمانا بلا ذنب ، وقد صالح الحسن معاوية على أمان أصحاب عليّ حيث كانوا ، فليس لك على هؤلاء ولا على أيهم سبيل ، فقال : إنَّ على أخيك أموالاً قد أخذها ، فامتنع من أدائها ، قال : ما عليه شيء ، فاكف عن بني أخى حتى آتيك بكتاب من معاوية بتخليتهم ، فأجله أياما ، قال له : إن آتيتني بكتاب معاوية بتخليتهم ، وإلا قتلتهم ، أو يُقبلَ زياد إلى أمير المؤمنين ، فأتى أبو بكر معاوية فكلّمه في زياد وبنيه ، وكتب معاوية إلى بُسر بالكف عنهم وتخليّة سبيلهم ففعلهم .

وفي رواية أخرى للطبرى أيضاً قال :

كتب بُسر إلى زياد : « لئن لم تَقْدَمْ لَأَصْلُبَنَّ بَنِيكَ » فكتب إليه : « إن تفعل فأهلُ ذاك أنت ، إما بعث بك ابنُ آكلة الأكباد^(٢) » فركب أبو بكر إلى معاوية ، فقال : يا معاوية إن الناس لم يعطوك ينعّتهم على قتل الأطفال ، قال : وما ذاك يا أبا بكر ؟ قال : بُسر يريد قتل أولاد زياد ،

(١) هو أخو زياد لأمه ، وأبوه الحرث بن كلفة .

(٢) هو همد أم معاوية ، وذلك أن حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم بدر قد قتل معها شمة بن ربيعة بن عبد سمس ، واشترك هو والإمام علي وعبيدة بن الحرث بن المطلب في قتل أمها عتبة بن ربيعة ، واشترك هو والإمام علي وريد بن حارثة في قتل ابن زوجها حنظلة ابن أبي سفيان ، فلما كانت عروه أحد قتل حمزة رضى الله عنه (قتله وحنى مولى حير بن مطعم ، دعاه سيده وقال له اخرج مع الناس فإن أت قتل حمزة نعى طعيمة فأنت حر) ومثل المشركون يقتل المسلمين ، وبعث همد نطن حمزة وأخذت كبده لأكلها انتقاماً منه فلا كفها ثم أرسلتها .

فكتب معاوية إلى بسر أن خلّ من يديك من ولد زياد ، وكان معاوية قد كتب إلى زياد بعد قتل عليّ عليه السلام يتوعده : (تاريخ الطبري ٦ : ٩٦)

٢٧ - كتاب معاوية إلى زياد

وروى ابن أبي الحديد قال :

كان عليّ عليه السلام قد ولّى زياداً قطعة من أعمال فارس ، واصطنعه لنفسه ، فلما قتل عليّ عليه السلام بقي زياد في عمله ، وخاف معاوية جانيه ، وعلم صعوبة ناحيته ، وأشفق من مُمَالَاتِهِ الحسن بن عليّ عليه السلام ، فكتب إليه :

« من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن عُمَيْدٍ^(١) ، أما بعد : فإنك عبَدٌ قد كفرت النعمة ، واستدعيت الثَّغْمَةَ ، ولقد كان الشكرُ أوّلَى بك من الكفر ، وإن الشجرة لتضربُ بِعِرْقِهَا ، وتفرّع من أصلها ، إنَّكَ - لا أمَّ لك^(٢) »

(١) ذكروا أن سمة أم رباب كانت قد وهبها أبو الحارث بن عمرو الكندي للحارث بن كلدة - وكان طبيبا يعالجه - فولدت له عليّ فرائشه ناعما ، ثم ولدت أباكرة فأبكر لونه ، وميل له : إن حارثك مي ، فاتفق من أبي بكره ومن نافع ، وروحها عيدا - وكان عدا لاسنته - فولدت عليّ فرائسه زيادا (العقد المرمد ٣ : ٢) .

(٢) يقول الرجل للرجل « لا أم لك » وهو شتم وسب ، ومعناه : ليس لك أم حرة . وذلك أن بني الإماء عبد العرب مدمومون ليسوا معرضين ولا لاحتين بنى الحارث ، وقيل معناه : أنت أقيط لا تعرف لك أم ، ولا يقول الرجل لصاحبه « لا أم لك » إلا في غرضه عليه مقصرا به شامتا له (وربما وضع موضع المدح معنى التعجب منه) .

وأما إذا قال « لا أم لك » - وقال أيضا لا أب لك ولا أبأك ولا أمك فغير لام - فلم يترك له من الشبهة شتاء ، وإذا أراد كرامة قال « لا أم لك » ولا أم لك » ولا أم لك » .

وجاء في كسب اللعة أيضا : وأكثر ما يذكر « لا أم لك » في المدح ، أي لا كافٍ لك غير نفسك وقد يذكر في معرض الذم كما يقال لا أم لك ، وقد يذكر في معرض التعجب ودعوا للعين كقولهم لله

بل لا أب لك - قد هلك وأهلك^(١)، وظننت أنك تخرج من قبضتي ،
ولا ينالك سلطاني ! هيهات ! ما كل ذي لبٍ يُصيبُ رأيه ، ولا كل ذي
رأي ينصح في مشورته ، أمس عبدٌ ، واليوم أميرٌ ! خُطَّةٌ ما ارتقاها مثلك
يا بنُ سُمَيَّة !

وإذا أتاك كتابي هذا فخذ الناس بالطاعة والبيعة ، وأسرع الإجابة ،
فإنك إن تفعل فدمك حَقَنْتَ ، ونفسك تداركتَ ، وإلا اختطفْتُك
بأضعف ريش^(٢) ، ونلتُك بأهون سعى ، وأقسِمَ قسماً مَبْرُوراً أن لا أُوتِي
بك إلا في زِمارة^(٣) ، تمشي حافياً من أرض فارس إلى الشام ، حتى أقيمك في
السوق ، وأبيعك عبداً ، وأردُّك إلى حيثُ كنتَ فيه ، وخرجت منه ،
والسلام . (شرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٦٨)

٢٨ - رد زياد على معاوية

فلما ورد الكتاب على زياد غَضِبَ غضباً شديداً ، وكتب إلى معاوية :
« أما بعد : فقد وصل إلي كتابك يا معاوية ، وفهمتُ ما فيه ، فوجدتك
كالغريق يُعْطِيهِ الموجُ فيتشبَّث بالطُحْلُبِ^(١) ، ويتعلق بأرجل الضفادع ،

دوك ، وقد يدكر بمعنى جدد في أمرك وشمر لأن من له أب اتكل عليه في بعض شأنه .
وحاء فيها « لا أب لك : دعاء ، في المعنى لاحالة وواللفظ خبر ، يقال لمن له أب ولن لأب له ، وقيل
لا أب لك : كلمة تفصل بها العرب كلامها .

- (١) أي وأهلك وأسرته ، لأن خروجك على يعرضها لبطشي بها .
- (٢) يريد بأضعف قوة ، وكانوا يلزقون الريش على السهم ليعوّوه ويسددوه ، ومنه قالوا راس
السهم يريشه إذا ركب عليه الريش ، فهو مريش .
- (٣) أي في حمالة زمارة نرمز حولك بالمرامير لتمهيدك والتشجيع عليك .
- (٤) الطحلب بضم اللام وفتحها : حشرة تعلق بالماء المزمّن .

طَمَعًا فِي الْحَيَاةِ ، إِنَّمَا يَكْفُرُ النَّعَمَ ، وَيَسْتَدْعِي النَّفَمَ مِّنْ حَادٍّ^(١) اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَسَعَى فِي الْأَرْضِ فُسَادًا .

فَأَمَّا سَبْثُكَ لِي فَلَوْلَا حِلْمٌ يَنْهَانِي عَنْكَ ، وَخَوْفِي أَنْ أُدْعَى سَفِيهًا ، لَأَثَرْتُ^(٢)
لَكَ مَخَازِي لَا يَغْسِلُهَا الْمَاءُ ، وَأَمَّا تَعْيِيرُكَ لِي بِسُمِّيَّةٍ ، فَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سُمِّيَّةٍ
فَأَنْتَ ابْنُ حَمَامَةٍ^(٣) ، وَأَمَّا زَعْمُكَ أَنَّكَ تَحْتَطِفُنِي بِأَضْعَفِ رِيَشٍ ، وَتَتَنَاوَلُنِي
بِأَهْوَنِ سَعَى ، فَهَلْ رَأَيْتَ بَازِيًا يُفْزِعُهُ صَغِيرُ الْقَنَابَرِ^(٤) ؟ أَمْ هَلْ سَمِعْتَ بِذَنْبٍ
أَكَلَهُ خُرُوفٌ ؟ فَاْمُضِ الْآنَ لَطِيَّتِكَ^(٥) ، وَأَجْهَدْ جَهْدَكَ^(٦) ، فَلَسْتُ أَنْزِلَ إِلَّا
بِمَحِثٍ تَكْرَهُهُ ، وَلَا أَجْتَهِدُ إِلَّا فِيمَا يَسُوءُكَ ، وَسَتَعَلَّمُ أَثْنًا خَالِصًا لِّصَاحِبِهِ ،
الطَّالِعُ إِلَيْهِ ، وَالسَّلَامُ » . (شرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٦٨)

٢٩ — رد معاوية على زياد

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمّه وأحزنه^(٧) ، ثم كتب إليه مع
الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ :

- (١) أى عاضبه وخالفه وعاداه . (٢) لأبررت وأظهرت .
- (٣) روى ابن أبي الحديد في شرحه (م ١ : ص ١٥٧) أن حمامة حدة معاوية أم أبيه أبي سفيان ،
وأنها كانت غيا في الجاهلية صاحبه راية .
- (٤) البازي : واحد البزاة التي تصيد ، صرب من الصفور ، الفز كسكر : صرب من المصافير
واحدته قبرة ، والفزباء بضم الباء وفحها لغة فيها والجمع الفابر ، والعامّة تقول القبرة بالصم ، وقد
جاء ذلك في الرجز * جاء الشاء واجئال القنبر * (اجتال الطائر : هشر ريشه) .
- (٥) الطنة : اللحية ، والحاجة والوطر ، فهي تكون منزلا وتكون متوى ، ومضى لطيحه أى
لوجهه وقصده الذى يريده ولتيته التى انتواها .
- (٦) المجهود بالفتح ويضم : الطاقة ، واجهد جهداً : ابلغ مايتك .
- (٧) روى ابن أبي الحديد قال : « وبعث إلى المغيرة بن شعبه خلافة وقال : يا معاوية ، إن أريد
مشاورتك في أمر أهمل ، فانصحنى فيه وأشر علىّ رأي الجتهد ، وكن لي أكن لك ، فقد خصصتك

« من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان^(١) ، أما بعد :
فإن المرء ربما طرّحه الهوى في مطّارح العطب ، وإنك للمرء المضروب به
المثل : قاطع الرّحم ، وواصل العدو ، حمّك سوء ظنّك بي ، وبغضك لي على

بصري ، وآثرتك على ولدي ، قال المغيرة : فما ذاك ؟ والله لتجدني في طاعتك أمضى من الماء في
الحدور ، ومن ذى الروق في كف الطل الشجاع ، قال : يا مغيرة إن زيادا قد أقام هارس بكش لنا
كشيش الأقمى (كشيش الأقمى : صوتها من حلقها لامن فيها ، وفعله كضرب) وهو رجل ثاقب
الرأى ماضى العزيمة جوال الفكر مصب إذا رمى ، وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه
حيا ، وأخشى مما لأنه حسنا ، فكف السبيل إليه ، وما الحيلة في إصلاح رأيي ؟ قال المغيرة : أنا له إن لم
أمت ، إن زيادا رجل يحب العرف والذكر وصعود النابر ، فلو لاططته المسألة وألنت له الكتاب ،
لكان لك أميل ولك أوثق ، فاكتب إليه وأنا الرسول ، ورحل المغيرة بالكتاب حتى قدم فارس ،
فلما رآه زياد قربه وأدناه ولفظ به مدع إليه الكتاب فجعل تأمله ويضحك ، وكان مما قاله له المغيرة :
دع عنك اللجاج يرحمك الله وأرجع إلى قومك وصل أخاك وانظر لنفسك ولا تقطع رحمك ، قال زياد : إنني
رجل صاحب أناة ، ولي في أمري روية ، فلا تمحل عليّ ولا تبدأني بشيء حتى أبدأك ، وقال صاحب
العقد : (٣ : ٣) وكان المغيرة لزياد صديقا ، وذلك أن زيادا كان أحد اليهود الأربعة الذين شهدوا
على المغيرة (أي بالزنا) وهو الذي تلجلج في سهادته عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فجا المغيرة وجلد
الثلاثة من اليهود وهم أبو بكره أخو زياد ... قال زياد للمغيرة : أشر عليّ وارم الفرس الأقمى ،
فإن المستشار مؤتمس ، قال أرى أن تصل حبلك بحبله وتسير إليه وتعير الناس أذنا صماء وعينا عمياء ...
وقد عمل بمشورة المغيرة وسار إلى معاوية .

(١) ذكروا أن البغايا في الجاهلية كانت لهن رايات يعرفن بها وستحها الفتنان ، فيقال إن أناسيا
خرج يوما وهو مثل إلى تلك الرايات ، فقال لصاحبة الراية هل عندك من نبي ؟ فقالت : ما عندي
إلا سمية ، قال : هانها على نبي لبطيها ، فوقع بها ، فولدت له زيادا على فراش عبيد (العقد الجديد ٣ : ٢)
وقد شهد أبو مريم السلولى حين اسلحق معاوية زيادا قال : أشهد أن أناسيا قدم علينا بالطائف ،
وأنا بخار في الجاهلية ، فاشتريت له لحما وخمرا وطعاما ، فلما أكل قال : يا أناسيا ابني بغيري ، فخرجت
فأنتيت سمية ، فقلت لها : إن أنا سمعان من قد عرف شرفه وجوده ، وقد أمرني أن أصيب له بغيري ،
فهل لك ؟ فقالت : نعم يحيى الآن عبيد بفسمه — وكان راعيا — فإذا تعمى ووضع رأسه أيتها ،
فخرجت إلى أبي سفيان فقلت : لم أجد إلا حارية الحرث بن كلفة : سمية ، فقال : أئتني بها على ذفرها
وقذرها ، وأخذ بكم درعها ، وأغلقت الباب عليهما ، فلم ألبث أن خرج عليّ بسج جبينه ، فقلت :
مه يا أناسيا ، فقال : ما أصبت مثلها يا أبا مريم ، لولا استرخاء من نديها وذفر في لبطيها (شرح ابن
أبي الحديد ٤ : ص ٧٠ ومروج الذهب ٢ : ص ٥٦) (الذفر بالتحريك ويسكن : التثنية ، والذفر

بالتحريك : كل ربيع ذكية من طيب أوتن ، أو ينحس برائحة الإبط المنتنة) .
وكان يقال له : زياد بن عبيد ، وزياد بن أبيه ، وزياد بن سمية ، وزياد بن أمه ، ولما اسحاق
(سنة ٤٤ هـ) قيل له زياد بن أبي سفيان .

أَنْ عَقَقْتَ قَرَابَتِي ، وَقَطَعْتَ رَحْمِي ، وَبَدَتَ^(١) نَسَبِي وَحُرْمَتِي ، حَتَّى كَأَنَّكَ لَسْتَ أَخِي ، وَلَيْسَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ أَبَاكَ وَأَبِي ! وَشَتَانُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، أَطْلُبُ بَدْمَ ابْنِ أَبِي الْعَاصِ^(٢) وَأَنْتَ تَقَاتِلُنِي ، وَلَكِنْ أَدْرَكَكَ عِرْقُ الرَّخَاوَةِ مِنْ قَبْلِ النِّسَاءِ ، فَكُنْتَ كَتَارِكَةٍ بِيضَهَا بِالْعَرَاءِ^(٣) : وَمُلْحِفَةٌ بِيضَ أُخْرَى جَنَاحَهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أُعْطِفَ عَلَيْكَ ، وَلَا أُوَاخِذُكَ بِسُوءِ سَعْيِكَ ، وَأَنْ أَصِلَ رَحْمَكَ ، وَأَتَبَغَّى الثَّوَابَ فِي أَمْرِكَ ، فَاعْلَمْ أَبَا الْمُغِيرَةِ أَنَّكَ لَوْ خُصِمْتَ الْبَحْرُ فِي طَاعَةِ الْقَوْمِ فَتَضْرَبَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَنْقَطِعَ مَشْتُهُ ، لَمَّا أَزْدَدْتَ مِنْهُمْ إِلَّا بُعْدًا ، فَإِنَّ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَبْغَضُوا إِلَى بَنِي هَاشِمٍ مِنَ الشُّفْرَةِ إِلَى الثَّوْرِ الصَّرِيعِ وَقَدْ أُوثِقَ لِلذَّبْحِ ، فَارْجِعْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى أَصْلِكَ وَاتَّصِلْ بِقَوْمِكَ ، وَلَا تَكُنْ كَالْمَوْصُولِ يَطِيرُ بِرِيشٍ غَيْرِهِ ، فَقَدْ أَصْبَحْتَ ضَالًّا النَّسَبِ ، وَلَعَمْرِي مَا فَعَلَ بِكَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّجَاجُ ، فَدَعَاهُ عَنْكَ فَقَدْ أَصْبَحْتَ عَلَى يَنِينَةٍ مِنْ أَمْرِكَ ، وَوَضُوحٍ مِنْ حُجَّتِكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ جَانِبِي وَوَثِّقْتَ بِي فَاِمْرَةً بِأَمْرَةٍ ، وَإِنْ كَرِهْتَ جَانِبِي وَلَمْ تَتَّقْ بِقَوْلِي ، فَفَعَلْتُ جَمِيلًا ، لَا عَلَى وَلَا لِي ، وَالسَّلَامُ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٦٩)

٣٠ - رد زياد على معاوية

فكتب إليه زياد جواب كتابه :

« أما بعدُ : فقد وصل كتابك يا معاوية مع المُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ وَفَهِمْتُ

(١) قطعب . (٢) أي عمان وهو عمان بن عمان بن أبي العاص بن أمة .

(٣) العراء : الفضاء لا يستقر فيه بشي .

ما فيه ، فالحمد لله الذى عرفك الحقَّ ورَدَّكَ إلى الصَّلَةِ ، ولست ممن يجهل معروفاً ، ولا يُنفِلَ حسباً ، ولو أردتُ الآن أن أُجيبك بما أوجبته الحُجَّةُ ، واحتمله الجوابُ ، لطال الكتابُ ، وكر الخطابُ ، ولكنك إن كنتَ كتبتَ كتابك هذا عن عَقْدٍ صحيح ونية حسنة ، وأردتَ بذلك برّاً ، فستزرع في فلبى مودة وقبولا ، وإن كنتَ إنما أردتَ مَكِيدَةً ومكرًا وفساد نيةً ، فإن النفس تأبى ما فيه العَطَبُ ، ولقد قمتُ يوم قرأتَ كتابك مقاماً يعنينا به الخطيبُ المِدرَه^(١) ، فتركتُ مَنْ حَضَرَ لأهلِ وِردٍ ولا صَدَرَ^(٢) ، كالمُتَحَيِّرِينَ بِمَهْمَةٍ^(٣) ضل بهم الدليلُ ، وأما على أمثال ذلك قديرٌ

وكتب في أسفل الكتاب :

إِذَا مَعْشَرِي لَمْ يُنْصَفُونِي وَجَدْتَنِي أَدِيعُ عَنِ الضَّيِّمِ مَا دُمْتُ بَاقِيَا
وَكَمْ مَعْتَرٍ أَعَيْتَ فَنَاتِي عَلَيْهِمْ فَلَامُوا وَأَلْقُونِي لَدَى الْعِزْمِ مَا صَيَا
وَهُمْ بِهِ صَاقَتْ صَدُورُ فَرَجْنُهُ وَكُنْتُ بَطْنِي لِلرَّجَالِ مُدَاوِبَا

(١) وذلك أنه لما ورد عليه المعبرة بكلمات معاونة ، جمع الناس بعد يوهين أو ثلاثة خطتهم فقال أباها الناس : ادعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارفعوا إلى الله في دوام العافية لكم ، فقد نظرت في أمور الناس منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم فوجدتهم كالأصاحبي في كل عيد يدعحون ، ولقد أفي هذا اليومان يوم الحجل وصميين ما يفي على مائة ألف كلهم رعم أنه طالب حق وتابع لإمام وعلى نصيره من أمره ، فإن كان الأمر هكذا فالعادل والمنقول في اللمة ، كلا ليس كذلك ، وانكسر أشكل الأمر ، والانس على القوم ، وإلى لحائف أن رجع الأمر كما بدا ، وكيف لا يرى سلامة ديه ، وقد نظرت في أمر الناس فوجدت أحد العافيين النابية ، وسأعمل في أموركم ما عمدون عافته و... ه ، فمدحمت طاعكم إن شاء الله .

والندرة : القدم في الاسان عند المحصوما ، فهو لسان القوم والمكلم عنهم الذي يرجعون إلى رآه .

(٢) الورد : الإشراف على الماء وغيره دخلا أو لم ندخلا ، والصدر : الرجوع .

(٣) المهمة : المفاراة العدة والبلد المنعمر .

أدافعُ بالحلمِ الجَهْلَ مَكِيدَهٗ وَأُخْفِي لَهُ تَحْتَ الصُّلُوعِ الدَّوَاهِيَا^(١)
فَإِنْ تَدُنْ مِنِّي أَدُنْ مِنْكَ، وَإِنْ تَبِنْ تَجِدُنِي إِذَا لَمْ تَدُنْ مِنِّي نَائِيَا^(٢)
فَأَعْطَاهُ مَعَاوِيَةَ جَمِيعَ مَا سَأَلَهُ ، وَكُتِبَ إِلَيْهِ بِخَطِّ يَدِهِ مَا وَثَّقَ بِهِ فَدَخَلَ إِلَيْهِ
السُّأَمُ ، فَقَرَّبَهُ وَأَدْنَاهُ وَأَقْرَبَهُ عَلَى وِلَايَتِهِ ، ثُمَّ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الْعِرَاقِ .

(شرح ابن أبي الحديد ج ٤ : ص ٦٩)

٣١ - كتاب الحسن بن علي إلى زياد ابن أبيه

وَكَانَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي سَرْحٍ مَوْلَى حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ شَيْعَةً لِعَلِيٍّ
ابْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَلَمَّا قَدِمَ زِيَادُ الْكُوفَةَ^(٣) طَلَبَهُ وَأَخَافَهُ ، فَأَتَى
الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُسْتَجِرًا بِهِ ، فَوَتَّبَعَ زِيَادٌ عَلَى أَخِيهِ وَوَلَدِهِ وَأُمَرَاتِهِ
فَجَسَسَهُمْ ، وَأَخَذَ مَالَهُ وَتَقَضَّى دَارَهُ ، فَكَسَبَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ
إِلَى زِيَادٍ :

من الحسن بن علي إلى زياد :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ تَعَمَّدْتَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمَسَامِينِ ، لَهُ مَا لَهُمْ ، وَعَلَيْهِ
مَا عَلَيْهِمْ ، فَهَدَمْتَ دَارَهُ ، وَأَخَذْتَ مَالَهُ ، وَجَبَسْتَ أَهْلَهُ وَعِيَالَهُ^(٤) ، فَإِنْ أَتَاكَ
كُنَابِيُّ هَذَا فَابْنِ لَهُ دَارَهُ ، وَارْزُقْ عَلَيْهِ عِيَالَهُ وَمَالَهُ ، وَشَقِّعْنِي فِيهِ فَقَدْ أَجَرْتُهُ .
وَالسَّلَامُ^(٥) » .

(١) في الأصل « نبت البصاة » وأرى أنه محرف ، والأقرب إلى المعنى « حب الصلوع » كما أنه

(٢) وإن : أي وإن مارق وبعد .

(٣) ولده معاوية الصرة سنة ٤٥ هـ ، ثم ضم إليه الكوفة بعد موت أميرها المعبر بن شعبة سنة ٥٠ هـ

(٤) العمال جمع عمل (تزياد جمع حيد) وهو من يلزم الأهل عليه ، ويكون اسماً للواحد .

(٥) وفي رواه أخرى أن من الكتاب .

« أما بعد فقد علمت ما كنا أئدنا من الأمل لأصحابنا ، وقد ذكر لي فلان أنك تروى له ، فأبى
أن لا تعرض له إلا بحير والسلام » .

٣٢ - رد زياد على الحسن

فغضب زياد إذ قدّم نفسه عليه ولم ينسبه إلى أبي سفيان ، وكتب إليه :
« من زياد بن أبي سفيان إلى الحسن بن فاطمة ، أما بعد : فقد أتاني
كتابك نبذاً فيه بنفسك قبلي وأنت طالبُ حاجة ، وأنا سلطان ، وأنت
سُوفة ، وتأمرني فيه بأمر المطاع المُسلّط على رعيته ، كتبت إلى في فاسقٍ
أَوْيَّته^(١) إقامةً منك على سوء الرأي ، ورضاً منك بذلك ، وأيم الله
لا نسبني به ولو كان بين جلدك ولحمك ، وإن نلتُ بعضك غير رفيق بك ،
ولا مُزعج عليك ، فإنَّ أحبَّ لحمٍ علىَّ أن آكله للحم الذي أنت منه ،
فسلمته بجريرته^(٢) إلى من هو أولى به منك ، فإن عفوت عنه لم أكن
شفعتك فيه ، وإن قتلتُه لم أقتله إلا لحبِّه أباك الفاسق ، والسلام^(٣) » .

٣٣ - رد الحسن على زياد

فلما ورد الكتاب على الحسن عليه السلام فرأه وتبسم ، وكتب بذلك
إلى معاوية ، وجعل كتاب زياد عِطْفَه^(٤) ، وبعث به إلى الشام ، وكتب
جواب كتابه كلمتين لا نائلة لهما :

(١) السوقه : الرعة ، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث ، وربما جمع على سوق بفتح الواو .

(٢) الحرره : الدب .

(٣) وفي رواية أخرى : « أما بعد فإنك كتبت إلى في فاسق لا يؤويه إلا الفاسق من شيعتك
وشعبة أباك ، وإم الله لأظلمه ولو بين جلدك ولحمك فإنَّ أحب أن آكل لحماً أب منه » .

(٤) أي حاسه ، وعطفاً كل شيء حاساه .

« من الحسن بن فاطمة إلى زياد بن سميّة ، أما بعدُ : فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الولد للفراش ، وللعاهر الحجر »^(١) ، والسلام » .

٣٤ - كتاب معاوية إلى زياد

فلما قرأ معاوية كتاب زياد إلى الحسن ضاقت به الشام ، وكتب إلى زياد :

« أما بعدُ ، فإن الحسن بن عليّ بعث إليّ بكتابك إليه ، جوائًا عن كتاب كتبه إليك في ابن أبي سرح ، فأكرت العجب منك ، وعلمت أنّك رأيين ، أحدهما من أبي سفيان ، والآخر من سميّة ، فأما الذي من أبي سفيان فحلم وحزم ، وأما الذي من سميّة فما يكون من رأي ميلها ، من ذلك كتابك إلى الحسن نشتم أباه وتعرض له بالفسق ، ولعمري إنك لأولى بالفسق من أبيه ، فأما أن الحسن بدأ بنفسه ارتفاعًا عليك ، فإن ذلك

(١) العاهر : الراف . والمعنى أن الرأي لاحق له في السب ولا حله في الولد ، وإنما هو اصحاب الفراش أي اصحاب أم الولد وهو روحها أو مولدها ، وهو كموله الآخر : له الرب أي لاسي له ، أراد الحسن عليه السلام بذلك أن يدلي لزياد أن اسلحوا معاوية إزاء مخالف لما مضى به السيرة ، وأنه يجب أن يدعى لعبد لا لأبي سفيان .

ومحدث أنه لما شهد اليهود محصره معاوية أن يبادا بسب إلى أبي سفيان ، فام نوس بن عبد الله قال : نامعاوية مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد لا فراش وللعاهر الحجر ، وفصحت أب أن الولد للعاهر ، وأن الحجر للفراش ، محالفة كتاب الله تعالى واصرافا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سباهه أي مرم على ربا أبي سفيان ، مال معاوية : واته يانوس ليهن أولأطرن بك طره نطشا وقوعها ، فقال نوس : هل إلا إلى الله ثم أعف ؟ قال : نعم وأسحصر الله فعال عبد الرحمن بن أم الحكم في ذلك - ومال إنه يريد بن مخرج الجري -

ألا أعف معاوية بن حرب معاملة عن الرجل الباني

أعصب أن مال أنوك عف ورضي أن مال أنوك راني

لَا يَضَعُكَ لَوْ عَقَلْتَ ، وَأَمَّا تَسْلُطُهُ عَلَيْكَ بِالْأَمْرِ فَحَقٌّ لِمِثْلِ الْحَسَنِ أَنْ
يَتَسَلَّطَ ، وَأَمَّا تَرْكُكَ نَشْفِيعَهُ فِيمَا شَفَعَ فِيهِ إِلَيْكَ ، فَحُظٌّ دَفَعْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ إِلَى
إِلَى مَنْ هُوَ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ كِتَابِي نَخْلُ مَا فِي يَدَيْكَ لِسَعِيدِ
أَبْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَأَبْنِ لَهُ دَارَهُ ، وَأَرْدُدْ عَلَيْهِ مَالَهُ ، وَلَا تَعَرَّضْ لَهُ ، فَقَدْ تَبَيَّنَتْ
إِلَى الْحَسَنِ « عَلَيْهِ السَّلَامُ » أَنْ يُخَيَّرَهُ : إِنْ شَاءَ أَقَامَ عِنْدَهُ ، وَإِنْ شَاءَ رَجَعَ إِلَى
بَلَدِهِ ، وَلَا سُلْطَانَ لَكَ عَلَيْهِ لَا يَدٍ وَلَا لِسَانَ ، وَأَمَّا كِتَابُكَ إِلَى الْحَسَنِ « عَلَيْهِ
السَّلَامُ » بِاسْمِهِ وَأَسْمِ أُمِّهِ ، وَلَا نَسْبِهِ إِلَى أَبِيهِ ، فَإِنَّ الْحَسَنَ وَيُحَاكُّ مَنْ لَا يُرْتَمَى
بِهِ الرَّجْوَانُ ^(١) ، وَإِلَى أَيْ أُمِّ وَكَلَّتَهُ لَا أُمَّ لَكَ ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا فَاطِمَةُ بِنْتُ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَذَاكَ أَنْخَرَهُ لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُهُ وَتَعْقِلُهُ ^(٢) ! «
وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ شِعْرًا مِنْ جَمَلِهِ :

أَمَّا حَسَنٌ فَأَبْنُ الَّذِي كَانَ قَبْلَهُ إِذَا سَارَ سَارَ الْمَوْتُ حَيْثُ يَسِيرُ
وَهَلْ بَلَدُ الرِّبَالِ إِلَّا نَظِيرُهُ وَذَا حَسَنٌ سِبْئُهُ لَهُ وَنَظِيرُ ^(٣)
وَلَكِنَّهُ لَوْ يُوزَنُ الْحِلْمُ وَالْحِجَابُ بِأَمْرِ لِقَالُوا يَدْبُلُ وَثِيرُ ^(٤)
(سَرَحَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ م ٤ : ص ٧٢ ، وَص ٧ ، وَالْعَدِيدُ ٣ : ص ٥)

(١) الرجوان : مسمى رجلا كعصا وهو ناحيه الأثر من أعلاها إلى أسفلها ، ويرى به الرجوان :
اسميين به واسمى كانه يرى به رجواثر ، أرادوا أنه طرح في المهلك .
(٢) وفي رواه أخرى : « أما بعد : فإن لك رأيين أحدهما من أني سمعان والآخر من سميه ، فأما
الذي من أني سمعان فخرم وعزم ، وأما الذي من سميه فكما يكون رأي ماله ، وإن الحسن بن علي
كتب إلى يذكر أنك عرضت لرحل من أصحابه ، وقد حرماه عنك ويطراه ، فاس لك على واحد
مهم سئل ولاخله حكم ، وعجب منك حين كتبت إلى الحسن لاندسه إلى أمه ، فأبى أمه وكانت لا أم
تأ ، فهو ابن فاطمة الزهراء أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالآن حين احتوت ل » .
(٣) الرئاء : الأسد وقد لا يهز . (٤) بدبل : حمل ملاد نحد . وثير : حمل بمكة .

٣٥ - كتاب زياد إلى معاوية

وقال زياد: ما غلبني أمير المؤمنين معاوية في شيء من السياسة إلا مرة واحدة: استعملت رجلاً فكسر خراجَه فخشى أن أعافيه، ففرَّ إليه واستجار به فأمنه، فكتبْتُ إليه: «إن هذا فساد لعملى إذا طلبتُ أحداً لجأ إليك فتحرَّم بك^(١)» .

٣٦ - رد معاوية عليه

فكتب إلى: «إنه لا ينبغي لنا أن نسوس الناس بسياسة واحدة، فيكون مقامُنا مقامَ رجل واحد، لأنَّ لِنَ جميعاً فيمَرِّحَ الناسُ في المعصية، ولا نشدَّ جميعاً، فنَحْمِلَ الناسَ على المَهْلَاكِ، ولكن تكون أنت للشدة والغلظة، وأكون أنا للرفافة والرحمة، فيسنريح الناس فيما بيننا» .

(العهد المريد ١ : ١٥ ، ٣ : ٥)

٣٧ - كتاب معاوية إلى زياد

وكتب معاوية إلى زياد: «أما بعد فاعزل حُرَيْثَ بن جابر عن العمل، فإنى لا أذكر مقاماتِهِ بِصِفَتَيْنِ إلا كانت حَزَازَةً في صدرى» .

(١) وفي رواية أخرى: «إن هذا أدب سوء لمن قلى» .

٣٨ — رد زياد عليه

فكتب إليه زياد : « أما بعدُ : خَفِّضْ عليك : يا أمير المؤمنين ، فإن حريتنا قد سَبَقَ شرفاً ، لا يَرْفَعُهُ معه عمل ، ولا يَضَعُهُ معه عَزْلٌ » .
(شرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٧٤)

٣٩ — كتاب زياد إلى الحكم بن عمرو الغفاري

ولما ولي زياد البصرة استعمل الحكم بن عمرو الغفاري على خراسان (سنة ٤٥ هـ) ثم كتب إليه (سنة ٥٠ هـ) « إن أهل جبل الأشل^(١) سلاحُهم اللُّبُود^(٢) ، وآيَتُهُم الذهب » فغزاهم وغَنِمَ منهم غنيمة عظيمة ، وورد على زياد الخبرُ بما غَنِمَ ، فكتب إليه :
« إن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصْطَفِيَ له كلَّ صفراءٍ وبيضاء والروائع^(٣) ، فلا تحركنَّ شيئاً حتى تُخْرِجَ ذلك »^(٤) .

٤٠ — رد الحكم عليه

فكتب إليه الحكم : « أما بعدُ فإن كتابك ورد ، تذكر أن أمير المؤمنين كتب إليّ أن أصْطَفِيَ له كلَّ صفراءٍ وبيضاء والروائع ، ولا تحركنَّ

(١) حل في معور خراسان .

(٢) هكذا في الأصل ولعله « لاسهم اللبود » واللبود جمع لبد كحل وهو الصوف بلند معصه على بعس

(٣) الصفراء الذهب . والصفاء : الفصا ، والروائع : العائس التي روع الطائر ينخماها واحد ، بها

(٤) وفي روايه العهد « فلا تقسم بين الناس دهاً ولا فضه » .

شيئاً ، وإني وجدت كتاب الله عزّ وجل قبل كتاب أمير المؤمنين^(١) ، وإنه والله لو كانت السموات والأرض رَتْقاً^(٢) على عبد اتقى الله عزّ وجل جعل الله سبحانه وتعالى له منها نَجْراً^(٣) .

وقال للناس اغدّوا على غنائكم ، ففدا الناس - وقد عزل الخمس - فقسم بينهم تلك الغنائم .

٤١ - رد زياد عليه

فكتب إليه زياد : « والله لئن بقيتُ لك لأقطعنّ منك طابقاً^(١) سَحْتاً » فقال الحكم : اللهم إن كان لي عندك خير فابضني ، فأت بخراسان بمرّة سنة ٥٠ هـ .

(تاريخ الطبري ٦ - ١٤١ ، والمعد المرید ١ : ١٩)

٤٢ - كتاب المغيرة بن شعبة إلى معاوية

وكتب المغيرة بن شعبة إلى معاوية حين كبر وخاف أن يسبديل به - وكان عامله على الكوفة - :

(١) يشير إلى قوله تعالى : « وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُسْنَهُ وَلِلرَّسُولِ » .

(٢) الرق صد الفى ، رمت الفى : سدده .

(٣) الطائى مفتح الماء وكسرهما العصب . والسحب : العذاب والاضطهاد ، سحب السحب عن الاحم : اشره عنه ، وسحبهم : باع مجهورهم و المذمة عليهم وأسحبهم لعة ، وسحبه وأسحبه : اسأصله ، وقرئ قوله تعالى « فَمُسْحَبَكُمْ بَعْدَ آبٍ » صم الماء من الاسحاب وهو امه نهد وعم ، ومفتح الماء والحاء من السحب ، وهو امه الحار : أى هاكم ونسأصلكم .

«أما بعدُ: فقد كبرت سنِّي^(١)، ورقَّ عظمي، واقترب أجلي، وسَفَهني سُفْهَاءُ قريش، فرأى أمير المؤمنين في حَمَلِهِ مَوْفَقًا». .
(العهد المردد ، ٢٦ ، وصحح الأعشى ٤٧٨٠٦)

٤٣ — رد معاوية عليه

فكتب إليه معاوية :

«أما ما ذكرت من كِبَرِ سِنِّكَ فَأَنْتَ أَكَلْتَ شَبَابَكَ، وأما ما ذكرت من افراب أَجَلِكَ، فَإِنِّي لَوْ أَسْتَطِيعُ دَفَعَ الْمَنِيَّةَ لَدَفَعْتُهَا عَنْ آلِ أَبِي سُفْيَانَ، وأما ما ذكرت من سُفْهَاءِ رِيسٍ فَجَعَلْتُهَا أَحْلُوكَ ذَلِكَ الْمَحَلَّ، وأما ما ذكرت من العمل: فَضَحَّ رُؤْيَدًا يَدْرِكُ الْهَنْجَا حَمَلًا»^(٢). . (العهد المردد ١ : ٢٦)

(١) عاش سبعين سنة ، وتوفى سنة خمسين هجرية . وتبل سنة ٥١ وتبل سنة ٤٩ .
(٢) هو مثل ، معناه لا تعمل في الأمر وأنْ وارق ، صبي الإبل : عداها في الصبح ، وصحبت هي : أي أكلت في الصبح . وأصله أن العرب كانوا يسرون في البادية يوم طعمهم ، فإذا مروا بقعة من الأرض منها كلاً وعشب ، قال قائلهم : ألاصحوا رويدا : أي ارفعوا بالابل حتى تصبح : أي مال من هذا المرعى ، ثم وضعت الصباح مكان الروق ، لصل الإبل إلى المنزل ، وقد شعب . والهيحا بالقصر والمد . الحرب ، وحمل : هو حمل من سمعناه الضحاني ، وقد قدما في الجزء الأول من ٤٥٥ كله مطولة في هذا المل ، فارحم إلها .

قال صاحب العهد . فلما انتهى الكتاب إلى المعرة كتب إليه يسأده في التقديم عليه فأذن له ، فلما دخل عليه قال له : يا معمره ، كبرت سنك ، ورق عظمك ، ولم تنق منك شيء ، وما أراي إلا مستبدلاً بك ، قال الحدثاء : فاصرف إلدا ، ونحن نرى الكفاية في وجهه ، فأحبرنا عما كان من أمره ، قلنا له : فما ريد أن يصح ؟ قال : سعلهم ذلك ، فأى معاوية فقال له : يا أمير المؤمنين إن الأيس ليعدى عابها وراح ، واست في رمن أي مكر وعمر ، فلو نصت لنا علما من بعدك بصر إليه ، فإن قد دعوب أهل العراق إلى سنة ريد ، فقال : ناأنا محمد ، اصرف إلى عملاك ورم هذا الأمر لاس أحلك ، فأفاما ركس على الحب ، فالف وقال : والله امد وصعب رحلا في ركاب طولل ألى عامه أمه محمد صلى الله عليه وسلم .

٤٤ - بين معاوية والمغيرة بن شعبة

وكتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة أن « أكتب إلى بشيء سمته من رسول الله صلى الله عليه وسلم »:

فكتب إليه : « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله كره لكم ثلاثاً : فيل وقال ، وإضاعة المال ، وكثرة السؤال .
(صحح الحارثي ١ : ١٧٧)

٤٥ - كتاب المستورد بن علفه الخارجي

إلى سمالك بن عبيد

واجتمعت الخوارج بالكوفة - إبان ولاية المغيرة بن شعبة عليها - وولوا عليهم المستورد بن علفه التميمي وابعوه ، واتعدوا أن يخرجوا هلال شعبان سنة ٤٣ هـ ، ونحى إلى المغيرة أنهم خارجون عليه ، فحذر أهل الكوفة إيواءهم ونصرتهم ، فخرجوا منها ، فوجه في أثرهم معقل بن فاس الرباعي :
وسارت الخوارج حتى بلغوا المدائن ، وكان سمالك بن عبيد العباسي حاملاً للمغيرة عليها ، فكتب إليه المستورد :

« من عبد الله المستورد أمر المؤمنين إلى سمالك بن عبيد :

أما بعد : فقد تقمنا على فومنا الجوز في الأحكام ، ونعطيل الحدود ، والاستئثار بالقيء ، وإنا ندعوك إلى كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وولاية أبي بكر وعمر رضوان الله عليهما ، والبراءة من عثمان

وعلى ، لأحدهما في الدين ، وتركهما حكم الكتاب ، فإن تقبل فقد أدركت
رُشدك ، وإلا تقبل فقد أبلغنا في الإعذار إليك ، وقد آذناك بحرب فنبتنا
إليك على سواء^(١) ، إن الله لا يحب الخائنين .

وتبعهم معقل حتى لحقهم بالمدار^(٢) ، ودارت بينهما رحى الحرب بشدة ،
ودعا المستورد معقلا للمبارزة ، وطعنه المستورد حتى خرج سنان الرمح من
ظهره ، وضربه معقل بالسيف حتى خالط سيفه أم الدماغ ، فوقع ميتا وقتل
معقل ، وشد أصحابه على الخوارج ، فما لبثوا أن قتلهم .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٠٩)

٤٦ - كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل تفلّيس

روى الطبري قال :

« وَكَفَرُ أَهْلُ أَرْمِينِيَّةَ زَمَانَ مُعَاوِيَةَ^(٣) ، وَدَ أَمْرُ حَبِيبِ بْنِ مُسَلَمَةَ عَلَى
الْبَابِ ، وَحَبِيبٌ يَوْمَئِذٍ بِجُرْزَانَ^(٤) . وَكَاتَبَ أَهْلَ تَفَلِّيسَ وَتِلْكَ الْجِبَالِ ، ثُمَّ
نَاجَزَهُمْ حَتَّى اسْتَجَابُوا ، وَاعْتَقَدُوا مِنْ حَبِيبٍ ، وَكَتَبَ بَنُوهُ وَيُنَهِمُ كِتَابًا
بَعْدَ مَا كَاتَبَهُمْ .

-
- (١) اسم من هوله تعالى « فَأُنْذِرُ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ - إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » ومعناه إذا
هاذب موما علمت منهم النفس لا عهد ، ولا يومع منهم ساء ما لال النفس حتى لهم الم نصبت العهد ،
فكروا في علم النفس مسوس ثم أومع بهم .
(٢) بلد في مسان بين واسط والصره .
(٣) أى نصوا الأمان الذى كان كاهلهم سرامه بن عمرو في خلافة عمر بن الخطاب (اطر جهرد
رسائل العرب ج ١ : ص ٢٧٩) .
(٤) اسم للاحه بأرمينه ، وكات قصيدها ماس .

وكان لثابه إليهم :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من حبيب بن مسلمة إلى أهل تَفْلِس من جُرْزَان أرض الهُرْمَز ، سَلِّمُ أَنتُمْ ، فَإِنِّي أَحمَدُ إِلَيْكُمْ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، فَإِنَّهُ قَدْ قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُكُمْ « تَقْلِي » فَبَلَّغَ عَنْكُمْ وَأَدَّى الَّذِي بَعَثْتُمْ ، وَذَكَرَ « تَقْلِي » عَنْكُمْ أَنَا لَمْ نَكُنْ أُمَّةً فِيمَا تَحْسِبُونَ ، وَكَذَلِكَ كُنَّا حَتَّى هَدَانَا اللهُ عِزَّ وَجَلَ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَعَزَّنَا بِالْإِسْلَامِ بَعْدَ فِتْنَةٍ وَذِلَّةٍ وَجَاهِلِيَةٍ^(١) ، وَذَكَرَ « تَقْلِي » أَنَّكُمْ أَحْبَبْتُمْ سَلَامَنَا ، فَاسْتَكْرِهْتُمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعِيَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ جَزْءِ السَّامِيِّ ، وَهُوَ مِنْ أَعْلَمِنَا ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِاللَّهِ ، وَأَهْلِ الْقُرْآنِ ، وَبَعَثْتُ مَعَهُ بِكِتَابِي بِأَمَانِكُمْ ، فَإِنْ رَضِيتُمْ دَفَعَهُ إِلَيْكُمْ ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ آذَنَكُمْ بِحَرْبٍ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَرَادَ اللهُ لَا يَجِبُ الْخَائِنِينَ . »

(تاريخ الطبري ٤ : ٢٦)

٤٧ — عهد حبيب بن مسلمة لأهل تَفْلِس

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من حبيب بن مسلمة لأهل تَفْلِس من جُرْزَان أرض الهُرْمَز بِالْأَمَانِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَصَوَامِعِكُمْ وَيَبْعِكُمْ^(٢) وَصَلَوَاتِكُمْ ، عَلَى الْإِمْرَارِ بِصَغَارِ الْجُزْيَةِ ، عَلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ دِينَارٌ وَافٍ ، وَلَنَا نُصْحُكُمْ وَنَصْرُكُمْ عَلَى عَدُوِّ اللهِ وَعَدُونَا ، وَوَرَى^(٣) الْجِتَارَ لَيْلَةً

(١) الجاهلية هي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين والمفاخرة بالأسباب والكبر والتعزُّب ، وغير ذلك .

(٢) الصومعة : معدن الصاري ، وكذا البيعة بالكسر ، والصغار : الدل .

(٣) الورى : ما يقدم للضف .

من حلالِ طعامِ أهلِ الكتاب ، وحلالِ شرابهم ، وهداية الطريق في غير ما يُضرُّ فيه بأحد منكم ، فإن أسلمتم ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، فإخواننا في الدين وموالينا^(١) ، ومن تولَّى عن الله ورسله وكتبه وحزبه فقد آذَنَّاكم بحَرْبٍ على سِوَاءٍ ، إن الله لا يحب الخائنين .

شهد عبد الرحمن بن خالد والحجاج وعياض ، وكتب رباح ، وأشهد الله وملائكته والذين آمنوا ، وكفى بالله شهيداً^(٢) . (تاريخ الطبري ٤ : ٢٦٠)

٤٨ - كتاب زياد إلى معاوية في شأن حجر بن عدي

ولما مات المغيرة بن شعبة والى الكوفة سنة ٥٠ هـ وكان زياد على البصرة ، ضم معاوية الكوفة إلى زياد ، وكان من كبراء الشيعة بها حُجْر بن عديّ الكِنْدِي ، فبلغ زياداً أن حجراً يجتمع إليه الشيعة ويظهرون لمن معاوية والبراءة منه ، فكتب إلى معاوية في أمره وكثر تايه ، فكتب إليه معاوية أن شُدَّه في الحديد ثم أحمله إلى ، فشده في الحديد وحمله هو وورء وس أصحابه إلى معاوية ، وكانوا أربعة عشر رجلاً ، وكتب إليه كتاباً فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : لعبد الله معاوية أمير المؤمنين من زياد ابن أبي سفيان : أما بعدُ : فإن الله قد أحسن عند أمير المؤمنين البلاء^(٣) ، فكاد له عدوّه ، وكفاه مؤنة من بنى عليه ، إن طَوَّاعِيتَ^(٤) من هذه الترابية

(١) أى أحمائنا وحلفائنا . (٢) انظر ما قدمناه في الجزء الأول من هامش ص ٢٠٣ .

(٣) البلاء : الإيِّام (والبلاء يكون مبحه ويكون محبة) .

(٤) طواعب : جمع صاعوت ، وهو التبعاع ، وكل رأس صلاب . والبراه : البيعة ، نسبة إلى أبي تراب كسة الإمام على كرم الله وجهه ، كساه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدث عمار بن

ياسر قال : كنت أنا وعلى رفيقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في عروة العشيرة (بكهنة) وهي من ناحية ينبع بين مكة والمدينة وكانت الغزوة سنة ٢ هـ) فنزلنا منزلاً فرأينا رجلاً من بني مدلج يعملون في نخل لهم ، فانطلقا فنظرنا إليهم ساعة ، ثم عشنا الناس ، فعدنا إلى صور من النخل (الصور بالفتح : النخل المجتميع) فما تحته في دفء من التراب ، ها أظننا إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتانا وقد نتربا في ذلك الراب فجلس عند رأس على وأفطه وجعل يمسح التراب عن ظهره ويقول : فم يا أبا تراب فكانت من أحب كساء إليه ، وكان يهرح إذا دعى بها ، ودعت بنو أمة خطباءها أن يسوه بها على الدبر وحاولوا بمصبة له ووصمة عليه (انظر تاريخ الطبري ٢ : ٢٦١ وسيرة ابن هشام ١ : ٣٦٥ وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤) والسببية : فره من علاة الشعة نسبة إلى عبد الله بن ساء وهو يهودي من أهل صعاء أمه سوداء ، أسلم زمن عثمان - على دخل - ثم جعل يتعل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ، وهو رأس العلاة من الشيعة ، ومه اسعبت أصنافها وهو الذي وضع للمسلمين مبدأ الرحمة فكان يقول : اعجب من رعم أن عيسى رجع ، وككد بأن محمدا يرجع ، وقد قال الله عز وجل : « إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ » فمحمد أحق بالرجوع من عيسى ، ثم قال لهم بعد ذلك : إنه كان ألف نبي ، واسكل بي وصي ، وكان على وصي محمد ، ثم قال : محمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصاء ، ثم قال : من أظلم من لم يهز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثب على وصي رسول الله وساول أمر الأمة ، ثم قال لهم : إن عثمان أخذها بغير حق ، وهذا وصي رسول الله فاهضوا في هذا الأمر خركوه

وقد علاي على فزعم أنه نبي ، ثم علافه حتى زعم أنه إله ، ودعا إلى ذلك قوما من عواة الكوفة ، وقد أتى قوم منهم إلى على ، فقالوا له مشاهة : أب هو ، فقال لهم : ومن هو ؟ قالوا : أت الله أت خالفا وارقاء ، فاستأبهم وتوعدهم ، فأماوا على قولهم ، فأسعظه الأمر وأمر بار فأجحت في حفريه ودحس عليهم فيها طمعا في رجوعهم فأبوا خرقهم بالمار حتى قال بعض الشعراء في ذلك :

لترم في الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم في في الحفرتين
خعلوا يمولون وهم يرمون في البار : الآن صح عدنا أنه الله ، لأنه لا يعدب بالبار إلا الله ، وفي ذلك يقول رضى الله عنه :

لما رأب الأمر أمرا منكرا أحجب نارا ودعوت قبرا

» يريد قبرا مولاه ، وهو الذى تولى طرحهم في البار .

ثم إن عليا خاف من إحراق الباقي منهم شتاة أهل الشام وحاف اختلاف أصحابه عليه ، وشجع جماعه من أصحابه منهم عبد الله بن عباس في عبد الله بن ساء خاصة ، وكان على قدمه بقتله ، وقالوا : يا أمير المؤمنين إنه قد تاب فاعف عنه فأطعمه بعد أن اشتراط عليه أن لا يقيم بالكوفة وهما إلى المدائن ، فلما قتل على عليه السلام وبلغ ابن سباء قتله ، قال : لو أبيتونا بدماعه سبعين مرة ماصدفا موته ، وزعم أن المصول لم يكن عليا ، وإنما كان سبطانا بصور للناس في صورة على ، وأن عليا صعد إلى السماء كما صعد إليها عيسى بن مريم ، وزعموا أنه سى في السحاب ، فإذا أظلمهم سحابة قالوا : السلام عليك يا أبا

السَّبْيَةِ ، رَأْسُهُمْ حُجْرُ بْنُ عَدِيٍّ خَالَفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . وفارقوا جماعة المسلمين ،
وَنَصَبُوا لَنَا الْحَرْبَ ، فَأَظْهَرَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَمَكَّنَّا مِنْهُمْ ، وقد دعوتُ خِيَارَ
أَهْلِ الْمِصْرِ وَأَشْرَافَهُمْ وَذَوِي السِّنِّ وَالْدِّينِ مِنْهُمْ ، فَشَهِدُوا عَلَيْهِمْ بِمَا رَأَوْا
وَعَمَلُوا ، وقد بعثت بهم إلى أمير المؤمنين ، وكتبت شهادة صَلَحاءِ أَهْلِ الْمِصْرِ
وخييارهم في أسفل كتابي هذا .
وكانت الشهادة عليهم :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : هذا ما شَهِدَ عَلَيْهِ أَبُو بُرْدَةَ بْنُ أَبِي مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ : شَهِدَ أَنَّ حُجْرَ بْنَ عَدِيٍّ خَلَعَ الطَّاعَةَ ، وفارق
الْجَمَاعَةَ ، وَلَعَنَ الْخَلِيفَةَ ، ودعا إلى الْحَرْبِ وَالْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ إِلَيْهِ الْجُمُوعَ يَدْعُوهُمْ
إِلَى نَكْتِ الْبَيْعَةِ ، وخلع أمير المؤمنين معاوية ، وكفر بالله عز وجل
كفرة صَلَحاءٍ ^(١) » .

وشهد رءوس الأرباع ^(٢) ووجوه من أهل الكوفة على مثل شهادة
أبي بردة ، فأمر معاوية بالقوم فحبسوا . (تاريخ الطبري ٦ : ص ١٥٠ وص ١٥٢)

الحسن ، ورعوا أن الرعد صوته والبرق سوطه ، وأنه سينزل بعد ذلك إلى الأرض فيملؤها عدلا كما
ملئت جورا .

(انظر تاريخ الطبري ٥ : ٩٨ والفرق بين الفرق ص ٢٢٣ والملل والنحل للشهرستاني ٢ ، ١٢
والفصل لابن حزم ٤ : ١٣٨ و ١٤٢ وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٢٥) .
وقد أراد زياد من وصف الشيعة بالسبئية أن يسقطهم ويزري بهم ، لما عرف عن السبئية من المعتقدات
العاسدة والمبادئ الباطلة .

(١) أي مكشوفة بارزة ، أحدا من الأرض الصلحاء : وهي التي لا نبات فيها . والرأس الأصلع : الذي
المحسر شعر مقدمه . والصلحاء أيضا الداهية والأمر الشديد ، ومن كلامهم « ركت الصليعاء »
والصلعاء كخبراء : السوء الشيعة البارزة المكشوفة ، أو الداهية الشديدة .

(٢) وكانت الكوفة يومئذ مقسمة أرباعا ، ورءوس الأرباع عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة ،
وحالد بن عرفة على ربع تميم وهمدان ، وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة
وكنانة ، وأبو بردة بن أبي موسى على مذحج وأسد .

٤٩ - كتاب شريح بن هاني إلى معاوية

وكان زياد قد كتب في الشهود شريح بن هاني الحارثي ، فكتب شريح إلى معاوية كتابا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبدالله معاوية أمير المؤمنين من شريح ابن هاني ، أما بعد : فإنه بلغني أن زيادا كتب إليك بشهادتي على حُجر بن عدى ، وإن شهادتي على حُجر أنه ممن يُقيم الصلاة ، ويؤتي الزكاة ، ويُديم الحج والعمرة ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، حرّام الدّم والمال ، فإن شئت فاقتله ، وإن شئت فدعه » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٥٢ ، والأعاني ١٦ : ٨)

٥٠ - كتاب معاوية إلى زياد

فكتب معاوية إلى زياد :

« أما بعد ، فقد فهمت ما اقتصصت به في أمر حُجر وأصحابه ، وشهادة من قبلك عليهم ، فنظرت في ذلك : فأحيانا أرى قتلهم أفضل من تركهم ، وأحيانا أرى العفو عنهم أفضل من قتلهم ، والسلام » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٥٣)

٥١ - رد زياد على معاوية

فكتب إليه زياد :

« أما بعد : فقد فرأت كتابك وفهمت رأيك في حجر وأصحابه ،
فَعَجِبْتُ لاشتباه الأمر عليك فيهم ، وقد شَهِد عليهم بما قد سمعتَ مَنْ هو
أَعْلَمُ بِهِمْ ، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ حَاجَةٌ فِي هَذَا الْمَصْرَفِ لَا تَرُدُّنَّ حَجْرًا وَأَصْحَابَهُ إِلَى » .
وَشَفَعَ فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ حَجْرٍ نَفَى مَعَاوِيَةَ سَبِيلَهُمْ ، وَأَوْفَدَ إِلَى حَجْرٍ
وَسَائِرِ أَصْحَابِهِ رَسُولًا ، فَقَالَ لَهُمُ الرَّسُولُ : إِنَّا قَدْ أَمَرْنَا أَنْ نَعْرِضَ عَلَيْكُمْ
الْبَرَاءَةَ مِنْ عَلِيٍّ وَاللَّعْنَ لَهُ ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ تَرَكْنَاكُمْ ، وَإِنْ أَيْتَمَّ قَتَلْنَاكُمْ ، فَأَبْرَأُوا
مِنْ هَذَا الرَّجُلِ نُحْلِلُ سَبِيلَكُمْ ، فَأَبَوْا وَقَالُوا : بَلْ نَتَوَلَّاهُ ، وَتَبْرَأُ مَنْ تَبْرَأُ مِنْهُ ،
فَأَقْبَلَ أَصْحَابُ مَعَاوِيَةَ يَقْتُلُونَهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا حَتَّى قَتَلُوا سِتَّةً (مِنْهُمْ حَجْرٌ) .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٥٣)

٥٢ - كتاب معاوية إلى زياد

وَبَقِيَ مِنْ أَصْحَابِ حُجْرٍ اِثْنَانِ : هُمَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَسَّانَ الْعَنْزِيُّ وَكَرِيمُ
ابْنِ عَفِيفٍ الْخُضْعَمِيُّ ، فَقَالَا : ابْعَثُوا بَنَاءً إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَنَحْنُ نَقُولُ فِي هَذَا
الرَّجُلِ مِثْلَ مَقَالَتِهِ : فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى مَعَاوِيَةَ قَالَ لِلْخُضْعَمِيِّ : مَا تَقُولُ فِي عَلِيٍّ ؟
قَالَ : أَقُولُ فِيهِ فَوَلَّكَ ، قَالَ : أَنْبِرْ أَمْ مِنْ دِينِ عَلِيٍّ الَّذِي كَانَ يَدِينُ اللَّهَ بِهِ ؟
فَسَكَتَ وَكَرِهَ مَعَاوِيَةَ أَنْ يُجِيبَهُ وَشَفَعَ فِيهِ نَفَى سَبِيلَهُ .

ثم أقبل على عبد الرحمن العنزي ، فسأله فلم يرَّقه جوابه^(١) ، فبعث به إلى زياد ، وكتب إليه .

أما بعد : فإن هذا العنزي شرٌّ من بعثت ، فعاقبه عُقُوبَتُهُ التي هو أهلها ، واقتله شرًّا قَتْلَةً .

فبعث به زياد إلى قسِّ الناطف^(٢) ، فدفن به حيا ، وكان ذلك سنة ٥١ هـ (تاريخ الطبري ٦ : ١٥٥ ، والأمان ١٦ : ١٠)

٥٣ - كتاب معاوية إلى زياد

وأوفد زيادُ ابنه عُبيدَ الله إلى معاوية ، فكتب إليه معاوية :
« إن ابنك كما وصفت ، ولكن قوم من لسانه^(٣) » .

(السان والبيان ٢ : ١٠٩)

(١) قال له معاوية : إنه يأحارسة ، ما قولك في علي ؟ قال : دعني ولا تسألني فإنه حيرك ، قال : والله لا أدعك حتى يحرقني عنه ، قال : أشهد أنه كان من الداكرين الله كثيرا ، ومن الأمرين الخلق ، والعائنين بالسط ، والعافين عن الناس ، قال : فما مولك في عثمان ؟ قال : هو أول من فتح باب الظلم وأرخ أبواب الحق ، قال : فلب بمسك ، قال : بل إياك قلت ، ولا ربيعة بالوادي (يريد أنه ليس له أحد من قومه يكلمه فيه كما شفع في الحمي) .

(٢) موضع قرب من الكوفة على شاطئ الفرات القبري .

(٣) قال الحافظ : وكانت في عهد الله لكبه ، لأنه نشأ بالأساورة مع أمه . رحانة (والأساورة : قوم من العجم برلوا بالصرة كالأحماره بالكوفة) وكان زياد روحها من شيوخه الأسواري ، وكان قال مرة : « امتحوا سيوفكم » يريد « سلوا سيوفكم » فقال ربد بن مفرح :

ويوم فحت سيفك من عييد أصعب وكل أمرك للضباع

وفال لسويد بن معجوف : « احلس على است الأرض » فقال سويد : « ما كتب أحسب أن للأرض استا » .

وفال المبرد : وكان عبد الله ألك ريصحة فارسية ، وفال لرحل مره واتهمه رأى الحوارح : أهروزي مند النوم^١ (ربد آخروزي ، وكانت الحوارح تسمى الخروزة) - الكامل للمبرد ٢ : ١٦٥ - .

٥٤ - كتاب زياد إلى معاوية

وكتب زياد إلى معاوية :

« إني قد ضَبَطْتُ لك العراق يميني ، وبقيت شمالي ^(١) فارغة » يُعْرَضُ

له بالحجاز .

فبلغ ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب ، فرفع يده إلى السماء وقال : اللهم
اكفنا شمال زياد ، فخرجت في شماله فرجة فقتلته ، وكانت وفاته سنة ٥٣ هـ .
(العقد المريد ١ : ٢٦ ، ٣ : ٥ ، وتاريخ الطبري ٦ : ١٦٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٦٨)

٥٥ - كتاب السيدة عائشة إلى معاوية

وكتبت السيدة عائشة رضى الله عنها إلى معاوية :

« أما بعد : فإنه من يعمل بِمَسَاحِطِ اللَّهِ يَصِيِّرْ حَامِدَهُ مِنَ النَّاسِ ذَامًّا

له والسلام » . (العقد المريد ١ : ٢٠)

وفي رواية البيان والتبيين :

كتب معاوية إلى عائشة أن اكتبى إلى بشىء سمعته من أبي القاسم
صلى الله تعالى عليه وسلم ، فكتبت إليه : « سمعت أبا القاسم صلى الله تعالى
عليه وسلم يقول : « من عمل بما يُسَخِّطُ اللَّهُ عاد حَامِدُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذَامًّا » .
(السان والتبيين ٢ : ١٦١)

(١) ورواية الطبري « قد ضبطت لك العراق شمالي ويمى فارعة فاشعلها بالحجار » .

٥٦ - كتاب عبد الله بن الزبير إلى معاوية

وكان لعبد الله بن الزبير أرض قريبة لأرض لمعاوية ، فيها عبيد له من الزنوج يغمرونها ، فدخلوا في أرض عبد الله ، فكتب إلى معاوية :
« أما بعد ، فإنه يا معاوية إن لم تمنع عبيدك من الدخول في أرضي ،
ولاً كان لي ولك شأن » .

٥٧ - رد معاوية على ابن الزبير

فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد ، فلما قرأه قال له :
ما ترى ؟ قال : أرى أن تُنفذ إليه جيشاً أوله عنده وآخره عندك يأتونك
برأسه ، فقال : يابني ، عندي خير من ذلك ، على بدواة وقرطاس ، وكتب :
« وفقتُ على كتابك بابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم *
وساء نبي والله ما ساء لك ، والدنيا هيئة عندي في جنب رساك ، وقد كنت
على نفسي رَقماً^(١) بالأرض والعبد ، وأشهدتُ علىّ فيه ، ولتُضَفِ الأرض
إلى أرضك ، والعبيد إلى عبدك ، والسلام » .

٥٨ - رد ابن الزبير على معاوية

فلما وقف عبد الله على كتاب معاوية كتب إليه :
« وفقت على كتاب أمة المؤمنين - أطال الله بقاءه - فلا عَدَمَ الرأي
الذي أحلّه من فراس هذا المحجّ والسلام » :

(١) الرقم : الكتاب ، والحم ، وهو ما فعل معنى معقول أي كتب مرة أو ما أي مكثنا ، ورعا كاد
الأصل « رقماً » والرقم : الكتاب ، وهو فعل بمعنى معقول أيضا .

فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله ، رماه إلى ابنه يزيد ، فلما قرأه
أَسْفَرَ وَجْهَهُ ، فقال : يا بني ، إذا رُميت بهذا الداء ، فدَاوِهْ بهذا الدواء .
(ثمرات الأوراق ص ١١٧)

٥٩ — كتاب سعيد بن العاص إلى معاوية

وذكرُوا أن معاوية كان يُعْرِى بين مَرْوان بن الحَكَم وسَعِيد
ابن العاص ، وكان قد عزل مروان بن الحكم عن المدينة وولى عليها سعيد
ابن العاص (سنة ٤٩ هـ) .

وكتب إليه يأمره بِقَبْضِ أموال مروان كُلِّها فيجعلها صافيةً ، ويقبض
فَدَك^(١) منه - وكان وهبها له - فراجعه سعيد في ذلك وقال : قَرَابَتُهُ قَرِيبَةٌ^(٢) ،
فكتب إليه ثانية آمَرَه باصطفاء أموال مروان فَأَبَى ، وأخذ سعيد الکتابين
فوضعهما عند جارية ، ثم عزل عن المدينة سنة ٤٤ هـ ، وولِيَهَا مَرْوانُ بن الحكم ،
فكتب إليه معاوية يأمره بقبض أموال سعيد بالحجاز ، وأرسل مروان إليه
بالكتاب مع ابنة عبد الملك ، فخبَّره أنه لو كان شيئًا غير كتاب أمير المؤمنين
لتجافيتُ ، فدعا سعيد بالكتابين اللذين كتب بهما معاوية إليه في أموال
مروان يأمره فيهما بقبض أمواله ، فذهب بهما إلى مروان ، فقال : هو كان
أَوْصَلَ لَنَا مِثْلَهُ ، وكَفَّ عن قبض أموال سعيد ، وكتب سعيد إلى معاوية :

(١) فدك : قرية نأججار منها وبين المدينة بومان ، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في
عروة خير سنة ٧ هـ وسأني فصل مطول عنها بعد (في شرح كتاب عمر بن عبد العزيز إلى ابن حزم)
(٢) نالهم شهوة في خدم أمية ، فهم : معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية ، ومروان بن
الحكم بن أبي العاص بن أمية ، وسعد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية .

« العجبُ ممَّا صَنَعَ أمير المؤمنين بنا في قرابتنا أن يُضغْنَ بعضنا على بعض ، فأُمير المؤمنين في حمله ، وصبره على ما يكره من الأخْبِثين ، وعفوه ، وإدخاله القطيعةَ بيننا والشَّحْنَاء ، وتَوَارَثَ الأولاد ذلك ^(١) ، فوالله لو لم نكن بنى أب واحد إلّا لما جَمَعنا الله عليه من نصر الخليفة المظلوم وباجتماع كلمتنا ، لكان حقاً علينا أن نَزَعِي ذلك ، والذي أدركنا به خير . »

فكُتِبَ إليه يتنصّل من ذلك وأنه عائد له إلى أحسن ما يمهده .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٦٥)

٦. - كتاب معاوية إلى مروان بن الحكم

وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم وهو والى المدينة :
أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين أحبُّ أن يرُدَّ الألفة ، ويسَلَّ السَّخِيمة ^(٢) ،
ويَصِلَ الرَّحِمَ ، فإذا وصل إليك كتابي فاخطُبْ إلى عبد الله بن جعفر ابنته
أم كلثوم على يزيد ابن أمير المؤمنين ، وارغبْ له في الصِّداق ^(٣) .

(الكامل للمبرد ٢ : ١٤١ ، ومعجم البلدان ٢ : ٢٤٨)

(١) خبر قوله « فأُمير المؤمنين » محدوف ، أى عبر محقّ فيما فعله بما من ذلك .

(٢) السخيمة : الحمد والصفية .

(٣) فوجه مروان إلى عبد الله بن جعفر فقرأ عليه كتاب معاوية وأعلمه بما في رد الألفة من صلاح ذات البين واحتياج الدعوة ، فقال عبد الله : إن حالها الحسين بسع ، وليس ممن هبات عليه بأمر ، فأطرنى إلى أن يقدم ، وكانت أمها رينب بنت علي بن أبي طالب صلوات الله عليه ، فلما قدم الحسين ذكر ذلك له عبد الله بن جعفر ، فقام من عنده ، فدخل إلى الحارثة فقال : يا بني إن ابن عمك القاسم ابن محمد بن جعفر بن أبي طالب أحق بك ، ولعلك ترغيبين في كثرة الصداق ، وقد نَحَلْتُكَ الغيغيات (انظر ص ٦٠٦ من الجزء الأول) فلما حضر القوم للإملاك تكلم مروان بن الحكم فذكر معاوية وما قصده من صلة الرحم وجمع الكلمة ، فكلم الحسين فزوحها من القاسم ، فقال له مروان : أغدرا يا حسين ؟ فقال : أنت بدأت ، خطب أبو محمد الحسن بن علي عليه السلام هائلة بنت عثمان بن عفان ، واحتجماً لذلك ، فتكلمت أنت فزوجتها من عبد الله بن الربيع ، فقال مروان : ما كان ذلك ، فالتفت الحسين إلى محمد بن حاطب فقال : أَلشَّدك الله أ كان ذاك ؟ قال : اللهم نعم .

٦١ - كتاب سعيد بن العاص إلى معاوية

وذكروا أن معاوية كتب إلى سعيد بن العاص وهو على المدينة يأمره أن يدعو أهل المدينة إلى البيعة ليزيد ، ويكتب إليه بمن سارع ممن لم يسارع ، فلما أتى سعيد بن العاص الكتاب ، دعا الناس إلى البيعة ليزيد ، وأظهر الغِلظة وأخذهم بالعزم والشدة ، وسطا بكل من أبطأ عن ذلك ، فأبطأ الناس عنها إلا اليسير ، لاسيما بنى هاشم ، فإنه لم يُجِبْهُ منهم أحد ، وكان ابن الزبير من أشد الناس إنكاراً لذلك وردّاً له ، فكتب سعيد ابن العاص إلى معاوية :

« أما بعدُ : فإنك أمرتني أن أدعو الناس لبيعة يزيد ابن أمير المؤمنين ، وأن أكتب إليك بمن سارع ممن أبطأ ، وإني أُخبرك أن الناس عن ذلك بَطَّاءٌ^(١) ، لاسيما أهل البيت من بنى هاشم ، فإنه لم يُجِبْني منهم أحد ، وبلغني عنهم ما أكرهه ، وأما الذي جاهر بعداوته وإيائه لهذا الأمر فعبد الله ابن الزبير ، ولست أقوى عليهم إلا بالخيال والرجال ، أو تقدّم بنفسك فتري رأيك في هذا ، والسلام » . (الإمامة والساسة ١ : ١٢٩)

٦٢ - رد معاوية على سعيد

فكتب معاوية إلى عبد الله بن عباس ، وإلى عبد الله بن الزبير ، وإلى عبد الله بن جعفر ، وإلى الحسين بن علي رضى الله عنهم كُتُباً ، وأمر سعيد

(١) بَطَّاء : جمع بَطْء ، كطوال وهمار جمع دلول وقصير .

ابن العاص أن يوصلها إليهم ، ويبعث بجواباتها ، وكتب إلى سعيد بن العاص :
 « أما بعد : فقد أتاني كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه من إبطاء الناس
 عن البيعة ، ولا سيما بني هاشم ، وما ذكر ابن الزبير ، وقد كتبت إلى
 رؤسائهم كتباً ، فسلمها إليهم ، وتنجز جواباتها ، وبعث بها إلي حتى أرى
 في ذلك رأياً ، ولتشتد عزيمتك ، ولتصلب سكينتك ^(١) ، وتحسن نيتك ،
 وعليك بالرفق ، وإياك والخرق ^(٢) ، فإن الرفق رشد ، والخرق نكد ،
 وانظر حسناً خاصة فلا يناله منك مكروه ، فإن له قرابةً وحققاً عظيماً
 لا يُنكره مسلم ولا مسامة ، وهو ليت عرين ، ولست آمنك إن شاذته ^(٣)
 أن لا تقوى عليه ، فأما من يرد مع السباع إذا وردت ، ويكنس إذا
 كنت ^(٤) ، فذلك عبد الله بن الزبير ، فاحذره أشد الحذر ، ولا قوة إلا
 بالله ، وأنا قادم عليك إن شاء الله ، والسلام » (الإمامة والسياسة ١ : ١٢٩)

٦٣ — كتاب معاوية إلى ابن عباس

وكتب إلى ابن عباس :

« أما بعد : فتمد بلفني إبطاؤك عن البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين ، وإني
 لو فتاك بعثمان لكان ذلك إلي ، لأنك بمن ألب ^(٥) عليه وأجلب ، وما معك

(١) التكمة : الأفة ، وأصلها في اللعام الحديدة المعرصة في م المرس ، وهو شديد التكمة :
 أي أفت أن لا يقاد .

(٢) الخرق : صد الرفق ، وإن لا - س الرجل العمل والجور في الأمور . والحق ، وهو
 بعثتين مصدر ، وبالضم اسم .

(٣) في الأصل « شاوره » وهو عريف .

(٤) أي ستر وشتي ، من كس الطي كصرت دخل في كاسه (والكاس ككاف : مسره في
 النحر) (٥) ألب : حرص ، وأجلب وحلب (كصرت وسر) وحاب : أحدث حابه ، وهي
 احلاط الأصرات ، والمعنى ثار عليه .

منى أمان فتطمئن به ولا عهد فتسكن إليه ، فإذا أتاك كتابي هذا فاخرج إلى المسجد ، والعن قتلة عثمان ، وبايع حاملي ، فقد أعذر من أنذر^(١) ، وأنت بنفسك أبصر ، والسلام . (الإمامة والسياسة ١ : ١٣٠)

٦٤ - كتاب معاوية إلى عبد الله بن جعفر

وكتب إلى عبد الله بن جعفر :

« أما بعد : فقد عرفت أثرتي^(٢) إياك على من سواك ، وحسن رأيي فيك وفي أهل بيتك ، وقد أتاني عنك ما أكره ، فإن بايعت تشكر ، وإن تأبى تجبر ، والسلام . (الإمامة والسياسة ١ : ١٣٠)

٦٥ - كتاب معاوية إلى الحسين

وكتب إلى الحسين :

« أما بعد : فقد انتهت إلى عنك أمور لم أكن أظنك بها ، رغبة بك عنها ، وإن أحق الناس بالوفاء لمن أعطى بيعته من كان منك في خطر^(٣) وشرفك ومنزلتك التي أتلك الله بها ، فلا تنازع إلى فطيعتك ، واتفق الله ولا ترذن هذه الأمة في فتنة ، وانظر لنفسك ودينك وأمة محمد ولا تستخفك الذين لا يؤقنون . (الإمامة والسياسة ١ : ١٣٠)

(١) أعذر : صار ذا عذر .

(٢) آثره لإساره : فضله ، والأمره أممه . (٣) الخطر العذر .

٦٦ — كتاب معاوية إلى ابن الزبير

وكتب إلى عبد الله بن الزبير :

«رَأَيْتُ كِرَامَ النَّاسِ إِنْ كُفَّ عَنْهُمْ
وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ عَفْوًا بِقُدْرَةٍ
وَلَسْتُ بِذِي لُؤْمٍ فَتَعَذَّرَ بِالذِّى
وَلَكِنْ غِشًّا لَسْتُ تَعْرِفُ غَيْرَهُ
فَمَا غَشَّ إِلَّا نَفْسَهُ فِي فِعَالِهِ
وَإِنِّى لَأَخْشَى أَنْ أَتَاكَ بِالذِّى

بِحِلْمٍ ، رَأَوْا فَضْلًا لِمَنْ قَدْ تَحَلَّمَا
فَذَلِكَ أُخْرَى أَنْ يُجَلَّ وَيُعْظَمَا
أَتَاهُ مِنَ الْأَخْلَاقِ مَنْ كَانَ الْأَمَّا^(١)
وَقَدْ غَشَّ قَبْلَ الْيَوْمِ إِبْلِيسُ آدَمَا
فَأَصْبَحَ مَلْعُونًا وَفَدَّ كَانَ مُكْرَمَا
أَرَدْتُ ، فَيُخْزِي اللَّهُ مَنْ كَانَ أَظْلَمَا
(الإمامه والسياسة ١ : ١٣٠)

٦٧ — رد ابن عباس على معاوية

فكان أول من أجابه عبد الله بن عباس ، فكتب إليه :

«أما بعد : فقد جأ - نى كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، وأن ليس معى
منك أمانٌ ، وإنه والله ما منك يُطَلَّبُ الأمان ياه معاوية ، وإنما يُطَلَّبُ الأمانُ
من الله رب العالمين ، وأما فولاك فى قتلى : فوالله لو فعلت لَأَقَمْتِ اللَّهَ ، ومحمدُ
صلى الله عليه وسلم خَصْمُكَ ، فما إخاله أفلح ولا أُنْجَحَ^(٢) مَنْ كان رسول الله
خَصْمَهُ ، وأما ما ذكرت من أنى ممن أَلَبَّ على عثمان وأجلبَ ، فذلك أمرٌ

(١) فى الأصل ، « أتته من أخلاق من كان ألوما » وهو محرف ، وقد صححته كما برى .

(٢) أضح ، صار دأنح .

غِبْتَ عَنْهُ ، وَلَوْ حَصَرْتَهُ مَا نَسَبْتَ إِلَى شَيْئًا مِنَ التَّأْلِيبِ عَلَيْهِ ، وَأَيْمُ اللَّهِ
مَا أَرَى أَحَدًا غَضِبَ لِعِمَّانَ غَضَبِي ، وَلَا أَعْظَمَ أَحَدٌ قَتْلَهُ إِعْظَامِي ، وَلَوْ شَهِدْتُهُ
لنَصْرَتُهُ أَوْ أَمُوتَ دُونَهُ ، وَلَقَدْ قُلْتُ وَتَمَنَّيْتُ يَوْمَ قُتِلَ عِمَّانُ : لَيْتَ الَّذِي قَتَلَ
عِمَّانَ لَقَيْتَنِي فَقَتَلَنِي مَعَهُ وَلَا أَبْقَى بَعْدَهُ ، وَأَمَّا قَوْلُكَ لِي : الْعَنَ قَتْلَةَ عِمَّانَ ،
فَلْعِمَّانَ وَلِذَلِكَ خَاصَّةً وَقِرَابَةً هُمْ أَحَقُّ بِلْعَنِهِمْ مِنِّي ، فَإِنْ شَاءَ وَأَنْ يَلْعَنُوا فَلْيَلْعَنُوا ،
وإِنْ شَاءَ وَأَنْ يُنْسِكُوا فَلْيُنْسِكُوا ، وَالسَّلَامُ .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٣٠)

٦٨ — رد عبد الله بن جعفر على معاوية

وكتب إليه عبد الله بن جعفر :

« أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ جَاءَنِي كِتَابُكَ ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَ فِيهِ مِنْ أَثَرِكَ إِيَّايَ
عَلَى مَنْ سِوَايَ ، فَإِنْ تَفَعَّلَ فَبِحَظِّكَ أَصَبْتُ ، وَإِنْ تَابَ فَبِنَفْسِكَ قَصُرْتُ ،
وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ جَبْرِكَ إِيَّايَ عَلَى الْبَيْعَةِ لِيَزِيدَ ، فَلَمَعَمْرِي إِنَّهُ أَجْبَرْتَنِي عَلَيْهَا
لَقَدْ أَجْبَرْنَاكَ وَأَبَاكَ عَلَى الْإِسْلَامِ حَتَّى أَدْخَلْنَا كَمَا كَارِهَيْنِ غَيْرَ طَائِعِينَ ،
وَالسَّلَامُ . » (الإمامة والسياسة ١ : ١٣١)

٦٩ — رد عبد الله بن الزبير على معاوية

وكتب إليه عبد الله بن الزبير :

أَلَا سَمِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ فَأَخَذَنِي إِلَّا النَّاسَ مَنْ كَانَ أَظْلَمًا

وَأَجْرًا عَلَى اللَّهِ الْعَظِيمِ بِحِلْمِهِ وَأَسْرَعَهُمْ فِي الْمُوبِقَاتِ تَقَعُّمًا^(١)
 أَغْرَكَ أَنْ قَالُوا حَلِيمٌ بَعِزَّةٌ وَلَيْسَ بَذِي حِلْمٍ وَلَكِنْ تَحَلَّمًا
 وَلَوْ رُمْتَ مَا إِنْ قَدْ عَزَمْتَ وَجَدْتَنِي هَزَبَرَّ عَرِينٍ يَتْرُكُ الْقِرْنَ أَكْتَمًا^(٢)
 وَأَقْسِمُ لَوْ لَا يَبْعَةُ لَكَ لَمْ أَكُنْ لِأَتَقُضَهَا ، لَمْ تَنْجُ مِنِّي مُسْلِمًا
 (الإمامة والسياسة ١ : ١٣١)

٧٠ - رد الحسين على معاوية

وكتب إليه الحسين رضى الله عنه :

« أما بعد : فقد جاءني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عنى أمور
 لم تكن تظننى بها رغبةً بى عنها ، وإن الحسنات لا يهْدِي لها ولا يُسَدِّدُ إليها
 إلا الله تعالى ، وأما ما ذكرت أنه رُقِيَ^(٣) إليك عنى ، فإنما رَقَّاه المَلَّاقُونَ^(٤) ،
 المشَّاءُونَ بالنَّمِيمة المَفْرُقُونَ بين الجمع ، وكَذَبَ الغَاوُونَ المَارِقُونَ ، ما أَرَدْتُ حَرْبًا
 ولا خِلَافًا ، وإِنِّى لأَخْشَى اللَّهَ فى تَرْكِ ذَلِكَ مِنْكَ وَمِنْ حِزْبِكَ القَاسِطِينَ^(٥) ،

(١) «أجرا» مسهل عن «أجراً» وهو معطوف على «أطاما» اصبح الإنسان الأمر وبقمحه :
 روى بنفسه فيه بغير روية .

(٢) الهزبر : الأسد ، والعرين : بيته ، والفرن : كموك في الشحاعة أو عام ، والأكتم والأكتم
 العظيم البطن ، والمعنى : يتركه صريحا منفعها بطنه .

(٣) رقى عليه كلاما ترقية : رفعه ، ولينبه إلى أن هذه العبارة لم ترد في كتاب معاوية إلى الحسين ،
 ولعلها سقطت من الأصل .

(٤) تملقه وتعلق له تملقا وتعلقا (بكسر الاء واليم في هذه) وملقه وملق له كمرح ملقا : تودد إليه
 وتلطف له ، فهو متملق وملق (كفرح) وملاق .

(٥) قسط كضرب قسطا بالفتح وقسوطا ، فهو قاسط : جار وعدل عن الحق . قال تعالى :
 «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» وقسط كضرب ونصر قسطا بالكسر فهو قاسط ،

المُحِلِّين^(١) ، حزب الظالم ، وأَعْوَانُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، أَلَسْتَ قَاتِلَ حُجْرٍ وَأَصْحَابِهِ الْعَابِدِينَ الْمُخْبِتِينَ^(٢) ، الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَظْفِعُونَ الْبِدْعَ ، وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، فَفَقَتَلْتَهُمْ ظُلْمًا وَعُدُوَانًا مِنْ بَعْدِ مَا أُعْطِيَتْهُمْ الْمَوَاقِيقَ الْغَلِيظَةَ ، وَالْعَهْدَ الْمَوْكَّدَةَ^(٣) ، جَرَاءَةً عَلَى اللَّهِ وَاسْتِخْفَافًا بِمَهْدِهِ ،

وَأَقْسَطَ لِمَاسَا فُهِوْ مَقْسَطُ : عَدْلٌ ، قَالَ تَعَالَى : « وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ » وَقَالَ « وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ » أَيْ ذَوَاتِ الْقِسْطِ - وَالْقِسْطُ مِنَ الْمَصَادِرِ الْمَوْصُوفِ بِهَا كَالْعَدْلِ يَسْتَوِي فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ - وَفَدْتَيْنِ مِمَّا تَعْدَمُ أَنَّ الْعَدْلَ فِيهِ ائْتَانُ قِسْطٍ وَأَمْسَطُ ، وَأَنَّ الْجَوْرَ فِيهِ لَفَةٌ وَاحِدَةٌ ، قِسْطٌ بِعَرَفٍ .

(١) قَالَ صَاحِبُ الْعَامُوسِ « وَرَجُلٌ مَحَلٌ : مُنْتَهَكٌ لِلْحَرَامِ ، أَوْ لَا يَرَى لِلشَّهْرِ الْحَرَامِ حَرَمَةً ، وَجَاءَ فِي اللِّسَانِ « وَيُقَالُ : الْمَحَلُّ : الَّذِي يَحِلُّ لَنَا قِتَالُهُ ، وَالْمَحْرَمُ : الَّذِي يُحْرَمُ عَيْنَانَا قِتَالَهُ ، وَيُقَالُ : الْمَحَلُّ : الَّذِي لَا عَهْدَ لَهُ وَلَا حَرَمَ ، وَالْمَحْرَمُ الَّذِي لَهُ حَرَمٌ » وَقَدْ قَدِمْنَا فِي الْحَرْءِ الْأَوَّلِ ص ٥٧ : أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيًّا كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ كَسَبَ كَسَا إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَائِمٍ جَاءَ فِيهِ « لَعَلَّكَ دَانِي مَعْنَا هَذَا الْعَدُوِّ الْمَحَلِّ » وَكُنَّا إِلَى أَحِبِّهِ عَمِيلًا فِيهِ « فَإِنْ رَأَيْتَ قِتَالَ الْمُحَايِنِ » وَأَنَّ ابْنَ أَبِي الْحَدِيدِ فُسِّرَهُ (م : ٤ : ص ٥٧) قَالَ : « أَيْ الْخَارِجِينَ مِنَ الْمِيثَاقِ وَالْبَيْعَةِ يَمْنَى الْبَغَاةِ وَمُحَافِي الْإِمَامِ ، وَيُقَالُ لِكُلِّ مَنْ خَرَجَ مِنَ الْإِسْلَامِ ، أَوْ حَارَبَ فِي الْحَرَمِ ، أَوْ فِي الْأَشْهَرِ الْحَرَمِ ، مَحَلًّا ، وَعَلَى هَذَا فُسِّرَ قَوْلُ زُهَيْرٍ : « وَكَمْ بِالْفَتَنِ مِنْ مَحَلٍّ وَمَحْرَمٍ » أَيْ مِنْ لَادِمَةٍ لَهُ وَمَنْ لَهُ ذِمَّةٌ ، وَكَذَلِكَ قَوْلُ حَالِدِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ فِي زَوْجَتِهِ رَمْلَةَ بِنْتِ الزَّيْبِرِ بْنِ الْعَوَامِ :

أَلَا مِنْ لَفَافٍ مَعَى عَزَلٍ نَحْبُ الْمَحَلَّةِ أَخْبَ الْمَحَلِّ
أَيْ نَافِضُهُ الْمَهْدِ أَخْتُ الْمَحَارِبِ فِي الْحَرَمِ ، أَوْ أَخْتُ نَافِضٍ بَعِيهِ بِيْ أُمِّيهِ « وَقَالَ الْمُرْدُ فِي السَّكَاكِ أَيْضًا (ج ٢ : ص ١٦٨) « وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ يَدْعِي الْمَحَلَّ لِإِحْلَالِهِ الْعَالِ فِي الْحَرَمِ ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَجُلٌ فِي رَمْلَةِ بِنْتِ الزَّيْبِرِ ... الْح » وَكَذَا فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ (ج ٢ : ص ٢٦٨) .
وَكَانَ الْعُلُوِّيُّونَ وَالْحَوَارِجُ يَصْفَوْنَ الْأُمُويِّينَ « بِالْمُحَايِنِ » كَمَا تَرَى فِي كِتَابِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَكَمَا وَرَدَ فِي كَلَامِ سَلِيحِ بْنِ صَرْدٍ لِأَخْبَائِهِ : « وَإِنْ سَمِعْتُمْهُمْ فَإِنَّمَا فَاتِلُمُ الْمُحَايِنِ ، وَمَا عَدَدُ اللَّهِ حَيْرَ الْأَبْرَارِ وَالصِّدِّيقِينَ » - انْظُرْ تَارِيخَ الطَّبَرِيِّ ٧ : ٦٨ - وَقَالَ الصَّلْبَتِيُّ فِي مَرَّةٍ سَمِعَ الْحَوَارِجَ : لَمَّا كَبُرَ مِنْهُمْ الْخِلَافُ وَخَلَعُوا قَطْرِيَّ بْنَ الصَّحَاءَةِ وَوَلَوْا عَبْدَ رَبِّهِ الصَّغِيرَ :

قُلْ لِلْمُحَايِنِ قَدْ مَرَبَ عَوْسُكُمْ فَرَقَهُ الْهُومُ وَالْبَعْصَاءُ وَالْمُهْرَبُ
كَأَنَّ أَمَّا عَلَى دَبِّ وَمَعِينَا طُولُ الْحَدَالِ وَحُلَاطُ الْحَدِ نَالَا
(انْظُرْ السَّكَاكِ الْمُبَرَّدِ ٢ : ٢٢٧)

(٢) أَحَبْتُ : حَسَمَ وَتَوَاضَعَ .

(٣) يُشِيرُ إِلَى مَا كَانَ أَحَدُهُ الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَعَاوِيَةَ مِنْ كِتَابِ الْأَمَانِ لِشَيْعِهِ .

أَوْ لَسْتَ بِقَاتِلِ عَمْرِو بْنِ الْحَقِّ^(١) الَّذِي أَخْلَقْتَ وَأَبْلَتْ وَجْهَهُ الْعِبَادَةُ ،
فَقَتَلْتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا أُعْطِيَتْهُ مِنَ الْيَهُودِ مَا لَوْ فَهِمْتَهُ الْعُصْمُ^(٢) نَزَلَتْ مِنْ سُقُفٍ^(٣)
الْجِبَالِ ؟ أَوْ لَسْتَ الْمَدْعَى زِيَادًا فِي الْإِسْلَامِ ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ ابْنُ أَبِي سُفْيَانَ ،

(١) هو عمرو بن الحَقِّ الخزاعي : صحابي هاجر بعد الحديبية ، وكان ممن دخل الدار على عثمان ، ثم صار من شيعة علي ، وشهد معه وقعة الجمل وصعين والتهروان ، ولما طلب رِيَادُ رُؤَسَاءِ أَهْلَابِ حَجْرِ ابْنِ عَدَى ، خرج عمرو بن الحَقِّ ورفاعة بن شداد حتى نزلا المدائن ، ثم ارتحلا حتى أتيا أرض الموصل فأتيا جبلا فكنا فيه ، وباع عامل ذلك الرستاق (الرستاق : يستعمل في الناحية التي هي طرف الاقليم ، فارسي معرب) أن رجلين قد كنا في جانب الجبل ، فاستكر شأهما - وهو رجل من همدان يقال له : عبد الله بن أبي ملتعة - فسار إليهما في الحيل نحو الجبل ومعه أهل البلد ، فلما انتهى إليهما خرجا ، فأما عمرو بن الحَقِّ فكان مريضا ، وكان نطه قد سقى (السقي كشتمس وحمل : ماء أصفر يقع في النطن ، وقد سقى بطنه كرمي) فلم يكن عنده امتناع ، وأما رفاعة بن شداد - وكان شانا قويا - فوثب على فرس له جواد ، فقال له : أقاتل علك ، قال : وما يفعي أن تغافل ، أتع بعسك إن استطعت حملهم عليهم فأفرجوا له ، فخرج تنفر به فرسه ، وخرجت الحيل في طلبه وكان راما ، فأحد لا يلحعه فارس إلا رماه فجرحه أو عقره ، فاصرفوا عنه .

وأخذ عمرو بن الحَقِّ ، فسأله من أنت ؟ فقال : من إن تركتموه كان أسلم السكم ، وإن قتلتموه كان أصر السكم ، فسأله فأتى أن يجبرهم ، فبعث به ابن أبي ملتعة إلى عامل الموصل - وهو عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي - فلما رأى عمرو بن الحَقِّ عرفه ، وكتب إلى معاوية يخبره ، فكتب إليه معاوية : « إنه زعم أنه طعن عثمان بن عفان تسع طعاب بمشاقص كانت معه (المشاقص جمع منقوص كبير وهو الصل الطويل أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش) وإنما لا يريد أن يستدى عليه ، فاطعنه تسع طعنات كما طعن عثمان ، فأخرج طعن تسع طعنات فأتى في الأولى منهن أو الثانية (سنة ٥١ هـ) وبعث عبد الرحمن الثقفي رأسه إلى معاوية ، وهو أول رأس أهدى في الإسلام . وقيل إنه لما هرب بالموصل دخل عارفتهم حية فأتى فأحد عامل الموصل رأسه فأرسله إلى زياد فبعث به رِيَادَ إلى معاوية ، وقيل إنه عاش إلى أن قتل في وقعة الحرة سنة ٦٣ هـ (انظر تاريخ الطبري ٦ : ١٤٨ وحلاصه تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص ٢٤٤ وأسد الغابة في معرفه الصحابة ٤ : ١٠٠ والاصابة في تمييز الصحابة ٤ : ٢٩٤) .

وقد جاء في تاريخ الطبري أيضا (٥ : ١٣٢) أن عمرو بن الحَقِّ كان مع محمد بن أبي بكر حين تسور على عثمان الدار ، فلما قتله كنانة بن نصر بن هتات السبيعي ، وثب عمرو بن الحَقِّ على عثمان فجلس على صدره وبه رمق ، فقطعه تسع طعاب ، قال عمرو : فأما ثلاث منهن فإني طعنتهن إياه الله ، وأما ست فإني طعنتهن إياه لما كان في صدرى عليه .

(٢) العصم : جمع أعصم ، وهو الوعل في ذراعيه أو في إحداها بياض وسائرته أسود أو أحمر .

(٣) لعله « من شم الجبال » جمع أشم . والحبل الأشم : المرتفع .

وقد قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الولد للفراش وللعاهر الحجر ، ثم سلطته على أهل الإسلام : يقتلهم ، ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل^(١) ، سبحان الله يا معاوية ! لكأنك لست من

(١) جاء في شرح ابن أبي الحديد (م ٣ : ص ١٥) .

روى أن أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال لبعض أصحابه - في كلام له - : « ثم لم نزل أهل البيت نستذل ونستضام ونقصي ونتمهن ونحرم ونقتل ونخاف ، ولا نأمن على دماءنا ودماء أوليائنا ، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يشربون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة ، فخذوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ، ورووا عنا ما لم نقله وما لم فعله ليعضونا إلى الناس ، وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت شيعة بكل بلدة ، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنة ، وكان من يذكر مجنبا والاهطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة ، وأخذهم بكل ظنة وتهمة ، حتى إن الرجل ليقال له : زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال شيعة علي » .

وروى المدائني في كتاب الأحداث قال : « كتب معاوية نسخة واحدة إلى عماله بعد عام الجماعة » أن برئت الدمة من روى شيئا من فضل أبي تراب وأهل بيته « فقامت الخطباء في كل كورة ، وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه ، وفي أهل بيته ، وكان أشد الناس بلاء حينئذ أهل الكوفة ، لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام ، فاستعمل عليهم زياد بن سمية ، فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف ، لأنه كان منهم أيام علي عليه السلام ، فصلهم تحت كل حجر ومدر وأحافهم ، وقطع الأيدي والأرجل ، وسمل العيون ، وصابهم على حذوع الحبل ، وطردهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم ، وكتب معاوية إلى عماله في جميع الآفاق « ألا يميزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة » وكتب إليهم « أن انظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه ، وأهل ولايته والدين يروون فضائله ومناقبه ، فأذنوا بحالهم وقربهم وأكرمهم ، واكتبوا لي بكل ما يروى كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته » ففعلوا ذلك حتى أكثروا في فضائل عثمان ومناقبه ، لما كان يبعثه إليهم معاوية من الصلاب والكساء والحباء والقطائع ، ويفيض في العرب منهم والموالي ، فكثر ذلك في كل مصر ، وتنافسوا في المارل والديا ، فليس يحصى أحد مردود من الناس عاملا من عمال معاوية ، فيروى في عثمان فضيلة أو مفة إلا كسب اسمه وفرَّبه وشمعه ، فابثوا بذلك حنا ، ثم كتب إلى عماله : « إن الحديث في عثمان قد كثر وصفا في كل مصر ، وفي كل وجه وناحية ، فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصباحة والخلفاء الأولين ، ولا تتركوا خبرا يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا أتوني بما قضى له في الصباحة معتلة ، فإن هذا أحب إلي وأقرَّ لبي » وأدحض لحة أبي تراب وشيعته ، وأشد عليهم من مناقب عثمان وفضله « فقرئت كتبه على الناس ، فرويت أحبار كثيرة في مناقب الصباحة معتلة لا حقيقة لها ، وحدَّ الناس في رواية ما يجري هذا المحرى حتى أشدوا بذكر ذلك على المابر ، وألّى إلى معلبي الكتابين ففعلوا صبايهم وغلماهم من

فكتب إليه عبد الملك يلومه فيما صنع ، ويقول : « سعيدُ وَاللَّهِ كان أحوجَّ أن تصلَ رَحْمَةً^(١) من أن تضربه ، وإنا لنعلمُ : ما عندهُ من شقاقٍ ولا خلافٍ » .

هذا ما رواه الطبري ، وروى ابن خلكان في وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ . قال : قال يحيى بن سعيد : كتب هشام بن إسماعيل والى المدينة إلى عبد الملك ابن مروان :

« إن أهل المدينة قد أطبقوا^(٢) على البيعة للوليد وسليان إلا سعيد ابن المسيب » .

فكتب إليه أن :

« اعرضه على السيف ، فإن مَضَى^(٣) فأجلده خمسين جلدةً ، وطُفَّ به أسواق المدينة » . (تاريخ الطرى ٨ : ٥٦ ؛ ووفيات لأعيان ١ : ٢٠٧)

٨٦ - ٩٦ سنة خلافة الوليد بن عبد الملك

٢٦٩ - كتاب الحجاج إلى الوليد

لما وَلِيَ الوليدُ بن عبد الملك الخلافة كتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ ، فإن الله تعالى استقبلَكَ يا أمير المؤمنين في حَدَاثَةِ سِنِّكَ

(١) لأنه محرومٌ مثله كما رأيت في سبه . (٢) أى أجمعوا .

(٣) أى صمم وتثبت برأيه .

بما لأعلمه استقبل به خليفة قبلك ، من التمكين في البلاد ، والملك للعباد ،
والنصر على الأعداء ، فعليك بالإسلام فقوم أودّه^(١) وشرائعه وحدوده ،
ودع عنك محبة الناس وبغضهم وسخطهم ، فإنهم قلما يؤتوا الناس من خير
وشر إلا أفسوه في ثلاثة أيام والسلام » . (الإمامة والسياسة ٢ : ٤٢)

٢٧٠ - كتاب الحجاج إلى الوليد

وكتب الوليد بن عبد الملك إلى الحجاج أن صِف لي سيرتك ،
فكتب إليه :

« إني أيقظت رأيي وأمنت هواي ، فأذنت السيد المطاع في قومه ،
ووليت الحرب الحازم^(٢) في أمره ، وقلدت الخراج الموفر لأمانته ، وقسمت
لكل خصم من نفسي قسما أعطيه حظا من لطيف عنايتي ونظري ،
وصرفت السيف إلى النطف^(٣) المسمى ، والثواب إلى المحسن البريء ، نخاف
المريب صولة العقاب ، وتمسك المحسن بحظه من الثواب » .
(المعتمد العريبي ١ : ٨ و ٣ : ١٣)

(١) الأود : الاعواح ، وعله كهرح .

(٢) وفي الجزء الأول من المعتمد « ووليت الحرب » .

(٣) النطف : الرجل المرتب ، وإنه لطف بهذا الأمر : أي مهم ، وفي الأصل : في الجزء الأول
« النصف » وفي الثالث « المطق » وكلماهما محرفه .

٢٧١ — كتاب شريح إلى صديق له

ووقع بالكوفة وباء ، فخرج الناس وتفرقوا في النجف ، فكتب
شريح^(١) إلى صديق له خرج بخروج الناس :
« أما بعد ، فإنك بالمكان الذي أنت فيه بعين من لا يعجزه هرب ،
ولا يفوته طلب ، وإن المكان الذي خلفت لا يعجل لأحد حماه ، ولا
يظلمه أيامه ، وإنا وإياك لعل بساط واحد ، وإن النجف من ذى قدرة
لقريب » . (رهر الآداب ٣ : ٣٣٧)

٢٧٢ — كتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم

وولى الحجاج قتيبة بن مسلم الباهلي خراسان ، فقدمها سنة ٨٦ هـ -
وغزا أخرون وشومان - وهما من طخارستان^(٢) - وصالحه أهلها على فدية
أدوها إليه فقبلها ، ثم فقل^(٣) إلى مرو ، وخلف الجند ، واستخلف عليهم
أخاه صالح بن مسلم ، فأخذوا طريق بلخ إلى مرو ، وبلغ الحجاج ، فكتب
إليه يلومه ويعجز رأيه في تخليفه الجند وكتب إليه :
« إذا غزوت فكن في مقدم الناس ، وإذا قفلت فكن في أخرياتهم
وساقيتهم^(٤) » . (تاريخ الطري ٨ : ٦٠)

(١) هو شريح بن الحرث فاضى الكوفة ، بوى سنة ٨٧ ، اقرأ ص ٢٨١ من الجزء الأول .
(٢) ناحية كيرة سرقى خراسان على مـرحـبـون . وقد صطها ابن حـاـكـاـن هـكـدا - اطر ومات
الأعيان ١ : ٩٠ فى رجه سار بن رد ، وصطها ناغوب فى معجم البلدان ربح الطاء .
(٣) رجع . (٤) ساقه الحيس : مؤخره .

٢٧٣ - بين الحجاج وقتيبة

قال الطبري :

وغزا قتيبة وزدان خذاه ملك بخارى سنة ٨٩ هـ ، فلم يُطْفِئْهُ ، ولم يظفر من البلد بشيء ، فرجع إلى مرو وكتب إلى الحجاج بذلك ، فكتب إليه الحجاج : أَنْ صَوَّرَهَا لِي ، فبعث إليه بصورتها ، فكتب إليه الحجاج أن : « ارجع إلى مراغتك ^(١) ، فنب إلى الله مما كان منك ، وأتيا من مكان كذا وكذا » .

وقيل : كتب إليه الحجاج أن : « كِسْ بِكِسِّ ^(٢) ، وانسِفْ نَسْفَ ^(٣) ، وَرِدْ وَرْدَانْ ، وإياك والتَّحْوِيطَ ^(٤) ، ودَعْنِي مِنْ بُنْيَاتِ ^(٥) الطريق » .
فخرج إلى بخارى سنة ٩٠ غازيا ، ففتحها وهزم جنود وردان خذاه ، ومن استنصرهم من السَّغْدِ والترك ومن حولهم .

ورجع قتيبة إلى مرو ، وكتب إلى الحجاج :
« إني بعثت عبد الرحمن بن مُسْلِمٍ ، ففتح الله على يديه » .

(١) المراجعة : متبرِّع الداه ، أراد بها بخارى : أي أن يفتحها ويحدها معلا يقاتلها كما سلب الدابة في مراعتها ، والمراجعة أيضاً : الأمان التي لا تمنع من الضلوع ، كأنه يقول له إنها لا تسعني عانك في فتحها . (٢) الكس : العمل والحف والنفود ، ومعناه كسر ، وكاسه بكاسه عانه بالكاسه ، وكس : منبه مغرب سمرقند . (٣) نسف : منبه كبره بين حجون وسمرقند .

(٤) حال : حوط حول الأمر : أي دار ، وأصله من حوط كرمه محوطاً : أي بنى حوله حائطاً ، سعى : إياك والدوران في العول وكثرة المراجعة فيه (وهالاحيا : ماوط ملاها محاطه : إذا داوره في أمر ترويه منه وهو بأناه كأنك شوطه ومحوطك) .

(٥) نبات الطريق : الطرق الصغار تنبع من الحادة ، أي اسلك الطريق العام المأمون ولا ترجع في المذنبات والمعطبات .

وكان قد شهد الفتح مولى للحجاج ، فقدم فأخبره الخبر ، فغضب الحجاج على قتيبة ، فاغتم لذلك ، فقال له الناس : ابعت وفدا من بني تميم وأعطهم وأرضهم يُخبروا الأمير أن الأمر على ما كتبت ، ففعل ، فلما قدموا على الحجاج صاح بهم وعابهم ، ودعا بالحجّام بيده مقرّاض^(١) ، فقال : لأقطعن ألسنتكم أولتصدّقني ، قالوا : الأمير قتيبة ، وبعث عليهم عبدالرحمن ، فالتفتح للأمير ، والرأس الذي يكون على الناس ، فسكن الحجاج .

(تاريخ الطبري ٨ : ٦٧ ، ٦٩)

٢٧٤ — بين الوليد وعمر بن عبد العزيز

وفي سنة ٨٨ هـ بعث الوليد إلى عمر بن عبد العزيز - وكان عامله على المدينة - بكتاب يأمره بإدخال حُجَر أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد رسول الله ، وأن يشترى ما في مؤخره ونواحيه حتى يكون مائتي ذراع في مائتي ذراع ، ويقول له : « قَدَّم القِبْلةَ إِن قَدَرْتَ - وأنت تقدر - لِمَكَانِ أَخْوَالكِ ، فإنهم لا يخالفواكِ ، فن أبن منهم فُرْ أهل المِصر فليَقْوُوا له قِيمةَ عَدْلٍ ، ثم اهدِم عليهم وادفع إليهم الأثمان ، فإن لك في ذلك سَلَفٌ صدقِ عمرَ وعثمان » .

فأقرأهم كتاب الوليد ، فأجاب القوم إلى الثمن فأعطاهم إياه ، وأخذ في هدم بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناء المسجد ، فلم يمكث إلا يسيرا حتى فَدِمَ الفَعْلَة ، بعث بهم الوليد .

(١) المقرّاض : النفس .

وفي هذه السنة أيضاً كتب الوليد إلى عمر في تسهيل الثنايا^(١) وحفر الآبار بالمدينة ، وخرجت كتبه إلى البلدان بذلك ، وكتب الوليد إلى خالد ابن عبد الله القسري بذلك - وكان على مكة - .

وكتب الوليد أيضاً إلى عمر أن يعمل الفؤارة التي كانت عند دار يزيد ابن عبد الملك ، فعملها عمر وأجرى ماءها ، فلما حيج الوليد وقف عليها ، فنظر إلى بيت الماء والفؤارة فأعجبته ، وأمر لها بقوام يقومون عليها ، وأن يسقى أهل المسجد منها ففعل ذلك . (تاريخ الطبري ٨ : ٦٥ ، ٦٦)

٢٧٥ - كتب بين الحجاج والوليد وسليمان ابني عبد الملك

ولم يَحْتَزِ الحجاج بعزل يزيد بن المهلب عن خراسان كما قدمنا ، بل حبسه هو وإخوته ، وأغرهم ستة آلاف ألف وعذبهم^(٢) ، فأعملوا الحيلة في الفرار من سجنه (سنة ٩٠ هـ) ففزع الحجاج وذهب وهمهم أنهم ذهبوا قبل خراسان ، وكان يقول : إني لأظنه يحدث نفسه بمنزل الذي صنع ابن الأشعث ، وكتب إلى الوليد : يخبره بهربهم وأنه لا يراهم أرادوا إلا خراسان ، وبعث البريد إلى فتية بن مسلم يحذره فدوهم ، ويأمره أن يستعد لهم ، وبعث إلى أمراء النغور والكور أن يرصدوهم وليستعدوا لهم .

(١) جمع ثنية ، وهي الطرق في الحل .

(٢) وكان يرصد صرعى عذابه صبراً حسناً ، وكان الحجاج يعذبه ذلك . سهل له : إنه رمى بسايرة ثبات نصائها في ساقه فهو لا يسميها شيء إلا صاح ، فإن حرك أدنى شيء سمعت صوته ، فأمر أن يعبث ويدهق ساهه (أي يعمر سديداً) فلما فعل ذلك به صاح ، وأحده هددت بالهلب عبد الحجاج ، فلما سمعت صياح يزيد صاح وناحب فطاعها .

ومضى يزيد وإخوته حتى قَدِمُوا الشام ، فلاذوا بسليمان بن عبد الملك
متعوّذين به فأجارهم ، فكتب الحجاج إلى الوليد :
« إن آل المهلب خانوا مال الله ، وهربوا مني ، ولحقوا بسليمان
ابن عبد الملك أخي أمير المؤمنين ، وولىّ عهد المسلمين ، وإن أمير المؤمنين
أعلى رأيا » .

فلما بلغ الوليد مكانه عند سليمان ، هَوَّنَ عليه بعض ما كان في نفسه ،
وطار غضبا للمال الذي ذهب به ، وكتب إلى أخيه سليمان بذلك .
فكتب سليمان إلى الوليد :

« إن يزيد بن المهلب عندي ، وقد آمَنْتُهُ ، وإنما عليه ثلاثة آلاف
ألف ، كان الحجاجُ أغْرَمَهُمْ ستة آلاف ألف ، فأدّوا ثلاثة آلاف ألف ،
وبقى ثلاثة آلاف ألف ، فهي على » .
أو كتب إليه :

« يا أمير المؤمنين : إني ما أجرتُ يزيد بن المهلب إلا لأنه هو وأبوه
وإخوته من صنائعنا قديما وحديثا ، ولم أُجِرْ عدوا لأمر المؤمنين ، وقد
كان الحجاج قصده وعذبه وغرّمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ، ثم طالبه
بثلاثة آلاف ألف درهم ، وقد سار إلىّ واستجار بي فأجرتَه ، وأنا أغْرَمَ
عنه هذه ثلاثة آلاف ألف درهم ، فإن رأى أمير المؤمنين ألا يُخْزِنِي في
صنفي فليفعل ، فإنه أهل الفضل والكرم » .

فكتب إليه الوليد :

« لا والله ، لا أؤمنه حتى تبعث به إليّ في وثاق^(١) »

فكتب إليه سليمان :

« ولئن أنا بعثت به إليك لأجيبنّ معه ، فأنشدك الله^(٢) أن لا تقضّحنى ولا تُخفّرني^(٣) . »

فكتب إليه الوليد : « والله لئن جئتني لا أؤمنه . »

فقال يزيد : ابعثني إليه ، فوالله ما أحب أن أوقع بينك وبينه عداوة وحربا ، ابعث إليه بنى وأرسل معي ابنك ، واكتب إليه بالطف مآقدّرت عليه .

فأحضر سليمان ابنه أيوب فقيّده ودعا يزيد بن المهلب فقيّده ، ثم شد قيد هذا إلى قيد هذا بسلسلة وغلّهما جميعا بعلّين ، وأرسلهما إلى أخيه الوليد ، فدخلا عليه ، فلما رأى الوليد ابن أخيه في سلسلة أطرق استحياء ، وقال : لقد أسأنا إلى أبي أيوب إذ بلّغنا به هذا المبلغ ، ودفع الغلام كتاب أبيه إلى عمه ، وقال : يا أمير المؤمنين ، نفسى فداؤك ، لا تخفّر ذمة أبى وأنت أحقّ من منعها ، ولا تقطع منارجاء من رجا السلامة في جوارنا لمكاننا منك ، ولا تدلّ من رجا العز في الانقطاع إلينا لعزّنا بك . وكان في الكتاب : « لعبد الله الوليد أمير المؤمنين من سليمان بن عبد الملك ، أما بعد : يا أئمة المؤمنين ، فوالله إن كنت لأظنّ - لو استجاربى عدو قد نابذك^(٤) »

(١) الوثاق بالفتح وكسر : ما شد به . (٢) أى أسألك بالله .

(٣) أحمره وحمره كسرت : قصّ عهده .

(٤) نابذه : خالعه وعصاه ، ونابذه الحرب : كاشفه لإهاها وحاهره بها .

وجاهدك فأنزلته وأجرته - أنك لا تدلّ جارى ولا تحفر جوارى ، بل لم أجر إلا سامعا مطيعا حسن البلاء والأثر فى الإسلام هو وأبوه وأهل بيته ، وقد بعثت به إليك ، فإن كنت إنما تغزو^(١) قطيعتى ، والإخفار لدمتى ، والإبلاغ فى مساءتى ، فقد قدرت إن أنت فعلت ، وأنا أعيذك بالله من احتراء^(٢) قطيعتى ، وانتهاك حرمتى ، وترك برى وصلى ، فوالله يا أمير المؤمنين ما تدرى مابقائى وبقاؤك ، ولا متى يفرّق الموت بينى وبينك ، فإن استطاع أمير المؤمنين - أدام الله سروره - أن لا يأتى علينا أجل الوفاة إلا وهو لى واصل ، ولحق مؤدٍ ، وعن مساءتى نازع^(٣) ، فليفعل ، والله يا أمير المؤمنين ما أصبحت بشيء من أمر الدنيا - بعد تقوى الله فيها - بأسر منى برضاك وسرورك ، وإن رضاك مما ألتس به رضوان الله ، فإن كنت يا أمير المؤمنين تريد يوما من الدهر مسرتى وصلى وكرامتى وإعظام حقى ، فتجاوز لى عن يزيد ، وكل ما طلبته به فهو على » .

أو كتب إليه : « أما بعد ، يا أمير المؤمنين فقد وجهت إليك يزيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ، ولقد هممت أن أكون ثالثهما ، فإن هممت يا أمير المؤمنين بقتل يزيد فبالله عليك أبداً بأيوب من قبله ، ثم أجعل يزيد ثانيا ، وأجعلنى إذا شئت ثالثا ، والسلام » .

فلما قرأ كتابه قال : لقد شققنا^(٤) على سليمان ، ثم دعا ابن أخيه

(١) قصد .

(٢) الاحتراء امعال من الحرد (بالفتح) وهو القصد ، حرد كصرب : قصد - ولم يذكر كتب الاء المراد - وفى وماب الأعيان « احصار » . (٣) أى كاف .

(٤) شق عليه : أوقعه فى المدمه ، وفى قوله سالى : « وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ » .

فأدناه منه ، وتكلم يزيد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بلاءكم عندنا أحسن البلاء ، فمن يَنْسَ ذلك فلسنا ناسيه ، ومن يكفر فلسنا كافريه ، وقد كان من بلائنا أهل البيت في طاعتكم ، والطعن في أعين أعدائكم ، في المواطن العظام في المشارق والمغارب ، ما إنَّ المِنَّة علينا فيها عظيمة . فقال له : اجلس فجلس ، فأمنه وكف عنه ، ورجع إلى سليمان ، وسمى إخوته في المال الذي عليه .

وكتب الوليد إلى الحجاج :

« إني لم أصِلْ إلى يزيد وأهل بيته مع سليمان ، فاكُفَّ عنهم وألهُ عن الكتاب إلىَّ فيهم » فلما رأى ذلك الحجاج كف عنهم .
(تاريخ الطبري ٨ : ٧٣ ، وثمرات الأوراق ص ٢٠٨ ، وفيات الأعيان ٢ : ٢٧٠)

٢٧٦ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة :

« إني قد نظرتُ في سِنِّي ، فإذا أنا قد بلغت خمسين سنةً ، وأنت نحو مني في السن^(١) ، وإنَّ امرأً قد سار نحو خمسين حِجَّةً^(٢) إلى مؤرِد ، لقيمن^(٣) أن يُورِّدَه » . (الأغانى ١٨ : ١١٩ ، وشرح العيون ص ١٢٢)

(١) وفي رواية الأغانى : « فإذا أنا ابن ثلاث وخمسين سنة ، وأنا وأنت لدة عام ... » .
(٢) الحجة : السنة .
(٣) القمين كأمير ، والقمن ككف وحمل : الحايق الجدر (والأحيرة لائى ولا تجمع) قال أبو الفرج : فسمع هذا أبو محمد التيمي فقال :
إذا ذهب القرن الذى أت فيهم وحلفت في قرن فأنت غرب
وإنَّ امرأً قد سار خمسين حجة إلى منهل ، من ورده لم يرب
وقال صاحب زهر الآداب (ج ٣ : ص ١١٧) « واليت لأبى محمد التيمي ، أنشده دعل ، قال :

٢٧٧ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة :

« إني قد طلقتُ بنتَ قَطْنِ الهلالية عن غير رِيبَةٍ ، فَتَزَوَّجْهَا » .

٢٧٨ - رد قتيبة على الحجاج

فكتب إليه قتيبة :

« ليس كلُّ مطالِعِ الأمير أحبُّ أن أُطْلَعَ » :

فقال الحجاج : وَيَلُ أُمُّ^(١) قتيبة إِمجَابًا بقوله . (سرح العيون ص ١٢٨)

٢٧٩ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة أن :

« اَبَثَّ إِلَى الْآدَمَ^(٢) الْجَعْدِيُّ الَّذِي يُفْهَمُنِي وَيَفْهَمُ عَنِي »

وترجم الرواة أنه لأعرابي من بني أسد ، قال خلاد الأرقط : كنا على باب أبي عمرو بن العلاء ومعنا التيمي فذكرنا كتاب الحجاج بن يوسف إلى قتيبة بن مسلم : « إني وإياك لدمان ، وإن امرأ قد سار حسين حجة ... » فانتشاه التيمي فاحتله في شعره .

(١) انظر هامش ص ١٣١ .

(٢) الآدم : وصف من الأدمة الناصم وهي السمرة ، والجعدى : نسبة إلى جعد ، ووجه جعد : مستدير قليل اللحم ، وهو نسبة إلى الوصف ، يؤيد هذا ما قبله وهو « الآدم » فهو يعنى أن يدين له صفاته الخافية ، وليس بمسبوق إلى بني جعدة - وهم من العرب منهم النافعة الجعدى - لأن الذي عناه الحجاج وهو عرام بن شثير ، من بني ضنة بن طابحة بن إلياس بن مضر ، أما بنو جعدة فهم من قيس عيلان بن مضر .

فبعث إليه عِزَام^(١) بن شُتَيْر ، فقال الحجاج : « لَهِ دَرُهُ^(٢) ، ما كتبتُ
إليه في أمرٍ قطُّ إلا فهم عني وعَرَفَ ما أُريدُ » . (البيان والنبين ١ : ٢٠٦)

٢٨٠ - كتاب الحجاج إلى قتيبة

وكتب الحجاج إلى قتيبة :

« أما بعد ، فإن وَكِيعَ بنَ حَسَّانَ كان بالبصرة ، ثم صار لَصّاً بِسِجِسْتَانَ ،
ثم صار إلى خُرَاسَانَ ، فإذا أناك كتابي هذا فاهْدِمِ بِنَاءَهُ ، واحْلُلْ فِئَاءَهُ^(٣) ،
وكان على شُرْطَةِ قَتِيبَةَ فعزله . (العهد الفريد ١ : ١٧)

٢٨١ - كتاب قتيبة إلى الحجاج ورده عليه

وكتب قتيبة إلى الحجاج : يشكو فِلَةً مَرَزَتْهُ^(٤) من الطعام ، وقلة
غَشِيَانِهِ النساءِ ، وَحَصَرَهُ على المُنْبَرِ ، فكتب إليه :
« استكبر من الألوان لنُصَابٍ من كل صُفْهِةٍ شَدِيدًا ، واستكبر من

(١) في السان والنبين « عِزَام » وهو مخرب ، وإِزَام هو عِزَام ، قال صاحب الفهرست :
« وسَمُوا عِزَامًا وكُتِبَ وحَام » وقد ورد هذا الاسم في تاريخ الطبري « عِزَام » من شهر العس
ح ٨ : ص ٦٩ .

(٢) لَهِ دَرُهُ : كذا يقال لمن يمتنع منه ، والبر : الاب والمراد هاهنا الاب الذي ارسمه من ثدي
أُمِّهِ ، وأَصِفَ إلى الله تعالى شرها ، أي أن الاب الذي يعنى به - بحق - أن ينسب إلى الله تعالى لشدة
وعظمته ، وقيل معناه : الله الذي أُرْصَعَهُ ، وهو قرب من سابعه ، والبر أيضا . العمل والهدى
أي أن عمله عظم جليل حذر به أن ينسب إلى الله تعالى ، أو أن ينسب شرهه كرمه كمال

(٣) فناء النار : ما نزع من أمائها ، وفناء : حلّ المكافاة وحل به .

(٤) ررأه مررئة : أصاب منه .

الطَّرْمُوقَةُ^(١) تجد بذلك موةً على ما تُريد ، وأنزِلِ الناسَ بمنزلة رجلٍ واحدٍ من أهل بيتك وخاصتك ، وارمِ ببصرك أمامك تبلغ حاجتك .
(عيون الأخبار ٥ : ١٧٤)

٢٨٢ - كتاب الحجاج إلى الوليد

وَتُوْفِّيَ محمد بن يوسف أخو الحجاج (سنة ٩١ هـ) وهو والي اليمن ، فكتب الوليد إلى الحجاج يعزیه ، فكتب الحجاج جوابه :
« يا أمير المؤمنين ، ما التقيتُ أنا ومحمد منذُ كذا وكذا سنةً إلا علما واحداً ، وما غاب عني غيبةً أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دارٍ لا ينفرق فيها مؤمنان »
(ومات الأعيان ١ : ٢٦)

٢٨٣ - كتاب الحجاج إلى الوليد

وكتب الحجاج إلى الوليد بعد وفاة أخيه محمد بن يوسف :
« أَخْبِرْ أمير المؤمنين - أكرمهم الله - أنه أُصِيبَ لمحمد بن يوسف خمسون ومائة ألف دينار ، فإن يكن أصابها من حلّها فرحمه الله ، وإن تكن من خبائنه فلا رحمه الله . »

(١) الطرموقة : واحد ، رأى الدحل . حال : ماله طروقه ، المحل ، الى ناعب أن نصرها المحل ، وكذلك الما ، واما الروح كآب وحدث طروقه .

٢٨٤ - رد الوليد على الحجاج

فكتب إليه الوليد :

« أما بعدُ : فقد قرأ أمير المؤمنين كتابك فيما خلف محمد بن يوسف ،
وإنما أصاب ذلك المال من تجارة أحللتها له ، فنزحتم عليه ، رحمه الله .
(الكامل للمرد : ١ : ٢٤٨)

٢٨٥ - كتاب مسلمة بن عبد الملك إلى الوليد

وكتب مسلمة بن عبد الملك وهو غازي بقسطنطينية إلى أخيه الوليد :
أرقتُ وصحراء الطوانة بيننا لبرق تلالا نحو غمرة يامح^(١)
أزاولُ أمرا لم يكن ليطيعه من القوم إلا اللوذعي الصمخ^(٢)
(معجم البلدان ٦ : ٦٦)

٢٨٦ - كتاب سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج

وروى صاحب العقد الفريد قال :

كان سليمان بن عبد الملك يكتب إلى الحجاج في أيام أخيه الوليد
ابن عبد الملك كتباً فلا ينظر له فيها ، فكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج
ابن يوسف ، سلامٌ على أهل الطاعة من عباد الله ، أما بعدُ : فإنك امرؤ

(١) طوانة : بلد نغور المصممة (وهي من نغور السام بين أنطاكية وبلاد الروم) .

(٢) اللوذعي : الحصف الذي الحديد القو ، والصمخ : الرجل البديد .

مَهْشُوكٌ عَنْهُ حِجَابُ الْحَقِّ ، مُوَلَّعٌ بِمَا عَلَيْكَ لَا لَكَ ، مُنْصَرَفٌ عَنْ مَنَافِعِكَ ، تَارِكٌ لِحِطَّتِكَ ، مُسْتَخِفٌّ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ أَوْلِيَائِهِ ، لَا مَا سَلَفَ إِلَيْكَ مِنْ خَيْرٍ يَعْطِفُكَ ، وَلَا مَا عَلَيْكَ لَا لَكَ تَصْرِفُهُ فِي مُهِمَّةٍ مِنْ أَمْرِكَ ، مَعْمُوءٌ^(١) مَعْصُورٌ^(٢) عَنْ الْحَقِّ اعْصِيصَارًا ، لَا تَسْكُتُ عَنْ قَبِيحٍ ، وَلَا تَرْعَوِي عَنْ إِسَاءَةٍ ، وَلَا تَرْجُو اللَّهَ وَقَارًا ، حَتَّى دُعِيَتْ فَاحِشًا سَبَّابًا ، فَقَسَّ شِبْرُكَ بِفَتْرِكَ ، وَآخِرُ زَمَانٍ نَعْلٍ بِحَذْوٍ^(٣) مِثْلِهِ قَائِمٌ ، وَإِيْمُ اللَّهِ لَنْ أُمَكِّنِي اللَّهُ مِنْكَ لَا دُوسَتَكَ دَوْسَةً تَلِينُ مِنْهَا فَرَاثُصُكَ ، وَلَا جَعَلَتَكَ شَرِيدًا فِي الْجِبَالِ ، تَلَوْدُ بِأَطْرَافِ الشَّامِ ، وَلَا عُلُقَنَّ الرُّومِيَّةَ الْحَمْرَاءَ^(٤) بِثَدْيَيْهَا ، عِلِمُ اللَّهِ ذَلِكَ مِنِّي^(٥) وَقَضَى لِي بِهِ عَلَى ، فَقَدِمَا^(٦) غَرَّتْكَ الْعَافِيَةُ ، وَأُتَحَيَّتْ^(٧) أَعْرَاضَ الرِّجَالِ ،

(١) عمه كعرج : تردّد في الضلالة وخير لا يهتدى لطريقه ومدهه ، وفي كتب اللغة أن الوصف منه عمه كعرج وعامه ، ولم يرد فيها معبوه ، إلا أن قال هو معول بمعنى فاعل ، كما في « حِجَابًا مَسْتُورًا » أي ساررا .

(٢) قال في اللسان : « كل شيء معبه وحسبه فقد عصره واعصره » فعني معصوفر عن الحقي : ممزوج بمحوس عه ، وهو اسم فاعل من اعصوفر ، وصيغة افموعل من أسه المبالغة كاعذود من عذب ، واحلولي من حلا - ولم يورد كتب اللغة هذه الكلمة - .

(٣) قال حنا العيل بالعل : أي قطعها وقدرها على مثالها .

(٤) يعني بها ريب ناب يوسف أحت الحاح كما يدل على ذلك رد الحاح الآتي ، يرد أنها نشه الروم في لوبها ، قال في اللسان : « والجرء : العجم لسانهم ، ولأن الشقره أغلب الألوان عليهم ، وكانت العرب تقول للعجم الدين يكون لسان عالنا على ألوانهم مثل الروم والفرس ومن صابهم (أي فاربههم) لهم الجرء ، والعرب إذا قالوا فلان أبيض وفلاة بيضاء فمعناه الكرم في الأخلاق لا لون الحامه : أي طاهره بقر من العوب ، وإذا قالوا فلان أحر وفلاة حمراء عنت لسان اللون ، والعرب تسمى الموالى الجرء » وقال أيضا : « والعرب تقول امرأة جرء أي بيضاء » وفي الحديث « حدوا شطر ديسكم من الجرء » يعني عائسه ، كان يقول لها أحيانا يا حمراء تصغير الجرء يرد النساء .

(٥) هذه الجملة في قوة أقسم يعلم الله أو بالله العلم .

(٦) أي فدمعا . (٧) أي فصدتها بالمريق والانهاك .

فإنك قَدَرْتَ فَبَذَخْتَ^(١) ، وَظَفَرْتَ فَتَعَدَّيْتَ ، فُرُوَيْدِكَ حَتَّى تَنْظُرَ كَيْفَ
يَكُونُ مَصِيرُكَ إِنْ كَانَتْ بِي وَبِكَ مُدَّةٌ أَتَعْلَقُ بِهَا ، وَإِنْ تَكُنِ الْآخِرَى ،
فَأَرْجُو أَنْ تَتَوَلَّى إِلَى مَذَلَّةٍ ذَلِيلَةٍ ، وَخَزِيَّةٍ^(٢) طَوِيلَةٍ ، وَيَجْعَلَ مَصِيرُكَ فِي
الْآخِرَةِ شَرًّا مَصِيرِ ، وَالسَّلَامُ . (العقد المرید ٣ : ١٦)

٢٨٧ - رد الحجاج على سليمان

فكتب إليه الحجاج :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ الْحَجَّاجِ بْنِ يَوْسُفَ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ ، سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى ، أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ تَذَكُّرُ أُنَى
أَمْرٍ مَهْتُوكٍ عَنِ حِجَابِ الْحَقِّ ، مُوَلَّعٌ بِمَا عَلَى لَالِي ، مَنْصَرَفٌ عَنْ مَنْافِي ،
تَارِكٌ لِحَظِي ، مُسْتَخِفٌّ بِحَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ وَلِيِّ الْحَقِّ ، وَتَذَكَّرَ أَنَّكَ ذُو
مُصَاوَلَةٍ^(٣) ، وَلَعَمْرِي إِنَّكَ لَصَبِي حَدِيثِ السَّنَنِ ، تُعَذِّرُ بِقَلَةِ عَقْلِكَ ، وَحَدَائِثِ
سَنِكَ ، وَيَرْقُبُ فَيْكَ غَيْرُكَ .

فَأَمَّا كِتَابُكَ إِلَيَّ ، فَلَعَمْرِي أَمَدُ ضَعْفٍ فِيهِ عَقْلُكَ ، وَاسْتَخْفَ بِهِ جِلْمُكَ ،
فَلِلَّهِ أَبُوكَ ! أَفَلَا أَنْتَصَرْتَ بِقَضَاءِ اللَّهِ دُونَ قَضَائِكَ ، وَرَجَاءِ اللَّهِ دُونَ رَجَائِكَ ،
وَأَمَتَّ غِيظَكَ ، وَأَمِنْتَ عَدُوَّكَ ، وَسَتَرْتَ عَنْهُ تَدْيِيرَكَ ، وَلَمْ تُنَبِّهْهُ فَيَلْتَمَسْ
مِنْ مُكَائِدَتِكَ مَا لَتَلْتَمِسُ مِنْ مُكَائِدَتِهِ ! وَلَكِنَّكَ لَمْ تَشِفْ^(٤) بِالْأُمُورِ عُلَمَا ،

(١) بدح كمرح بنحنا بالحريك : تكبر وعلا .

(٢) الخزية ففتح الحاء وكسرها : البلية يقع فيها .

(٣) صاوله مصاوله وصيالا : واثبه . (٤) شف : زاد (وفسص أيضا) .

هذه الأمة ، وليسوا منك ، أو لست قاتِلَ الحَضْرَمِيِّ^(١) الذى كتب إليك فيه زياد أنه على دين على كرم الله وجهه ، ودين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه وسلم الذى أجلسك مجلسك الذى أنت فيه ، ولولا ذلك كان أفضل شريكك وشرف آبائك تجشّم الرّحلتين : رحلة الشتاء والصيف^(٢) ، فوضعها

ذلك الكثير واسع ، وحتى رويوه وتعلموه كما يتعلمون القرآن ، وحتى علموه باتهم وساءم وخدمهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ماشاء الله .

ثم كتب إلى عماله نسخة واحدة إلى جميع البلدان : « انظروا إلى من قامت عليه الدعة أنه بنى عليا وأهل بيته فأنحوه من الدبوان وأسقطوا عطاءه ورزقه » وشجع ذلك نسخة أخرى : من اتهموه بموالة هؤلاء اليوم فسكوا به واهدموا داره » فلم تكن اللاء أشد ولا أكرمه للعراق ، ولا سيما بالكوفة حتى إن الرجل من شيعة على عليه السلام ليأبى من يثق به ، فيدخل بئته فيلقى إليه سره ويخاف من حادمه ومملوكه ، ولا يحدّثه حتى يأخذ عليه الأيمان العليظة ليكنس عايه ، فظهر حديث كثير موضوع وبهتان مستمر ، ومضى على ذلك الفقهاء والفضلاء والولاة ، وكان أعظم الناس فى ذلك باية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الحشوع والسك ، فيصعلون الأحديث ايعظوا بذلك عد ولاتهم ، ويعربوا مجالسهم ، ويصوبوا به الأموال والضياع والتارل . حتى اتفقت تلك الأحبار والأحداث إلى أذى الديابيين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان ، فقلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ، ولو علموا أنها باطلة لما رويوها ولا تديبوا بها .

فلم نزل الأمر كذلك حتى مات الحسن بن على عليه السلام (سنة ٥٠) فارواد اللاء والفسة ، فلم يبق أحد من هذا القليل إلا وهو حائف على دمه ، أو طريد فى الأرض ، ثم نفاثم الأمر بعد قتل الحسين عليه السلام ، وولى عبد الملك بن مروان ، فاشتد على الشيعة وولى عليهم الحجاج بن يوسف ، فتقرّب إليه أهل السك والصالح والدين بعس على وموالة أعدائه وموالة من يدعى قوم من الناس أنهم أيضا أعداؤه ، فأكروا فى الرواية فى مضانهم ومناهم ، وأكروا من العن من على علمه السانم وعنه والغن منه والشان له ، حتى إن إسما وقت للحجاج ، وهال إنه حد الأصم . عبد الملك بن قريش ، فصاح به أيها الأمير إن أهلى عفونى سمونى علما ، وإنى فعير نائس ، وأنا إلى صلة الأمير محتاج ، فتضاحك له الحجاج ، وقال : لطف ماتوسلت به ، فدولبتك موضع كذا » اه . ولانس أن الشيعة وضعوا أحدث مختلفة فى صاحبهم ، حاتم على وضعها عداوة حصومهم - انظر ابن أنى الحديد م ٣ ص ١٧ .

(١) يعنى سريك بن شداد الحصرمى ، وكان من أصحاب حجر بن عدى الدين بعث بهم رياء إلى معاوية وقتل مع حجر .

(٢) كان للرسين فى الماهية رحلان كل عام : رحلة فى الشتاء إلى اليمن ، ورحلة فى الصيف إلى

اللَّهُ عَنْكُمْ بِنَا، مِنَّةً عَلَيْكُمْ ، وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ : لَا تَرُدَّنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ فِي فِتْنَةٍ ، وَإِنِّي لَا أَعْلَمُ لَهَا فِتْنَةً أَعْظَمَ مِنْ إِمَارَتِكَ عَلَيْهَا ، وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ : انْظُرْ لِنَفْسِكَ وَلِدِينِكَ وَالْأُمَّةَ مُحَمَّدٌ ، وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ أَفْضَلَ مِنْ جِهَادِكَ ، فَإِنْ أَفْعَلَ فَإِنَّهُ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّي ، وَإِنْ لَمْ أَفْعَلْهُ فَاسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِدِينِي ، وَأَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ لِمَا يَجِبُ وَيَرْضَى ، وَقُلْتَ فِيمَا قُلْتَ : مَتَى تَكِيدُنِي أَكِيدُكَ^(١) ، فَكِيدُنِي يَا مُعَاوِيَةَ مَا بَدَأَكَ ، فَلَعُمْرِي لَقَدْ يَأْتِيكَ الصَّالِحُونَ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ لَا تَضُرَّ إِلَّا نَفْسَكَ ، وَلَا تَمُحِّقَ إِلَّا عَمَلَكَ ، فَكِيدُنِي مَا بَدَأَكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ يَا مُعَاوِيَةَ : وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ كِتَابًا لَا يُمَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ، وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِنَاسٍ لَكَ قَتْلَكَ بِالظُّنَّةِ ، وَأَخْذَكَ بِالثَّهْمَةِ ، وَإِمَارَتَكَ صَبِيحًا يَشْرَبُ الشَّرَابَ ، وَيَلْعَبُ بِالْكِلَابِ^(٢) ، مَا أَرَاكَ إِلَّا

الشام ، فيمتارون ويتجرون ، وكانوا يخرجون بتجارهم قوافل عظيمة وقد ذكر الطبري أن إحدى هذه القوافل بلغت خمسمائة وألف بعير ، وكانوا في رحلتهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولادة بنته ، ذلك إلى ما أخذهم بهم بعد مناف من الأيلاف أي العهد تأمير التجارة ، وكان هاشم بن عبد مناف قد خرج إلى الشام وأخذ لإيلاف منها لم يخرج إليها من قريش ، وخرج المطلب بن عبد مناف فأخذ لإيلاف من اليمن ، وأخذ عبد شمس بن عبد مناف لإيلاف من الحبشة ، وأخذ نوفل بن عبد مناف لإيلاف من فارس (انظر ديل الأمالي ص ٢٠٤) ، فكان تحار قريش يحتفلون إلى هذه الأقطار آمنين في امسيارهم واتقاهم شفاء وصيفا لا يتعرض لهم ، على حين أن الناس كانوا يحفظون من حولهم ويغار عليهم ، وكان أبو سفيان يرأس العير التي تتردد بين مكة والشام ، ولا يغيب عنك ما روى في كتب السيرة في عرود بدر من : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بأبي سفيان بن حرب قفلا من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أهوال لقريش وتجارة من تخاراتهم » .

(١) وهذه العبارة أيضا لم ترد في كتاب معاوية إليه .

(٢) روى المسعودي في مروج الذهب (ح ٢ : ص ٩٤) قال :

« وكان يريد صاحب طرب وحوارح وكلاب وقرود وفهود ومادمة على الشراب ، وجلس ذات يوم على شرابه ، وعن يمينه ابن زياد - بعد قتل الحسين - فأقبل على ساقيه فقال :

اسقي شربة تروى مشاسي ثم صل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السرو والأمانة عدو ولسيد معني وجهاد

قد أَوْبَقْتُ^(١) نفسك ، وأهلكَ دينك ، وأَضَعْتَ الرِّعْيَةَ ، والسلام .

(الإمامة والسياسة ١ : ١٣١)

« والمشاش كغراب : النفس والطبيعة » ثم أمر المغيث فعوا ، وعلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يعمله من العسوق ، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة واستعملت الملاهي ، وأطهر الناس شرب الشراب وكان له قرد يكي بأبي قيس ، يحصره مجلس منادته ، وي طرح له متكاً ، وكان قرداً خبيثاً ، وكان يحمله على أنان وحشية ، قدر يضت وذلت لذلك سرج ولجام ، ويسابق بها الخيل يوم الحلبة ، فناء في بعض الأيام سابقاً ، فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل ، وعلى أبي قيس قباء من الحرير الأحمر والأصفر مصهر (مخطط) وعلى رأسه قلنسوة من الحرير ذات ألوان شقائق (أي مصغرة بمثل الشقائق) وعلى الأنان سرح من الحرير الأحمر منقوش ملمع بأنواع من الألوان ، فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم .

تمسك أنا قيس بفضل عانها فليس عليها إن سقطت صمان
ألا من رأى القرد الذي سقت له حياذ أمير المؤمنين أنان

وروى ابن طباطبا في الفخرى ص ٤٩ قال :

« كان يزيد بن معاوية أشد الناس كافاً بالصيد لا يزال لاهياً به ، وكان يلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب ، والحلال المسوجة منه » الحلال بالكسر جمع حل بالصم والفتح : مانسه الدابة لتصان به « ويهب لكل كلب عبداً يخدمه ، قيل إن عبيد الله بن زياد أخذ من بعض أهل الكوفة أربعة مائة ألف دينار حنافة ، وحملها في خرائن بيت المال ، فرحل ذلك الرجل من الكوفة وقصد دمشق ليشكو حله إلى يزيد - وكانت دمشق في تلك الأيام فيها سرير الملك - فلما وصل إلى طاهر دمشق ، سأل عن يزيد معرفوه أنه في الصيد ، فكره أن يدخل دمشق ، وليس برد حاصراً فيها ، فصرّب محببه طاهر المدينة ، وأقام به ينتظر عود يزيد من الصيد ، وفيها هو في بعض الأيام حاس في خيمته ، لم يشعر إلا بكلفة قد دخلت عليه ، وفي قوائمها الأساور من الذهب ، وعليها حل يساوي مبلغاً من المال كبيراً ، وقد ناع منها العطش والتعب ، وكادت تموت ، فعلم أنها أيزيد وأنها قد شددت منه ، فقام إليها وقدم لها ماء ، وسعدها بنفسه ، فما شعر إلا شأب حس الصورة على فرس جميل ، وعليه رى الملوك ، وقد علتة عرة ، فقام إليه وسلم عليه ، فقال له : أرايت كلبه عارضة هذا الموضع ؟ فقال : نعم يا مولانا ، هاهي في الحيمة ، قد شربت ماء واستراحت ، وقد كانت على غاية من العطش والتعب ، فلما سمع يزيد كلامه رل ودخل الحيمة ونظر إلى الكلبة وقد استراحت ، فخذ بحبلها ليحرج ، فشكا الرجل إليه حاله وعرفه ما أحدث منه ابن زياد ، فطاب دواة وكتب إليه رد ماله وخلعة سنية ، وأخذ الكلبة وحرّج ، فرد الرجل من ساعته إلى الكوفة ولم يدخل دمشق .

وقال الحسن البصري : « أربع حصائل كن في معاوية ، لو لم يكن فيه منها إلا واحدة لكانت موبقة : انتراؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها غير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستحلافه أنه أهدم سكيراً خميراً ، يلبس الحرير ، ويصرب بالطاير ، وادعائه زياداً وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الولد للفراس وللعاهر الحجر » ، وقتله حجراً ، وبلا له من حجر وأصحاب حجر مرتين » - انظر تاريخ الطبري ٦ : ١٥٧ والنية والأمل ص ١٥ .

(١) أوبقت : أهلكت .

٧١ - بين معاوية وسعيد بن العاص

فلما جاب القوم معاوية بما جابوه من الخلاف لأمره والكرَاهِيَّة لبيعته ليزيد ، كتب إلى سعيد بن العاص يأمره أن يأخذ أهل المدينة بالبيعة ليزيد أخذًا بغلظة وشدة ، ولا يدع أحدًا من المهاجرين والأنصار وأبنائهم حتى يبايعوا ، وأمره أن لا يحرك هؤلاء النَّفَر ولا يهيجهم ، فلما قَدِم كتاب معاوية ، أخذهم بالبيعة أعنف ما يكون من الأخذ وأغلظَه ، فلم يبايعه أحد منهم ، فكتب إلى معاوية :

« إنه لم يبايعني أحد ، وإنما الناس تبع لهؤلاء النَّفَر ، فلو بايعوك بايعك الناس جميعًا ، ولم يتخلف عنك أحد » .

فكتب إليه معاوية يأمره أن لا يحركهم إلى أن يقدّم ، ثم قَدِم معاوية المدينة حاجا ، وكان من أمره معهم ما كان^(١) (الإمامة والسياسة ١ : ١٣٢)

(١) وذلك أنه لما دنا منها استقبله أهلها ، فيهم : عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي ، وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فأقبل على ابن أبي بكر ، وسه وقال : لامرحا بك ولا أهلا ، فلما دخل الحسين عايه قال : لامرحا بك ولا أهلا ، بدنة يترقرق دمها والله مبريقه « والبدنة بالتحريك من الإبل والبقر كالأحصية من الغنم يهدى إلى مكة ، للذكر والأنثى » فلما دخل عليه ابن الزبير ، قال : لامرحا بك ولا أهلا ، صب تاعة ، ودخل رأسه تحت دنته « والتاعة كوردة : ما ارتفع من الأرض وما امهبط منها » فلما دخل عبد الله بن عمر ، قال : لامرحا بك ولا أهلا ، وسه ، فقال : إنى است بأهل لهذه المقالة ، قال : بلى ، ولما هو شر منها ، فدخل معاوية المدينة وأقام بها ، وخرج هؤلاء الرهط معمرين ، فلما كان وقت الحج خرج معاوية حاجا ، فأقبل بعضهم على بعض ، فقالوا : لعله قد بدم فأقبلوا يستقبلوه ، فلما دخل ابن عمر ، قال : مرحبا بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن العاروق ، هاتوا لأبي عبد الرحمن دابة ، وقال لابن أبي بكر : مرحبا بشيخ قريش وسيدها وابن الصديق ، هاتوا له دابة ، وقال لابن الزبير : مرحبا بابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته ، هاتوا له دابة ، وقال للحسين : مرحبا بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيد شباب المسلمين قربوا لأبي عبد الله دابة ، وحملت أظفاره « جمع اظف بالتحريك وهو الهدية » فدخل عليهم ظاهرا

٧٢ - كتاب معاوية إلى ابنه يزيد

وكتب معاوية إلى ابنه يزيد - وقد بلغه مُقَارَفَتُهُ اللَّذَاتِ ، وانهماكهُ

في الشهوات - :

يراها الناس ، ويمس إياهم وشمائمهم ، وجمهم على الدواب ، وخرج حتى آثر مكة فتصلى حجه ، ولما أراد الشحوص أمر ، بأنقاله فهدمت ، وأمر بالمير فحرب من الكعبة ، ثم أرسل إليهم ، فاجتمعوا وقالوا : من نكاهم ؟ فأقبلوا على الحسين فأبى ، فقالوا لابن الربير : هات فأنت صاحبنا ، فدخلوا عليه ، فرحب بهم وقال : قد علمت بطرى لكم ، وتعطفى عليكم ، وصلى أرحاكم . ويزيد أخوكم وابن عمكم ، وإنما أردت أن أؤدبه باسم الخلافة ، وتكونوا أتم تأمرون وتنهون ، فسكنوا ، فقال : أحيوني ، فسكنوا ، فقال : أحيوني ، فسكنوا ، فقال لابن الربير : هات فأنت صاحبهم ، قال : « خيرك بين إحدى ثلاث ، أيها أحدث هوى لك رعة ، وفيها حيار : إن شئت فاسمع فيما ماصنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قبضه الله ولم يستخلف أحداً ، فرأى المسلمون أن يساجعوا أنا نكر ، مدح هذا الأمر حتى يختار الناس لأنفسهم ، وإن شئت فما صنع أبو نكر ، عهد إلى رجل من قاصدة قريش ، وترك من ولده ومن رهظه الأديب من كان لها أهلاً ، وإن شئت فما صنع عمر ، جعلها شورى في ستة من قريش يختارون رجلاً منهم ، وترك ولده وأهل بيته ، وفيهم من لو وليها لكان لها أهلاً » فقال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا ، ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا : نرى على ما قال ابن الربير ، فقال معاوية : « لئن أتقدم إليكم وقد أعدت من أندر ، لئن فائم فائق مقالة . فإياكم أن تعترضوا على حتى آتمها ، فإن صدقت فعلى صدقي ، وإلا كذبت فعلى كذبي ، وأقسم بالله لئن رد علي رجل منكم كلمة في مقامى هذا لاترحم إليّ كلبته حتى يصرب رأسه ، فلا يطر امرؤ منكم إلا إلى نفسه ، ولا يبقى إلا عليها » وأمر أن يقوم على رأس كل رجل منهم رجلاً من سيفهم ، فإن سكام نكاهة يرد بها عليه قوله قتلاه ، وخرج وأحرقهم معه ، حتى رقى المير ، وحف به أهل الشام ، واجتمع الناس ، فقام خطيباً . فقال بعد حمد الله والثناء عليه : « إنا وحدها أحاديث الناس ذات عوار » العوار مثله : العيب » قالوا إن حسينا وابن أبي بكر وابن عمر وابن الربير لم يبايعوا يزيد ، وهؤلاء الرهط سادة المساهين وخيارهم ، لأنهم أمروا دويهم ، ولا نصي أمراً إلا عن مشورتهم ، ولأن دعوتهم موحدتهم سامعين مطيعين ، فبايعوا وسلموا وأطاعوا » .

فقال أهل الشام : وما يعظم من أمر هؤلاء ؟ أين لنا فنصرب أعناقهم ، لارصى حتى يبايعوا علابية ، فقال معاوية : سبحان الله ! ما أسرع الناس إلى قريش فالشر ، وأحلى دماءهم عديم ، أنصتوا فلا أسمع هذه المقالة من أحد ، ودعا الناس إلى البيعة فبايعوا . ثم قرب رواحله فرك ومضى . فقال الناس للحسين وأصحابه : قلم لا تبايع ، فلما دعيتهم وأرسمهم بايعهم . قالوا : لم فعل ، قالوا : بلى قد فعلم وبايعتم ، أفلا أنكرتم ؟ قالوا : خما القتل ، وكادكم بكم وكادنا بكم - انظر دبل الأمل ص ١٧٧ والعقد

« من معاوية بن أبي سفيان أمير المؤمنين إلى يزيد بن معاوية :

أما بعد : فقد أدت السنة التصريح إلى أذن العناية بك^(١) ما فجع الأمر فيك ، وباعد الرجاء منك ، إذ^(٢) ملأت العيون بهجة ، والقلوب هيبة ، وترامت إليك آمال الراغبين ، وهمم المتنافسين ، وشحت بك فتيان قريش وكهول أهلك ، فإيسوغ لهم ذكرك إلا على الجرّة المهوّعة^(٣) ، والكظّ الجش^(٤) .

أفتحت البوائق^(٥) ، وأنقذت المعابر^(٦) ، وأعتضتها من سمو الفضل ، ورفيع القدر ، فليتك (يزيد) إذ كنت لم تكن ، سررت يافعا^(٧) ناشئا ، وأثكلت كهلا ضالعا ، فواخزناه^(٨) عليك (يزيد) ! وياحر صدر

(١) أى إلى أذن ذى العناية بك — يريد به معاوية هسه — والمعنى : لقد أفضت بأذنك ألسنة الرقاء عليك إلى مسامع أباك ذى العاة الشديدة شألك ، وصرت له بما تقارفه من المنكرات والمثالب .
(٢) إدها طرية . (٣) الحرة : ما يفيض به العير فيأكله ثمانية ، وهو ع ما أكل : فياه إياه ، والمراد أنهم يستغلون ذكره . (٤) كظه الطعام كظا : ملاء حتى لا يطبق النفس ، والجش : كشمس : الكثير .

(٥) البوائق : الدواهي جمع نائفة ، والمعنى اقترعت الآثام والمعاصي . .

(٦) المعابر : المعايير ؛ قالت لى الأحيلى :

لعمرك ما نالوت عار على امرئ إذا لم تصبه فى الحياة المعابر

(٧) أيقظ العلام ومع كفتح يهوعا : شب ، فهو يافع ، ولم يستعمل اسم الفاعل من الرباعى ، وثكلت المرأة ولدها (كتب) : تمته ، وأنكلها الله ولدها : أفقدها إياه ، والمعنى : وأفقدنا الأمل فيك وأحزننا ، والكهل : من حاور الثلاثين ، أو أربعا وثلاثين إلى إحدى وخمسين ، والضالع : المائل ضاع عنه كفتح صلعا بالنسكين : مال ، أى مائلا إلى الهوى منحرفا عن طريق الرشاد .

(٨) جاء فى شرح التبان للمكبرى على ديوان المتنبي ج ٢ : ص ٢٥٥ عند الكلام على قوله :

واحر قلناه من قلله شيم ومن بجسى وحالى عنده سقم

« واسجل هاء السكت (فى واخر قلناه) وأنتها فى الوصل كما تدت فى الوقف ، والعرب يفعل ذلك كقراءة ابن دكوان « مبهدام اقتدهى » بكسر الهاء وإدات الياء وصلا ، وكقراءة هشام بكسر الهاء . وحرك الهاء أبو الطيب لسكونها وسكون الألف قلها ، والعرب فى ذلك أمران : مهمهم من حرك الهاء سبها بهاء الصمير ، وأشدوا : « يامرحاه خمار أعمرأ » ومهمهم من يحرك

المُكَلِّ بك ، ما أَشْمَتَ فِتْيَانُ بنى هاشم ! وأَذَلَّ فِتْيَانُ بنى عبد شمس ^(١) عند
تفاوض المفاخر ودراسة المناقب ! فمن لِصَلاح ما أَفسدت ، وَرَتَّقَ ما فَتَقَّتْ ؟
هيهات ! خَمَشَتْ ^(٢) الدُّرْبَةُ وَجْهَ التَّصَبُّرِ بك ، وَأَبَتْ الجِنايَةَ إِلَّا تَحذُّرًا على
الألسن ، وحلاوةً على المناطق ، ما أَرْبَحَ فائدةً نالوها ، وفُرْصَةً انتهزوها !

انتبه (يزيد) لِلْفِظَةِ ^(٣) ، وشاور الفِكرَةَ ، ولا تكن إلى سَمْعِكَ أسرعَ
من معناها إلى عقلك ، وعلم أن الذى وطَّأك ^(٤) وسوسة الشيطان ، وزخرفة
السلطان ، مما حَسُنَ عندك فُبِّحَ ، وأخْلَوَى عندك مُرُّهُ ، أمرٌ شَرِكَكَ فيه
السَّوَادُ ^(٥) ، ونافسَكَه الأَعْبُدُ ، لا لِأَثَرَةٍ تدَّعيها أَوْجَبَتْها لك الإِمرَةُ ،
وأضَعَتْ بها من قدرك ، فأمكنْتَ بها من نفسك ، فكأنك شَانِي ^(٦)
نفسك ، فمن لهذا كله ؟

اعلم يا يزيد أنك طَرِيدُ الموتِ وأسير الحياة ، بلغنى أنك اتخذتَ
المَصانِعَ ^(٧) والمجالس للملاهى والمزامير ، كما قال الله تعالى : « أَتَبْنُونَ بِكُلِّ

بالكسر على ما يوحد كثيرا فى الكلام عند اللقاء الساكنين ، وأنشدوا :

يارب يارباه إياك أسل عمراء يارباه من قل الأهل

فى كلام كثير ارجع إليه ههناك ، وانظر أيضاً حراة الأدب للمدائى ج ٤ : ص ٥٩٢ ولسان
العرب ج ٢٠ : ص ٢٧٠ ، وما أورده صاحب اللسان فى ذلك قول قيس العامرى فى ابلى :

فاديت يارباه أوّل سألتى لفسى ابلى ثم أت حسبيها

قال وهو كثير فى الشعر ، وليس شيء منه بحجة عند أهل البصرة .

(١) يعنى قومه ، فهو معاوية بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس ، والتفاوض : الاشتراك
فى كل شيء ، والمحاربة فى الأمر . والمناقب : المفاخر جمع منقبة مفتاح الميم والقاف .

(٢) خمشت : حدثت ، والدربة : العادة والحراة على الأمر ، والمعنى دربك على احتراح المعاصى
والسيئات . (٣) هكذا فى الأصل ، وربما كانت « لعلطة » .

(٤) أى ليك وسهل عليك الانغماس فى المصنوعات . (٥) السواد من الناس : عامتهم .

(٦) شانى : مبغض . (٧) المصانع : المانى من القصور - والحصون .

ربيع^(١) آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ « وأجهرت^(٢) الفاجشة حتى اتخذت سريرتها عندك جهراً .

اعلم (يا يزيد) أن أول ما سلبك الشكر معرفة مواطن الشكر لله على نعمه المتظاهرة^(٣) ، والآية المتواترة ، وهي الجرحة العظمى ، والفجعة الكبرى : ترك الصلوات المفروضات في أوقاتها ، وهو من أعظم ما يحدث من آفاتنا ، ثم استحسان العيوب ، وركوب الذنوب ، وإظهار العورة ، وإباحة السر ، فلا تأمن نفسك على سرك ، ولا تعقد على فعلك ، فإخير لذة تعقب الندم ، وتعق^(٤) الكرم :

وفد توقف أمير المؤمنين بين شطرين من أمرك ، لما يتوقعه من غلبة الآفة ، واستهلاك الشهوة ، فكن الحاكم على نفسك ، واجعل المحكوم عليه ذهنك ، ترشد إن شاء الله تعالى .

وليبلغ أمير المؤمنين ما يرد شاردًا من نومه ، فقد أصبح نصب الاعتزال من كل مؤانس ، ودرية^(٥) الألسن الشامتة ، وفقك الله فأحسن . (صبح الأعشى ٦ : ص ٣٨٧)

(١) الربيع : المرتفع من الأرض ، آفة : أى أئنه وقصوراً «محروون بها ، ويعشون بالفقر» وسطاولون عليهم من أهلها ، والمصانع فى الآفة فعل : الأئنه ، وقل : هى أحاس ، حد للماء واحدها مصبعه وهصبع . وهذه الآفة تراء فى عاد قوم هود .

(٢) جهر بالكلام وأجهر به ، وبعديان عبر حرف فقال جهر الكلام وأجهره : أعله وأظهره (٣) المتظاهرة . الدوالية المتزادفه ، وأصله من طاهر بين البوين إذا لس أحدهما على الآخر ، والآلاء : العلم ، جمع إلى كحمل وألو وألى كسمس وألى كعصا وإلى كرسا .

(٤) تحو ورييل ، وأصله من عب الرخ المنزل إذا درسه .

(٥) الدرثه : الحافطة تعلم عليها الطعن والرمى ، وفى الأصل « ودرأه » هو - رعب .

خلافة يزيد بن معاوية

٧٣ — كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة

وبويع يزيد بن معاوية بالخلافة بعد وفاة أبيه في رجب سنة ٦٠ هـ ،
وأمر المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ، ولم يكن ليزيد هم حين ولي إلا
بيعة النفر الذين أبوا الإجابة إلى بيعته حين دعاهم إليها أبوه ، فكتب
إلى الوليد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من يزيد أمير المؤمنين إلى الوليد بن عتبة :
أما بعد : فإن معاوية كان عبداً من عباد الله ، أكرمه الله واستخلفه
وخوله^(١) ومكن له ، فعاش بقدر ، ومات بأجل ، فرحمه الله ، فقد عاش
محموداً ، ومات برّاً تقيّاً والسلام » .

١١

وكتب إليه في صحيفة كأنها أذن فأرة :

« أما بعد : فنحن حسينا ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير بالبيعة
أخذنا شديداً ليست فيه رخصة^(٢) حتى يبايعوا ، والسلام » .
وأبى الحسين عليه السلام أن يبايع ليزيد وخرج إلى مكة .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٨٨)

(١) حوله الله تعالى المال : أعطاه إياه مفضلاً . (٢) الرخصة : التسهيل .

صورة أخرى

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ، قال :

مات معاوية وكان يزيد غائباً ، فلما قدم دمشق بعد موت أبيه كتب إلى عامل المدينة^(١) :

« أما بعد : فإن معاوية بن أبي سفيان كان عبداً استخلفه الله على العباد ، ومكّن له في البلاد ، وكان من حادثِ قضاء الله « جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وتقدّستْ أسماؤه » فيه ما سبق في الأولين والآخرين ، لم يُدفع عنه مَلِكٌ مُقرَّب ، ولا نبي مُرْسَل ، فعاش حميداً ، ومات سعيداً ، وقد قلّدنا الله عزّ وجل ما كان إليه ، فيألفها مصيبةً ما أجّلها ! ونعمةً ما أعظمها ! نَقُلُ الخِلافةَ ، وفَقْدُ الخليفة ، فَتَسْتَوِزُهُ^(٢) الشكر ، وَتَسْتَلْهِمُهُ الحمد ، ونسأله الخيرة^(٣) في الدارين معا ، ومحمود الثماني في الآخرة والأولى ، إنه وليّ ذلك ، وكلُّ شيء بيده لا شريك له .

وإن أهل المدينة قومنا ورجالنا ومَن لم نزل على حُسْنِ الرأي فيهم ،

(١) نس عبارته « كتب إلى خالد بن الحكم وهو عامل المدينة » وهو خطأ ، إذ لا يعرف من ولاية المدينة في هذا العهد والى بذلك الاسم ، ولعل الأصل « إلى مروان بن الحكم » وهذا خطأ أيضاً ، أحل إلى مروان والى المدسه في خلافة معاوية ، ولكن واليها حين وفاته هو الوليد بن عتبة ابن أبي سفيان كما تقدم لك في الكتاب السابق — عن تاريخ الطبري — وجاء أيضاً في صبح الأعشى ج ٤ : ص ٢٩٥ « ولى معاوية على المدينة سنة ٤٢ هـ مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة ٤٩ هـ وولى مكانه سعيد بن العاص ، ثم عزله سنة ٥٤ هـ ورد إليها مروان بن الحكم ، ثم عزله سنة ٥٩ هـ وولى مكانه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثم عزله يريد عن المدينة والحجاز ، وولى مكانه عمرو ابن سعيد الأندلسي ، ثم عزله سنة ٦١ هـ وأعاد الوليد بن عتبة » .

(٢) اسورع الله تعالى شكره : استهله .

(٣) تحمير الشيء : احتاره ، والاسم الحرة تسكون الباء وشفحها والأحيرة أعرف ، وهي الاسم من قولك أخاره الله تعالى .

والاستعداد بهم ، واتباع أثر الخليفة فيهم ، والاحتذاء على مثاله لديهم ، من الإقبال عليهم ، والتقبل من محسنهم ، والتجاوز عن مسيئتهم ، فبايع لنا قَوْمَنَا وَمَنْ قَبْلَكَ من رجالنا بَيْعَةً منشِرحَةً بها صدورُكم ، طيِّبَةً عليها أنفسُكم ، وليكن أوَّل مَنْ يبايعك من قومنا وأهلنا الحسين ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن جعفر ، ويحلفون على ذلك بجميع الأيمان اللازمة ، ويحلفون بصدقة أموالهم غير عُشرِها ، وحرِّية^(١) رقيقهم ، وطلاق نسائهم ، بالثبات على الوفاء بما يُعطون من بيعتهم ، ولا قُوَّةَ إلا بالله والسلام . (الإمامة والسياسة ١ : ١٤٩)

٧٤ — كتاب أهل الكوفة إلى الحسين بن علي

واجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صُرَد ، فذكروا هلاك معاوية ، فحمدوا الله عليه ، فقال سليمان : إن معاوية قد هلك ، وإن حسيناً قد تقبَّضَ على القوم ببيعته ، وقد خرج إلى مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوه فاكتبوا إليه ، وإن خفتم الوَهْل^(٢) والفشل فلا تغرُّوا الرجل من نفسه « قالوا : لا بل نقاتل عدوه ، ونقتل أنفسنا دونه ، قال : فاكتبوا إليه ، فكتبوا إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، حسين بن عليٍّ من سليمان بن صُرَد ، والمسيَّب ابن نجبة ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة .

(١) في الأصل « وجرة » وهو تصحيف . (٢) الوهل : الصعف والفرع والقتل .

سلام عليك . فإننا نحمد إيلك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي فصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى^(١) على هذه الأمة ، فابتزها أمرها ، وغصبتها فيئتها ، وتأمر عليها بغير رضى منها ، ثم قتل خيارها ، واستبقى شرارها ، وجعل مال الله دولة^(٢) بين جباريتها وأغنيائها ، فبعداً له كما بعدت^(٣) ثمود .

إنه ليس علينا إمام فاقدم علينا لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة ، لسنا نجتمع معه في الجمعة ، ولا نخرج معه إلى عيد ، ولو قد باغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه من الكوفة حتى نلحقه بالشأم ، والسلام ورحمة الله عليك .

ثم سرّحوا بالكتاب مع عبد الله بن سبع الهمداني ، وعبد الله بن وائل ، وأمرهما بالنجاء^(٤) ، فخرج الرجلان مسرعين حتى قدما على حسين لعشر مَضِينَ من رمضان بمكة ، ثم سرّحوا إليه قيس بن مُسَهَّر الصيداوى ، وعبد الرحمن ابن عبد الله الأزجبي ، وعمارة بن عُبيد السلولي ، فحملوا معهم نحواً من ثلاث وخمسين صحيفة ، من الرجل والاثنين والأربعة .

(تاريخ الطبرى ٦ : ١٩٧ ، والإمامة والسياسة ٢ : ٣ ، و تاريخ الكامل لابن الأثير ٤ : ٨)

(١) انبرى : وب ، واسرها : سلمها .

(٢) الدولة بالضم في المال ، قال . صار إلى دولة بينهم : تداولوه يكون مرد لها وه . مددا . والدولة بالفتح في الحرب : أن يدال إحدى الفئتين على الأخرى . قال : كانت لما عليهم الدولة ، وويلها سواء مهما . حبان و محبان ، قال العمراء في قوله تعالى « كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ

مِنْكُمْ » رَأَاهَا النَّاسُ رَمَحَ الدَّالِ الْإِسْلَامِيَّ » أعلم فإنه . رَأَاهَا نَصَبَ الدَّالِ .

(٣) المعذ بالهمزة والواو مع حركة . البأى والمهلك ، ومعلمها ككريم وكمرح .

(٤) النجاء . الإسرار .

٧٥ - كتاب ثان

ثم سرّحوا إليه هانئ بن هانئ السُّبَيْعِي ، وسعيد بن عبد الله الحَنْفِي ،
وكتبوا معهما :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، حسين بن عليّ من شيعته من
المؤمنين والمسلمين :

أما بعد : فَصَيَّ هَلَا^(١) ، فَإِنَ النَّاسَ يَنْتَظِرُونَكَ ، وَلَا رَأْيَ لَهُمْ فِي غَيْرِكَ ،
فَالْعَجَلَ الْعَجَلَ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ » . (تاريخ الطبري ٦ : ١٩٧)

٧٦ - كتاب ثالث

وكتب شَبَث بن رُبَيْعٍ ، وَحَجَّار بن أَبْجَرٍ ، وَيَزِيد بن الْحَارِث ،
ويزيد بن رُوَيْمٍ ، وَعَزْرَةَ بن فَيْس . وعمر بن الحجاج الزُّبَيْدِيُّ ، ومحمد
ابن مُعْمِر التَّمِيمِيُّ :

« أما بعد : فَقَدْ اخْضَرَ الْجَنَابُ ، وَأَبْنَعَتِ النَّمَارُ ، وَطَمَتِ الْجِمَامُ^(٢) ،
فَإِذَا سَنَتَ فَأَفْدَمَ عَلَى جُنْدٍ لَكَ مُجَنَّدٍ ، وَالسَّلَامَ عَلَيْكَ » .

(تاريخ الطبري ٦ : ١٩٧)

(١) حى هلا (دون سوس وه) على كندا وإلى كندا : أى أمل وأسرع .

(٢) الجمام : جمع حم بالفتح ، وهو معظم الماء . وطوى الماء : علا . وطأ : عمر .

٧٧ - رد الحسين على أهل الكوفة

وتلاقت الرُّسُل كلها عنده، فقرأ الكتب، وسأل الرسل عن أمر الناس، ثم كتب مع هانئ بن هانئ السُّبَيْعِي، وسعيد بن عبد الله الحنفي - وكانا آخر الرسل - :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من حسين بن علي إلى الملأ من المؤمنين والمسلمين ، أما بعدُ : فإن هانئاً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم ، وكانا آخر مَنْ قَدِمَ عليّ من رُسُلِكُمْ ، وقد فهمتُ كل الذي أقتصصتم وذكرتم ومقالة جُلِّكم : « إنه ليس علينا إمامٌ فأقبلْ لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق » وقد بعثت إليكم أخى وابن عمي ^(١) ، ورثقتي من أهل بيتي ، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم وأمركم ورأيكم ، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأيُ مَلئِككم ، وذوى الفضل والحجّا منكم على مثل ما قدِمْتُ عليّ به رُسُلُكم ، وقرأتُ في كتبكم ، أقَدَمَ عليكم وشيكا ^(٢) إن شاء الله ، فلعمري ما الإمامُ إلا العاملُ بالكتاب ، والآخذ بالقسط ، والدائن بالحق ، والحابِسُ نفسه على ذاتِ اللَّهِ ، والسلام » . (نارخ الطبرى ٦ : ١٩٧ ، ومارخ الكامل لابن الأبر ٤ : ٨)

٧٨ - كتاب مسلم بن عقيل إلى الحسين

وبعث الحسين عليه السلام إلى ابن عمه مُسلم بن عقيل بن أبي طالب ، فقال له : سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ ، فإن كان حقاً خرجنا

(١) عث إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل . (٢) سرّياً .

إليهم ، فخرج مسلم حتى أتى المدينة ، واستأجر دليلاً من قيس ، فأقبلا به فضلاً الطريقَ وجارا ، وأصابهم عطش شديد ، فكتب مسلم مع قيس بن مُسهر الصيداوى إلى الحسين :

« أما بعد : فإني أقبلتُ من المدينة ، معي دليلاً لي ، فجأرا عن الطريق وضلاً ، واشتد علينا العطشُ ، فلم يلبثا أن ماتا ، وأقبلنا حتى انتهيا إلى الماء ، فلم نَنجُ إلا بمُحْشَاةٍ^(١) أنفسنا ، وذلك الماء بمكان يُدعى المَضِيقَ من بطن الحُبَيْتِ ، وقد تطيّرتُ من وجهي هذا ، فإن رأيتَ أعفيتني منه وبعثتَ غیری ، والسلام » . (تاريخ الطرى ٦ : ١٩٨)

٧٩ — رد الحسين على مسلم

فكتب إليه الحسين :

«أما بعد : فقد خشيتُ ألا يكون حَمَلَك على الكتاب إلى في الاستعفاء من الوجه الذى وجَّهْتُكَ له إلا الجبنُ ، فامضِ لوجهك الذى وجَّهْتُكَ له ، والسلام عليك » . (تاريخ الطرى ٦ : ١٩٨)

٨٠ — كتاب عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى يزيد

تم أقبل مسلم حتى دخل الكوفة ، فنزل دار المختار بن أبي عبيدٍ ، وأقبلت الشيعة تختلف إليه ، فبلغ ذلك النعمان بن بشير وإلى الكوفة فخطب

(١) الحشاة : هه الروح في الرص والجرج .

الناس وحثهم ألا يسارعوا إلى الفتنة والفرفة ، فقام إليه عبد الله بن مسلم الحَضْرِي حليف بنى أمية وضعفه^(١) ، وخرج عبد الله وكتب إلى يزيد ابن معاوية :

«أما بعد : فإن مسلم بن عقيل قد قدم الكوفة ، فبايعته الشيعة للحسين ابن علي ، فإن كان لك بالكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً فوياً ، ينفذ أمرك ، ويعمل مثل عملك في عدوك ، فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف ، أو هو يتضعف » :

فكان أول من كتب إليه ، ثم كتب إليه عُمارة بن عُقبة بنحو من كتابه ، ثم كتب إليه عمر بن سعد بن أبي وقاص بمثل ذلك .
(تاريخ الطبري ٦ : ١٩٩)

٨١ — كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد

فاما اجتمعت الكتب عند يزيد ، بعث إلى عبيد الله بن زياد بعهدده على الكوفة ، وكان عاملاً له على البصرة ، فضم إليه المصيرين ، وكتب إليه :
« أما بعد : فإنه كتب إلى شيعتي من أهل الكوفة ، يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا^(٢) المسامين ، فسر حين تقراً

(١) نسبه إلى الضعف .

(٢) شق فلان العصا : مثل صرب لمعارفه الجماعة ، ومحالهم ، والأصل في العصا الاجتماع والانلاف وذلك أنها لا تدعى عصا حتى تكون جمعاً ، فإن اسقط لم تدع عصا ، فالوا وأصل هذا أن الحاديين يكونان في رمة ، فإذا فرقهم الطريق شق العصا إلى معهما فأحد هذا نصيبها وهذا نصيبها .

كتابي هذا ، حتى تأتي أهل الكوفة ، فتطلب ابن عقيل كطلب الحرزة حتى تثقّفه^(١) فتوثقه ، أو تقتله ، أو تنفيه ، والسلام .

فاستخلف عبيد الله أخاه عثمان بن زياد على البصرة وأقبل إلى الكوفة .
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٠٠)

٨٢ - كتاب الحسين إلى أهل البصرة

وقد كان الحسين كتب مع مؤلّي لهم يقال له سليمان كتاباً إلى أهل البصرة : إلى ره وس الأخماس ، وإلى الأشراف ، فكتب إلى مالك بن مسنّع البكري ، وإلى الأحنف بن قيس ، وإلى المنذر بن الجارود ، وإلى مسعود ابن عمرو ، وإلى قيس بن الهيثم ، وإلى عمر بن عبيد الله بن معمر ، فجاءت منه نسخة واحدة إلى جميع أشرافها ، وهي :

«أما بعد ، فإن الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وسلم على خلقه ، وأكرمه بنبوته ، واختاره لرسالته ، ثم قبضه الله إليه ، وقد نصّح لمآده ، وبلغ ما أرسل به صلى الله عليه وسلم ، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته ، وأحقّ الناس بمقامه في الناس ، فاستأنر علينا قومه . ما بذلك ، فرضينا ، وكرهنا الفرقة ، وأحببنا العافية ونحن نعلم أننا أحقّ بذلك الحق المستحق علينا بمن تولاه ، وقد أحسنوا وأصلحوا وتحرّوا الحق فرحمهم الله ، وغفر لنا ولهم .

وقد بعثتُ رسولي إليكم بهذا الكتاب ، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله ،

(١) نفعه كسعه : صادفه أو أحده أو طهره أو أدركه .

وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، فَإِنَّ السُّنَّةَ قَدْ أُمِّتَتْ ، وَإِنَّ الْبِدْعَةَ قَدْ أُخِيَّتْ ، وَإِنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي وَتَطِيعُوا أَمْرِي أَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ الرِّشَادِ ، وَالسَّلَامِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ » :

فكل من قرأ ذلك الكتاب من أشراف الناس كتبه غير المنذر ابن الجارود ، فإنه خشيَ بزعمه أن يكون دَسِيساً من قِبَلِ عبيد الله ، فجاء بالرسول من العَشِيَّة التي يريد صبيحتها أن يسبق إلى الكوفة ، وأقرأه كتابه ، فقدم الرسول فضرب عنقه . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٠٠)

٨٣ - كتاب مسلم بن عقيل إلى الحسين

ودخل عُبَيْدُ اللَّهِ بن زياد الكوفة ، فتهدّد الناس وتوعدهم ، وأخذهم أخذاً شديداً ، وبلغ ذلك مسلم بن عقيل فخرج من دار المختار ، ولاذ بدار هانئ ابن عُرْوَةَ المُرَادِيّ ، وقد كتب مسلم حيث تحول إلى دار هانئ كتاباً إلى الحسين مع عابس بن أَبِي شَبِيبٍ الشَّاكِرِيّ :

« أما بعد : فَإِنَّ الرَّائِدَ^(١) لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ ، وَقَدْ بَايَعْنِي مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفًا ، فَعَجَّلَ الْإِقْبَالَ حِينَ يَأْتِيكَ كِتَابِي ، فَإِنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مَعَكَ ، لَيْسَ لَهُمْ فِي آلِ مُعَاوِيَةَ رَأْيٌ وَلَا هَوًى وَالسَّلَامُ » :

وجدَّ ابْنُ زِيَادٍ فِي طَلَبِ مُسْلِمِ بْنِ عَقِيلٍ حَتَّى ظَفِرَ بِهِ فَضْرَبَ عَنْقَهُ ، وَعَنْقَ هَانِيَّ . (تاريخ الطبري ٦ : ٢١١)

(١) الرائد : المرسل في طاب الكلاء .

٨٤ — كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد

ولما قتل ابن زياد مُسلمًا وهانئًا بعث برء وسهما مع هانئ بن أبي حَيَّة الوادعيّ ، والزُّبير بن الأَزْوَاح التيميّ إلى يزيد بن معاوية ، وأمر كاتبه عمرو ابن نافع أن يكتب إلى يزيد بما كان من مسلم وهانئ ، فكتب إليه كتابًا أطل فيه — وكان أول من أطل في الكتب — فلما نظرفيه عبيد الله بن زياد كرهه وقال : ما هذا التطويل ، وهذه الفضول ^(١) ؟ اكتب :

« أما بعد : فالحمد لله الذي أخذ لأمير المؤمنين بحقه ، وكفاه مُؤنَّةَ عدوه ، أخبر أمير المؤمنين — أكرمه الله — أن مسلم بن عقيل لجأ إلى دار هانئ بن عُزْوة الرُادّيّ ، وأنّي جعلت عليهما العيون ، ودَسَسْتُ إليهما الرجال ^(٢) ، وكِدْتُهُما حتى استخرجتهما ، وأمکن الله منهما ، فقدّمتهما

(١) جمع فضل ، وهو الريادة .

(٢) دعا ابن زياد مولى له يقال له معقل ، فقال : خذ ثلاثة آلاف درهم ، ثم اطلب ابن عقيل وأصحابه وأعطهم إياها فقل لهم : استعينوا بها على حرب عدوكم ، وأعلمهم أنك منهم ، فأبك لوقد أعطيها إياهم اطمأنوا إليك ووتعوا بك ، ولم يكتموك شيئاً من أحوارهم ، ثم اعد عليهم ورح ، ففعل معقل ما أمره به ، وتلطف حتى دخل على ابن عقيل ، فابعه وأعطاه المال ، وحمل محتاف إليهم ، فهو أول داخل وآخر خارج ، سمح أحوارهم ، ويعم أسرارهم ، ثم يطلق بها حتى يهرها في أدن ابن زياد وكان هانئ بعدو ويروح إلى عبيد الله ، فلما نزل به مسلم انقطع من الأخلاف وتماصر خُعل لا يخرج ، فقال عبيد الله لحسانه : مالي لا أرى هائلاً ؟ فقالوا : هو شاك ، فقال : لو علمت بمرسته لعدته ، وجاءه بعض أصحابه فقالوا : ما يجمعك من إماء الأمير ، فإنه قد ذكرك ؟ وأقسموا عليه لما ركب معهم ، فأجابهم ، فلما دخل على ابن زياد قال له : إيه ياهانئ ما هذه الأمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين ؟ جئت مسلم بن عقيل فأدخاها دارك ، وجعت له السلاح والرجال في الدور حولك ، وطدت أن ذلك يعني علىّ لك ! قال : ما فعلت وما مسلم عدى ، قال : بلى قد فعلت ، قال : ما فعلت ، قال بلى ، فلما كثر ذلك بينهما ، وأنى هانئ إلا محادثته وما كرهه ، دعا ابن زياد معلماً ، فحاض حتى وقف بين يديه ، فقال : أعرف هذا ؟ قال : نعم ، وعلم هانئ عند ذلك أنه كان عبداً لحليهم وأنه قد أتاه بأخبارهم .

فَضَرَبْتُ أَعْنَافَهُمَا ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بَرِّءَ وَسْهَمًا مَعَ هَانِيٍّ بْنِ أَبِي حِيَةَ الهمداني
والزبير بن الأرواح التميمي ، وهما من أهل السمع والطاعة والنصيحة ،
فَلَيْسَا لهما أمير المؤمنين عما أحب من أمر ، فَإِنَّ عِنْدَهُمَا عِلْمًا وَصَدَقًا ، وَفَهُمَا
وَوَرَعًا ، وَالسَّلَامُ » . (تاريخ الطبري ٦ : ٢١٤)

٨٥ - رد يزيد على ابن زياد

فكتب إلى ابن زياد :

« أَمَا بَعْدَ : فَإِنَّكَ لَمْ تَعُدْ أَنْ كُنْتَ كَمَا أَحَبُّ ، عَمِلْتَ عَمَلَ الْحَازِمِ ،
وَصُلْتَ صَوْلَةَ الشَّجَاعِ الرَّابِطِ الْجَاشِ^(١) ، فَقَدْ أَغْنَيْتَ وَكَفَيْتَ ، وَصَدَّقْتَ
ظَنِّي بِكَ ، وَرَأَيْتُ فِيكَ ، وَقَدْ دَعَوْتُ رَسُولِيكَ فَسَأَلْتَهُمَا وَنَاجَيْتَهُمَا فَوَجَدْتَهُمَا
فِي رَأْيِهِمَا وَفَضْلِهِمَا كَمَا ذَكَرْتَ ، فَاسْتَوْصِ بِهِمَا خَيْرًا .

وإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ قَدْ تَوَجَّهَ نَحْوَ الْعِرَاقِ ، فَضَعَ الْمَنَاطِرَ^(٢)
وَالْمَسَاحَ ، وَاحْتَرَسَ عَلَى الظَّنِّ ، وَخَذَ عَلَى التُّهْمَةِ ، غَيْرَ أَنْ لَا تَقْتُلَ إِلَّا مَنْ
قَاتَلَكَ ، وَابْتَكَبَ إِلَيَّ فِي كُلِّ مَا يَحْدُثُ مِنَ الْخَبَرِ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ »
(تاريخ الطبري ٦ : ٢١٣)

(١) الجاش : العس أو الغاب ، وورط حاشه رباطه (كسكابة) : اشتد قاه ، وهو رباط الجاش
وربطه : شجاع ، ورط نفسه عن الفرار كفهها لحرأه وشجاعه ، وفل رط نفسه عن الفرار لساعه
(٢) المناظر جمع منظره وهي المرقعة : موضع في رأس جبل مه رمب يطر العدو ، والمسالخ جمع مسالخة
وهي الرية أهدأ والعوم دوسلاح .

٨٦ - كتاب عبد الله بن جعفر إلى الحسين

ولما جاء الحسين عليه السلام كتابُ مسلم بن عَقِيل ، يدعوهُ فيه إلى
تعميل الإقبال ، خرج من مكة قاصِداً إلى الكوفة :
وقد كتب إليه حين خرج من مكة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب
مع ابنه عَوْن ومحمد :

« أما بعدُ : فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ لَمَّا انصرفتَ حينَ تنظرُ في كتابي ،
فإِنِّي مُشْفِقٌ عَلَيْكَ مِنَ الْوَجْهِ الَّذِي تَوَجَّهَ لَهُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ هَلَاكُكَ
وَاسْتِنصَالُ أَهْلِ يَتِّكَ ، إِنَّ هَلَكْتَ الْيَوْمَ طَفِي^(١) نَوْرُ الْأَرْضِ ، فَإِنَّكَ عِلْمَ
الْمُهْتَدِينَ ، وَرَجَاءُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَا تَعْجَلْ بِالسَّيْرِ فَإِنِّي فِي إِتْرِ الْكِتَابِ
وَالسَّلَامِ » . (مَارِخُ الطَّرِيقِ ٦ : ٢١٩ ، وَتَارِخُ الْكَمَلِ لِأَبِي الْأَيْبِ ٤ : ١٧)

٨٧ - كتاب من عمرو بن سعيد بن العاص إلى الحسين

وقام عبد الله بن جعفر إلى عمرو بن سعيد بن العاص - وكان عامل يزيد
على مكة - فقال له : اكتب إلى الحسين كتاباً : تجعل له فيه الأمان ، وتمنيته
فيه البرِّ والصلة ، وتوثق له في كتابك ، وتسأله الرجوع ، لعله يطمئن إلى
ذلك فيرجع ، فقال له عمرو : اكتب ما شئت وأتني به حتى أختمه ، فكتب
عبد الله بن جعفر الكتاب ، ثم أتى به عمرو بن سعيد ، فقال له : أختمه

(١) طفت النار كسبح : اطعمات .

وابعث به مع أخيك يحيى بن سعيد ، فإنه أحرى أن تطمئن نفسه إليه ،
ويعلم أنه الجِدُّ منك ففعل ، وكان كتابه إليه .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عمرو بن سعيد إلى الحسين بن علي .
أما بعدُ : فإني أسألُ الله أن يصرفك عما يُوبقُك^(١) ، وأن يَهْدِيكَ لما
يُرْسِدُكَ ، بَلَّغْنِي أَنْكَ قَدْ تَوَجَّهْتَ إِلَى الْعِرَاق ، وَإِنِّي أُعِيدُكَ بِاللَّهِ مِنَ الشَّقَاق ،
فإني أخاف عليك فيه الهلاك ، وقد بعثت إليك عبد الله بن جعفر ، ويحيى
ابن سعيد ، فَأَقْبِلْ إِلَى مَعَهُمَا ، فَإِنَّ لَكَ عِنْدِي الْأَمَانَ وَالصَّلَةَ وَالْبِرَ ، وَحُسْنَ
الْجَوَار ، لك الله على ذلك شهيد وكفيل ، ومُرَاجٍ وَوَكِيل ، والسلام عليك »
ولحقه يحيى بن سعيد ، وعبد الله بن جعفر ، ودفعوا إليه الكتاب ، وَجَهَدَا
به أن يرجع ، فَأَبَى عَلَيْهِمَا . (تاريخ الطبري ٦ : ٢١٩)

٨٨ — رد الحسين بن علي على عمرو بن سعيد

وكتب إلى عمرو بن سعيد :

« أما بعدُ : فإنه لم يشاققِ اللهَ ورسوله من دعا إلى الله عز وجل :
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وقد دعوت إلى الأمان والبر والصلة ،
نَغِيرُ الْأَمَانَ أَمَانُ اللَّهِ وَإِنِّي يُؤْمِنُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ لَمْ يُخَفِّهِ فِي الدُّنْيَا ، فَتَسْأَلُ
اللَّهُ نَخَافَةً فِي الدُّنْيَا تُوجِبُ لَنَا أَمَانَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَإِنْ كُنْتَ نَوَيْتَ بِالْكِتَابِ
صِلَتِي وَبَرِي فَجُزَيْتَ خَيْرًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالسَّلَام . »

(تاريخ الطبري ٦ : ٢١٩)

٨٩ — كتاب الحسين إلى أهل الكوفة

وأقبل الحسين عليه السلام حتى إذا بلغ « الحاجر » بعث قيس ابن مسهر الصيداوى إلى أهل الكوفة ، وكتب معه إليهم :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحسين بن على إلى إخوانه من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو .

أما بعد : فإن كتاب مسلم بن عقيل جاءنى يُخبرنى فيه بحسن رأيكم ، واجتماع مَلَئِكُم على نصرنا ، والطلب بحقنا ، فسألتُ الله أن يُحسن لنا الصنيع ، وأن يُثيبكم على ذلك أعظم الأجر ، وقد شَخَصْتُ إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمانٍ مَضَيْن من ذى الحِجَّة يوم التَّروية^(١) ، فإذا قَدِم عليكم رسولى فاكْمُشُوا^(٢) فى أمركم وجِدُوا ، فإني قادمٌ عليكم فى أيامى هذه إن شاء الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته^(٣) » . (تاريخ الطبرى ٦ : ٢٢٣)

٩٠ — كتاب ابن زياد إلى الحر بن يزيد

ولما بلغ ابن زياد إقبالُ الحسين ، بعث الحُصَيْن بن مُنَمِّر التميمى ، فأمره أن ينزل القادِسيَّة ، وأن يضع المَسَاح ، وقَدَّمَ الحرُّ بن يزيد التميمى بين يديه

(١) هو ثامن ذى الحجة ، سُمى بذلك لأن الماء كان قليلا بمى فكانوا يرتوون فيه من الماء لما بعد

(٢) كَمَشَ فى أمره كفرح وكرم : حدّ .

(٣) وأقل فيس بن مسهر إلى الكوفة نكتاب الحسين ، حتى إذا انتهى إلى القادسية ، أخذه الحسين بن نمير ، فبعث به إلى ابن زياد ، فقال له : اصعد القصر فسب الكذاب ابن الكذاب ، فصعد ثم قال : أيها الناس : إن هذا الحسين بن على خير خلق الله ، إن فاطمة بنت رسول الله ، وأنا رسوله إليكم ، وقد فارقتُه الحاجر فأحسوه ، ثم لعن عبد الله بن زياد وأباه ، واستغفر لعلى بن أبى طالب ، فأمر به ابن زياد أن يرمى به من فوق القصر فرمى به فتقطع فئات .

في ألف فارس من القادسية ، فيستقبل حسيناً ، وكان الحسين قد سبقه إلى ذي حُصم وتزل به ، فسار إليه الحرُّ حتى رُفِّقَ مقابله ، وكثر بينهما الكلام ، ثم سار الحسين في أصحابه ، والحرُّ يسايره ، فلم يزالوا يتسايرون حتى انتهوا إلى يَنْبَوَى ، فإذا رسولٌ مُقبلٌ من الكوفة ، فلما انتهى إليهم دفع إلى الحرِّ كتاباً من عبيد الله بن زياد ، فإذا فيه :

« أما بعدُ : فجَمِّع^(١) بالحسين حين يَبْلُغُكَ كتابي ، وَيَقْدَمْ عليك رسولي ، فلا تُنْزِلْهُ إلا بالعِراء^(٢) في غير حصن ، وعلى غير ماء ، وقد أمرتُ رسولي أن يَلْزِمَكَ ولا يفارِقَكَ حتى يَأْتِيَنِي بِإِنْفَاذِكَ أَمْرِي ، والسلام . »
ونزل الحسين قرية تسمى العَقْر ، وذلك في الثاني من المحرم سنة ٦١ هـ
(تاريخ الطبري ٦ : ٢٣٢)

٩١ — كتاب عمر بن سعد إلى ابن زياد

فلما كان من الغدِ فِدِمَ عليهم عمر بن سعد بن أبي وقَّاص من الكوفة في أربعة آلاف ، فبعث إلى الحسين عليه السلام رسولا ، فقال : ائته فسله ما الذي جاء به ، وماذا يريد ؟ فأبلغه الرسول رسالة عمر إليه ، فقال له الحسين : كتب إلى أهلِ مِصْرَكم هذا أن أقدِّم ، فأما إذِ كَرِهوني فأنا أنصرف عنهم ، فكتب عمر إلى ابن زياد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فأني حيث نزلت بالحسين بعنتُ

(١) أى احسنه وصلى عليه ، والجمعة : الحاس والتصدق ، وقل معاه : أرعاه وأحرجه ، وجمع به أيضاً : أراح به وأمره الحجاج « مكان جمع وجعاج : صو حش غلط » .
(٢) العراء : الفضاء لاسترفيه نبي .

إليه رسولى ، فسألته عما أقدمه وماذا يطلب ويسأل ، فقال : كتب إلى أهل هذه البلاد ، وأتتني رسلكم فسألوني القدوم ، ففعلت ، فأما إذ كرهوني ، فبدأ لهم غير ما أتتني به رسلكم ، فأنا منصرف عنهم .
فلما قرئ الكتاب على ابن زياد قال :

الآن إِذْ عَلِقَتْ مَخَالِبُنَا بِهِ يَرْجُو النجاة ولاتَ حينَ مَنَاصٍ^(١)
(تاريخ الطبرى ٦ : ٢٣٤)

٩٢ - رد ابن زياد على عمر بن سعد

وكتب إلى عمر بن سعد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فقد بلغنى كتابك ، وفهمت ما ذكرت ، فاعرض على الحسين أن يبيع ليزيد بن معاوية هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا والسلام » .

(تاريخ الطبرى ٦ : ٢٣٤)

٩٣ - كتاب آخر من ابن زياد إلى عمر

وجاء من عبيد الله بن زياد كتاب إلى عمر بن سعد :

« أما بعدُ : فخل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صنع بالثقي الزكي^(٢) المظلوم أمير المؤمنين عثمان بن عفان » .

فبعث عمر بن سعد عمرو بن الحجاج على خمسمائة فارس ، فنزلوا

(١) أى فرار ، ناص بوصا وماصا . (٢) أى الصالح من ركا تركوا ركاء إذا صلح .

على الشريعة^(١)، وحالوا بين حسين وأصحابه ، وبين الماء أن يُسْقَوْا منه قطرةً ،
وذلك قبل قتل الحسين بثلاث . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٣٤)

٩٤ — كتاب عمر بن سعد إلى ابن زياد

والتقى الحسين عليه السلام ، وعمر بن سعد مرارا ثلاثا أو أربعاً ، ثم
كتب عمر إلى ابن زياد :

« أما بعدُ : فإن الله قد أطفأ النائرة^(٢) ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر
الأمّة ، هذا حُسَيْنٌ قد أعطاني أن يرجع إلى المكان الذي منه أتى ، أو أن
نُسَيِّرَهُ إلى أى ثغر من ثغور المسلمين شئنا ، فيكون رجلا من المسلمين له
مالهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين ، فيضع يده فى يده ،
فيرى فيما بينه وبينه رأيه ، وفى هذا لكم رِضا ، وللأمّة صلاحٌ » .

فلما قرأ عبيد الله الكتابَ قال : هذا كتاب رجل ناصح لأمره ،
مُشفقٍ على قومه ، نعم قد قبلتُ ، فقام إليه شمر بن ذى الجَوْشَن فشناه عن
القبول^(٣) ، فدعاه عبيد الله ، فقال له : اخرج بهذا الكتاب إلى عمر بن سعد
فليعرض على الحسين وأصحابه النزولَ على حكمي ، فإن فعلوا فليبعث بهم إلى

(١) المريعة والفرعة (الكسر) والمشرعة : مورد الشاربة .

(٢) النائرة : العداوة والشقاء .

(٣) إذ قال له : أتقبل هذا مني وقد رل بأرضك إلى حبك ؟ والله لئن رحل من بلدك ولم يضع
يده فى يدك ، أليكون أولى بالقوة والعز ، وليكون أولى بالضعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة فإنها
من الوهن ، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه ، فإن عاصت فأنت ولي العقوبة ، وإن عفرت كان
ذلك لك ، فقال له ابن زياد : نعم مارأيت . الرأى رأيك .

سِيَّامًا ، وَإِنْ هُمْ أَبَوَا فليقاتلهم ، فَإِنْ فَعَلَ فَاسْمَعْ لَهُ وَأَطِعْ ، وَإِنْ هُوَ أَبِي ففقاتلهم
فَأَنْتَ أَمِيرُ النَّاسِ ، وَثَبَّ عَلَيْهِ فَاضْرِبْ عُنُقَهُ ، وَابْعَثْ إِلَى بَرَأْسِهِ .

(تاريخ الطبري ٦ : ٢٣٥)

٩٥ - كتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد

وكان كتاب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد :

« أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ إِلَى حُسَيْنٍ لَتَكُفَّ عَنْهُ ، وَلَا لِتُطَاوِلَهُ ، وَلَا
لَتَمْنِيَةِ السَّلَامَةِ وَالْبَقَاءِ ، وَلَا لِتَقْعُدَ لَهُ عِنْدِي شَافِعًا ، انْظُرْ فَإِنْ نَزَلَ حُسَيْنٌ
وَأَصْحَابُهُ عَلَى الْحُكْمِ وَاسْتَسَامُوا ، فَاْبْعَثْ بِهِمْ إِلَى سِيَّامَا ، وَإِنْ أَبَوَا فَارْجُفْ
إِلَيْهِمْ حَتَّى تَقْتُلَهُمْ وَتُمَثِّلَ بِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ لَذَلِكَ مُسْتَحَقُونَ ، فَإِنْ قُتِلَ حُسَيْنٌ فَأَوْطِ
الْخَيْلَ صَدْرَهُ وَظَهْرَهُ ، فَإِنَّهُ عَاقِبٌ مُشَاقٌّ قَاطِعٌ ظُلُومٍ ، وَلَيْسَ دَهْرِي^(١) فِي
هَذَا أَنْ يُضَرَّ بَعْدَ الْمَوْتِ شَيْئًا ، وَلَكِنْ عَلَى قَوْلِ^(٢) لَوْ قَدْ قَتَلْتَهُ فَعَلْتُ هَذَا
بِهِ ، إِنْ أَنْتَ مُضِيَّتَ لِأَمْرِنَا فِيهِ جَزَاؤُكَ جَزَاءُ السَّامِعِ الْمَطِيعِ ، وَإِنْ أُبَيَّتَ
فَاعْتَزِلْ عَمَلَنَا وَجُنْدَنَا ، وَخَلِّ بَيْنَ شِمْرِ بْنِ ذِي الْجَوْشَنِ وَبَيْنَ الْعُسْكَرِ ، فَإِنَّا قَدْ
أَمَرْنَاهُ بِأَمْرِنَا ، وَالسَّلَامُ » .

(١) يقال : مادهرى كندا ومادهرى كذا : أى ماهمى وعاطى .

(٢) معناه : ولكن لى رأى واعقاد ، قال فى اللسان « ويتحوزون فى تسمينهم الاعتقادات والآراء
قولا ، لأن الاعتقاد يحى فلا يعرف إلا بالقول ، أو بما يقوم مقام القول من شاهد الحال ، فلما كانت لا تظهر
إلا بالقول سمى قولا إذ كانت سببا له ، وكان القول دليلا عليها كما يسمى الشيء باسم غيره إذا كان
ملا بسا له » وقال فى اللسان أيضا : قال ابن الأثير : « العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال ،
وتطافه على غير الكلام واللسان ، فتقول : قال بيده أى أحد ، وقال برحله أى مشى ، وقال الشاعر :
* وقالت له العينان سمعا وطاعة * أى أوامرات ، وقال للماء على يده : أى قلب ، وقال بشوب : أى
رفعه ، وكل ذلك على المجاز والانساع » .

فأقبل شمر بن ذى الجوشن بكتاب ابن زياد إلى عمر بن سعد فقرأه عليه وقال له : أخبرني ما أنت صانع ؟ أتمضى لأمر أميرك وتقتل عدوه ؟ وإلاّ نخلّ بيني وبين الجند قال : لا ، ولا كرامة لك وأنا أتولى ذلك ، قال فدونك فنهض إليه عشية الخميس لتسع مَضَيْن من المحرم وزحف عليه ، وعبأ الحسين أصحابه ، ونَشِب القتال بين الفريقين ، واستمات أصحاب الحسين في القتال حتى قَنُوا ، وقتل الحسين عليه السلام قتله سنان بن أنس لعنه الله - وكان قتله بالطَّف^(١) يوم عاشوراء سنة ٦١ هـ ، وأمر ابن سعد أصحابه أن يُوطئوا خيلهم الحسينَ ، فوطئوه بخيلهم ، ثم حَمَل النساء ، ورأسه إلى يزيد ابن معاوية بدمشق . (تاريخ الطبري ٦ : ٢٣٦)

٩٦ - كتاب عبد الله بن عمر إلى يزيد

وكان عُبيد الله بن زياد قد أمر بالمختار بن أبي عُبيد الثقفي أن يُسَجَن ، لما كان من مناصرته لمُسْلِم بن عَقِيل ، فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين رضى الله عنه ، ثم إن المختار بعث إلى عبد الله بن عمر بن الخطاب بالمدينة ، يسأله أن يكتب له إلى يزيد بن معاوية ، فيكتب إلى ابن زياد بتخليّة سبيله ، وعامت صَفِيَّة أخت المختار بحبس أخيها ، وهي تحت عبد الله بن عمر ، فبكت وجزعت ، فلما رأى ذلك ابن عمر كتب إلى يزيد :

« أما بعد : فإن عُبيد الله بن زياد حبس المختار وهو صِهْرِي ، وأنا

(١) أ ص من صاحبه الكوفة في طريق البرية .

أَحِبُّ أَنْ يُعَافَى وَيُصْلَحَ مِنْ حَالِهِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ « رَحِمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ » أَنْ تَكْتُبَ
إِلَى ابْنِ زِيَادٍ فَتَأْمُرَهُ بِتَخْلِيَّتِهِ فَعَلْتَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

(تاريخ الطبري ٧ : ٥٩)

٩٧ — كتاب يزيد إلى ابن زياد

فلما قرأ يزيد كتاب ابن عمر ضحك ثم قال : يَشْفَعُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ،
وَأَهْلُ ذَلِكَ هُوَ ، وَكُتِبَ إِلَى ابْنِ زِيَادٍ :

أَمَّا بَعْدُ : فَخَلَّ سَبِيلَ الْمُخْتَارِ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ حِينَ تَنْظُرُ فِي كِتَابِي
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ .

فَدَعَا ابْنَ زِيَادٍ بِالْمُخْتَارِ فَأَخْرَجَهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ قَدْ أَجَلْتُكَ ثَلَاثًا ، فَإِنْ أَدْرَكَتْكَ
بِالْكُوفَةِ بَعْدَهَا ، فَقَدْ بَرَأْتُ مِنْكَ الذِّمَّةَ ، فَخَرَجَ إِلَى الْحِجَازِ .

(تاريخ الطبري ٧ : ٥٩)

٩٨ — كتاب عبد الله بن الزبير إلى يزيد

وعزل يزيد بن معاوية عمرو بن سعيد بن العاص عن الحجاز^(١) ، وولّى

الوليد بن عُقْبَةَ (سنة ٦١ هـ) فكتب عبد الله بن الزبير إلى يزيد :

(١) وذلك أنه لما قتل الحسين عليه السلام ، قام عبد الله بن الزبير في أهل مكة وعظم مقتله ، فثار إليه أصحابه ، فقالوا له : أظهر بيعتك ، فإنه لم يبق أحد إذ هلك حسين يبايعك هذا الأمر — وقد كان يبايع الناس سرا ، ويظهر أنه عائد بالبيت — فقال لهم : لا تعجلوا ، وعمرو بن سعيد بن العاص يومئذ عامل مكة ، وقد كان أشد شيء عليه وعلى أصحابه ، وكان مع شدته عليهم يدارى وبرقى ، ثم إن الوليد بن عقبة وناسا معه من بني أمية قالوا ليزيد : لو شاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير ونعت به إليك ، فسرّح الواجد بن عقبة على المحار أميرا وعزل عمرو بن سعيد .

« إنك بعثت إلينا رجلاً أُخْرِقَ لَا يَتَّجِهَ لِأَمْرِ رُشْدٍ ، وَلَا يَزَعُوى
لِعِظَةِ الْحَكِيمِ ، وَلَوْ بَعَثْتَ إلينا رجلاً سَهْلَ الْخَلْقِ ، لَيِّنَ الْكَتْفِ ^(١) ، رَجَوْتُ
أَنْ يَسْهَلَ مِنَ الْأُمُورِ مَا أُسْتَوْعَرَ ^(٢) مِنْهَا ، وَأَنْ يَجْتَمَعَ مَا تَفَرَّقَ ، فَانْظُرْ فِي
ذَلِكَ فَإِنْ فِيهِ صَلَاحٌ خَوَاصِّنَا وَعَوَّامَنَا ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ » .

فَعَزَلَ يَزِيدُ الْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ ، وَبَعَثَ عُثْمَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ .

(تاريخ الطبري ٧ : ٣)

٩٩ — كتاب يزيد إلى أهل المدينة

وَكَرِهَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ خِلَافَةَ يَزِيدَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَى الْخِلَافِ عَلَيْهِ ^(٣) ، فَكَتَبَ
إِلَيْهِ عُثْمَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ بِذَلِكَ ، فَكَتَبَ يَزِيدُ إِلَيْهِمْ :

« أَمَّا بَعْدُ : « فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ » وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ

(١) الكف : الحاب . (٢) ماصع .

(٣) وذلك أن عثمان بن محمد أمير المدينة بعث إلى يزيد وفدا من أهل المدينة فيهم عبد الله بن حنظلة
الأصمري ، وأعطوا على يزيد ، فأكرمهم وأحسن إليهم وأعطهم حوائجهم ، فلما قدم الوفد المدينة ،
قاموا فيهم فأطهروا شتم يزيد وعنه ، وقالوا . قد قدمنا من عند رجل ليس له دين ، يشرب الخمر ،
ويعزف بالطناير ، ويصرع عبده نالقيان ، ويأبى الكلاب ، ويسامر الجرباب (أى ذوى الحرب
بالتحريك) والناسم وهو العساد فى الدين) والفتيان ، وإنا نضهدكم أما قد خلعنا ، فتابعهم الناس نخلعوه
وأبوا عبد الله بن حنظلة فبايعوه وولوه عليهم .

ودكروا أن عبد الله بن حنظلة لما وفد على يزيد كان معه ثمانية مئة ، فأعطاه يزيد مائة ألف
درهم ، وأعطى بنيه كل واحد منهم عشرة آلاف سوى كسوتهم وحاجاتهم ، فلما قدم المدينة أتاه
الناس فقالوا : ما وراءك ؟ قال : حشتم من عند رجل والله لولم أحد إلا بى هؤلاء لحاهدته بهم ،
قالوا . قد باعنا أنه أجدناك وأعطاك وأكرمك ، قال : قد فعل ، وما قات ذلك منه إلا لأهوى به
عليه ، وحصص الناس فبايعوه .

لَبِسْتُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ^(١) ، ورفعتكم على رَأْسِي ، ثم على عَيْنِي ، ثم على فَمِي ، ثم على بَطْنِي ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ وَضَعْتُكُمْ تَحْتَ قَدَمِي لَأَطَأَنَّكُمْ وَطَأَةً أَقِلَّ بِهَا عَدَدَكُمْ ، وَأَتَرْكُكُمْ بِهَا أَحَادِيثَ ، تُنْذَسُخُ أَخْبَارُكُمْ مَعَ أَخْبَارِ عَادَ وَثَمُودَ .
(صبح الأعشى ٦ : ٣٩٠ ، والمقد الفريد ٢ : ٢٥٦)

١٠٠ - كتاب بنى أمية بالمدينة إلى يزيد

وخلع أهل المدينة يزيد ، وبايعوا عبد الله بن حَنْظَلَةَ الأنصارى ، ووثبوا على من كان بالمدينة من بنى أمية وحُصْرُوهم وأخافوهم ، فكتب هؤلاء إلى يزيد :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أما بعدُ : فَإِنَّا قَدْ حُصِرْنَا فِي دَارِ مَرْوَانَ أَبْنِ الْحَكَمِ ، وَمُنِعْنَا الْعَذَابَ^(٢) ، وَرُمِينَا بِالْجَبُوبِ^(٣) ، فَيَاغَوْثَاهُ ، يَاغَوْثَاهُ .
(تاريخ الطبرى ٧ : ٥)

١٠١ - كتاب مسلم بن عقبة إلى يزيد

فَوَجَّهَ يَزِيدُ مُسْلِمَ بْنَ عُقْبَةَ الْمُرِّيَّ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَقَمَعَ فِتْنَتَهَا ، وَأَخَذَ ثَوْرَتَهَا ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى يَزِيدَ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لَعَبَدُ اللَّهِ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ

(١) أى ألبستكم ، خلق النوب كنصر وكرم وسمع : بلى ، فهو خلق كسب ، وأخلق بالألف لامة وأخلفه أولاده ، والمراد زهدت فيكم .

(٢) العذب من الشراب والطعام : كل مستساع والجمع عذاب وعدوب .

(٣) الجوب : الأرض والتراب ، وفى الأصل « بالحبوب » الحاء وهو تصحيف .

مُسْلِم بن عُقْبَةَ ، سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله ، فاني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعدُ : تولى الله حفظَ أمير المؤمنين والكفايةَ له ، فاني أخبرُ أمير المؤمنين - أبقاه الله - أنَّي خرجت من دِمَشق ، ونجنت على التَّعَبُّثَةِ التي رأى أمير المؤمنين يومَ فِرَاقنا بِوَادِي الْقُرَى^(١) ، فرجع معنا مَرْوَانُ ابن الحكم^(٢) ، وكان لنا عَوْنًا على عدونا ، وأنا أُنْهِنُنا إلى المدينة ، فإذا أهلها قد خَنَدُوا عليها بالخنادق ، وأقاموا على أُنْقَابِها^(٣) الرجالَ بالسلاح ، وأدخلوا ما شئتهم ، وما يحتاجون لحصارهم سَنَةً فيما يقولون ، وأنا أَعْذَرُنا إليهم وأخبرناهم بعهد أمير المؤمنين ، وما بذل لهم فَأَبَوْا ، ففَرَّقْتُ أَصْحَابِي على أفواه الخنادق ، فولَّيت الحُصَيْنَ بن ثُمَيْرٍ ناحيةَ ذِئاب ، وما والاها عليها الوالى ، ووجهت حُبَيْشَ بن دَجَلَةَ إلى ناحية بني سَلَمَةَ ، ووجهتُ عبد الله ابن مَسْعُودَةَ إلى ناحية يَبْقِيعَ الغَرْقَدِ ، وكنتُ ومن معي من قوَاد أمير المؤمنين ورجاله في وجوه بني حارثة ، فأدخلنا الخيلَ عليهم حين ارتفع النهار من ناحية عبد الأشهل ، بطريق فَتَحَحه لنا رجلٌ منهم^(٤) ، مما دعاه إليه

(١) وادي القرى : وادي بين السَّام والمدينة ، كبير القرى .

(٢) وذلك أن أهل المدينة حين دُخِلَ عليهم إقْدَلُ مسلم بن عوفٍ بالخيل ، قالوا لمن معهم من بني أمية - وكانوا قد حَصَرُوا في دار مروان - : والله لا نكف عنكم حتى تسربلكم ونصرب أعناقكم ، أو نعطوا عهد الله وميثاقه لا نعونا عائله ، ولا ندلوا لها على عوره ، ولا نظاهروا عليها عدوا ، فكف عنكم ومجرحكم عنا ، فأعطوهم عهد الله وميثاقه لا نعيكم عائله ، ولا ندل لسكم على عورة ، فأحرقوهم من المدينة ، فخرجت بنو أمية بأهلهم حتى لقوا مسلم بن عوفٍ بوادي القرى فرجع مروان معه (٣) جمع يث ، وهو الثب والثعر .

(٤) وذلك أن مروان جاءه بني حارثه مكاثم رحلا معهم ورعاه في الصنعة ، وقال امح لنا طربعا فأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين ومتصم لك عنه سطر ما كان يدل لأهل المدينة من العطاء ونضعفه ، فصح له طربعا ورعب فيما يدل له فامحمت الخيل .

مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ إِلَى صَنِيعِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَقَدْ تَضَمَّنَ^(١) لَهُ عَنْهُ مِنْ قُرْبِ الْمَكَانِ، وَجَزِيلِ الْعَطَاءِ، وَإِيْجَابِ الْحَقِّ، وَقَضَاءِ الدَّامِ^(٢)، وَقَدْ بَعَثَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَرْجُو مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُلْهِمَ خَلِيفَتَهُ وَعَبْدَهُ عِرْفَانَ مَا أَوْلَى مِنَ الصَّنْعِ، وَأَسَدَى مِنَ الْفَضْلِ، وَكَانَ - أَكْرَمَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - مِنْ مَحْمُودِ مَقَامِ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَجِيلِ مَشْهُدِهِ، وَشَدِيدِ بَأْسِهِ، وَعَظِيمِ نِكَايَتِهِ لِعَدُوِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، مَا لَا إِخَالَ ذَلِكَ ضَائِعًا عِنْدَ إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ، وَخَلِيفَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

وَسَلَّمَ اللَّهُ رِجَالَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلَمْ يُصَبِّ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَكْرُوهِ، وَلَمْ يُقِمِّ لَهُمْ عَدُوَّهُمْ سَاعَةً مِنْ سَاعَاتِ نَهَارِهِمْ، فَمَا صَلَّيْتُ الظُّهْرَ - أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - إِلَّا فِي مَسْجِدِهِمْ بَعْدَ الْقَتْلِ الذَّرِيعِ^(٣)، وَالْإِتْنَابِ الْعَظِيمِ، وَأَوْقَعْنَا بِهِمُ السُّيُوفَ، وَقَتَلْنَا مِنْ أَشْرَفِ لَنَا مِنْهُمْ، وَأَتْبَعْنَا مُدْبِرَهُمْ، وَأَجْهَزْنَا عَلَى جَرِيحِهِمْ، وَأَتَهَبْنَاهَا ثَلَاثًا كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ^(٤) - أَعَزَّ اللَّهُ نَصْرَهُ - وَجَعَلْتُ دُورَ بَنِي الشَّهِيدِ الْمَظْلُومِ عُثْمَانَ بْنِ عِفَانَ فِي حِرْزٍ وَأَمَانٍ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَفَى صَدْرِي مِنْ قَتْلِ أَهْلِ الْإِخْلَافِ الْقَدِيمِ، وَالنِّفَاقِ الْعَظِيمِ، فَطَالَمَا عَتَوَا، وَفَدِيمًا

(١) أَى الرِّمَّةِ وَضَمُّهُ . (٢) الْعَهْد . (٣) السَّرِيع .

(٤) وَكَانَ نَزْدٌ حِينَ وَدَعَهُ قَالَ لَهُ : ادْعِ الْعَوْمَ لَأَنَا ، فَإِنْ هُمْ أَحَابُوكَ وَإِلَّا فَعَانِلَهُمْ ، فَاذَا طَهَرْتَ عَلَيْهِمْ فَأَبْجِهَا ثَلَاثًا فَمَا فِيهَا مِنْ مَالٍ أَوْ رِفَةٍ أَوْ - لَاحٍ أَوْ طَعَامٍ فَهُوَ لِلْحَدِّ ، فَاذَا مَصَّتِ الثَّلَاثُ فَاكْهَفْ عَنِ الْإِسْ ، وَلَمَّا دَخَلَ مُسْلِمُ الْمَدِينَةِ دَعَا أَهْلَهَا إِلَى السِّيعَةِ عَلَى أَرْحَمِ حَوْلٍ لِرَبْدٍ يَحْكُمُ فِي دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ مَا شَاءَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ الْوَقْعَةُ تَسْمَى وَقْعَةَ الْحَرَّةِ نَالْفَتْحِ لِأَنَّ مُسْلِمًا حَاصِرَ الْمَدِينَةِ مِنْ جِهَةِ الْحَرَّةِ « مَوْصِعِ نَظَاهِرِ الْمَدِينَةِ » وَوَقَعَتْ فِي دِي الْحِجَةِ مِنْ سَنَةِ ٦٣ هـ ، قُلُوبُ وَكَانَ الرَّحْلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَعِدُ ذَلِكَ إِذَا رُوحَ ابْنِهِ لَا يَضُمُّ بِكَارِهَا وَيَقُولُ لَهَا امْضِي فِي وَقْعَةِ الْحَرَّةِ .

مَاطَفُوا ، وكتبْتُ إلى أمير المؤمنين ، وأنا في منزل سعيد بن العاص مُدْتَفَا
مريضاً ، ما أُراني إلا لما بي ، فَا كُنْتُ أَبَالِي مَتَى مِتُّ بعد يومى هذا .
وكتب لَهلال المحرم سنة أربع وستين^(١) هـ . (الإمام والسياسة ١ : ١٥٩)

بعد موت يزيد

الخوارج وابن الزبير

١٠٢ - كتاب نجدة بن عامر إلى نافع بن الأزرق

وسار الخوارج بعد أن نصروا ابن الزبير بمكة إلى الأهواز^(٢) ،
وقد أمروا عليهم نافع بن الأزرق الحنفي ، ثم شَجَرَ بينهم اختلافٌ ، فنصر
عنه جماعة منهم بزعامة نجدة بن عامر^(٣) ،

(١) في الأصل سنة ثلاث وستين وهو خطأ ، لأن وقعة الحرة كانت في ذى الحجة من سنة ٦٣ هـ
للبيتين نقتنا منه .

(٢) كور بين البصرة وفارس .

(٣) لما فرغ مسلم بن عمة من قتال أهل المدينة ، شخض إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير - وكان
قد امتنع على يزيد ، ودعا إلى نفسه ، وبايعه أهل مكة والحداد - وعاحت النية مسلماً في الطريق ،
وكان قد استخلف على الجيش قبل موته حصين بن نمير السكوني ، وقدم حصين مكة فحاصرها وقذف
البيت بالجانيق « جمع معنق بفتح الميم وكسر : آلة ترمى بها الحجارة » وحرقه بالنار ، وبينما هو
يقاتل ابن الزبير لاذأ في نعي يزيد ، ففعل بالجند إلى السام .

وكان الخوارج حين علموا بمسير جيش الشام إلى مكة ، خرجوا إليها ليمعوا الحرم منهم ، فسر ابن
الزبير بمقدمهم وبأنهم أنه على رأيهم ، فهاووا معه أهل السأم حتى انصرفوا عن مكة ، ثم ناطروه فلم
يرفهم قوله ، فتفردوا عنه وصاروا إلى البصرة ، ويطروا في أمورهم فأمرهم عليهم نافع بن الأزرق
الحنفي ، وأجمع القوم على الخروج فضى بهم نافع إلى الأهواز سنة ٦٤ هـ وطرودوا عمال السلطان عنها
وجبوا النعي .

ولم يزلوا على رأي واحد ، حتى جاء مولى أبي هاشم إلى نافع ، فقال له : إن أطفال المشركين في النار ،
وإن من خالفنا مشرك ، فدماء هؤلاء الأطفال لما حلال ، فقال له نافع : كفرت ، قال له : إن لم آتاك

ومضوا إلى اليمامة^(١)، وكتب نجدة وهو باليمامة إلى نافع :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فَإِنَّ عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ لِلتَّيْمِ كَالأَبِ الرَّحِيمِ ، وللضعيف كاللَّائِحِ الْبَرِّ ، لَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَّائِمٌ ، وَلَا تَرَى مَيُّونَةَ ظَالِمٍ ، كذلك كنت أنت وأصحابك ، أَمَا تَذَكَّرُ قَوْلَكَ : « لَوْلَا أَنِّي أَعْلَمُ أَنَّ لِلْإِمَامِ الْعَادِلِ مِثْلَ أَجْرِ جَمِيعِ رَعِيَّتِهِ ، مَا تَوَلَّيْتُ أَمْرَ رَجُلَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ » ، فَلَمَّا شَرَيْتَ^(٢) نَفْسَكَ فِي طَاعَةِ رَبِّكَ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِهِ ، وَأَصْبَحْتَ

بهذا من كتاب الله فافتلى ، قال نوح : « رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يَفْضِلُوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا » فهذا أمر الكافرين وأمر أطفالهم ، فشهد نافع أنهم جميعا في النار ورأى قتلهم ، وقال : الدار دار كمر إلا من أظهر لإيمانه ، ولا يحل أكل ذلتهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ، ومتى جاء منهم جاء فعلنا أن نمتحه ، وهم ككفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو السف ، والعد بغيرهم ، والنقمة لا نحل « والحقية : هي المحافظة على النفس أو العرس أو المال من شر الأعداء ، إذا كانت العداوة بسبب الدين » فإن الله تعالى يقول : « إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً » وقال عروة وجل فبين كان على خلافهم « يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ » ففر جماعة من الحوارج عنه ، منهم نجدة بن عامر واحتج عليه بقوله الله عز وجل : « إِلَّا أَنْ تَقُومُوا مِنْهُمْ ثِقَةً » وبقوله عز وجل : « وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ » فالعهد ما ، والجهاد إذا أمكن أفضل ، لقوله عز وجل : « وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا » م مضى نجدة بأصحابه إلى اليمامة .

(١) من بلاد نجد .

(٢) أى بعث ، وسمى الحوارج أنفسهم « الشراة » جمع شار كفاض وقضاة من سرى بشرى كرمى : بمعنى باع ، لقولهم سرى أنفساى طاعة الله : أى بعناها ووهبناها ، أخذنا من قوله تعالى : « وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ أُتُغَاءَ مَرَضًا اللَّهُ » أو من شرى بمعنى اسرى لقولهم : شرينا الآخرة بالدنيا أى اشربناها ، قال عمران بن حطان :

لئن أدين بما دان السراف به يوم الخيلة عدد الحوسق الحرب

« والجوسق كعمر : العصر — يشبر إلى قيام المستورد الخارجى بالخيلة بعد وضعة الزهروان » وقال الطرماح بن حكيم :

من الحق إقصاه^(١)، وركبت مره، تجرد لك الشيطان، ولم يكن أحد أثقل عليه وطأة منك ومن أصحابك، فاستمالك واستهوك، واستغواك وأغواك، فغويت^(٢) فأكفرت الذين عذرهم الله في كتابه من قعد^(٣) المسلمين وضعفتهم، فقال جل ثناؤه، وقوله الحق، ووعد الصديق: «لئس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوهم لله ورسوله» ثم سَمَّاهم أحسن الأسماء، فقال: «ما على المحسنين من سبيل^(٤)». ثم استحللت قتل الأطفال، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلهم، وقال الله عز ذكره: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى»^(٥) وقال سبحانه في القعد خيراً، وفضل الله من جاهد عليهم، ولا تدفع منزلة أكثر الناس عملاً منزلة من هو دونه^(٦)، أو ما سمعت قوله عز وجل: «لَا يَسْتَوِي

لله در المرأة إنهم إذا السكرى ماء بالطلا أرقوا
« والطلا: الأعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة، وكلها بالصم » وقال أيضاً:
والبار لم ينج من روعائها أحد إلا النيب بقاء المحاص الشارى
وقال معاذ بن جوين:

ألا أيها الشارون قد حان لامرئ شرى نفسه لله أن يترحلا
(١) فص الأمر: مفصله. (٢) عوى بالفتح عيا وعوى بالكسر غواية.
(٣) القعد: اسم جمع قاعد كخدم وخادم، ويروى الفعدة وهو جمع قاعد ككتبة وكتاب، ورجل ضعيف وضعوف وضعفان والجمع ضعاف وضعفاء وضعفة (بالحريك) وضعفي (كقتلي) وضعافي بالفتح
(٤) أى ليس عليهم جناح ولا إلى معاناتهم سبيل، وإنما وضع المحسنين موضع الضمير للدلالة على أنهم منحطون في سلك المحسنين غير معاصين لذلك.
(٥) وزر يزر كوعد: أثم، والوزر: الأثم، أى ولا يحمل نفس آثمة لآثم نفس أخرى،
(٦) وفي رواية ابن أبي الحديد: «مفضيله المجاهدين على القاعدين لا يرفع مثله من هو دون المجاهدين» والعقد الريد: «ولا يرفع أكثر الناس عملاً منزلة ممن هو دونه إلا إذا اشتركا في أصل».

الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ^(١)» فجعلهم الله من المؤمنين ، وفضل عليهم المجاهدين بأعمالهم .

ورأيت ألا تؤدّي الأمانة إلى من خالفك ، والله يأمر أن تؤدّي الأمانات إلى أهلها^(٢) ، فاتق الله وانظر لنفسك ، واتق يومًا لا يحزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئًا» فإن الله عز ذكره بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل ، والسلام .

(الكامل للبرد ٢ : ١٧٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٨٢ ، والعمد الفريد ١ : ٢١٤)

١٠٣ - رد نافع على نجدة

فكتب إليه نافع :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فقد أتاني كتابك تعظني فيه وتذكركني ، وتنصح لي وترجوني ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت أوثره من الصواب ، وأنا أسأل الله جلَّ وعزَّ أن يجعلني من « الَّذِينَ يَسْتَوُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ » وَعِبْتَ عَلَى مَا دُنْتُ بِهِ مِنْ إِكْفَارِ الْقَعْدِ وَقَتْلِ الْأَطْفَالِ وَاسْتِحْلَالِ الْأَمَانَةِ ، فسأفسر لك لم ذلك إن شاء الله :

(١) أى من عمى أورمانه أو غيرها ، وسام الآه : « وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ (أى لضرر) دَرَجَةً ، وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى ، وَفَصَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ ، أى لغير ضرر) أَجْرًا عَظِيمًا » .

(٢) قال تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا » .

أما هؤلاء القعد : فليسوا كما ذكرتِ ممن كان بمهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم كانوا بمكة متهورين محصورين ، لا يجدون إلى الهرب سبيلا ، ولا إلى الاتصال بالمسلمين طريقا ، وهؤلاء قد فقهوا في الدين ، وقرءوا القرآن ، والطريق لهم نهج واضح ، وقد عرفت ما قال الله عز وجل فيمن كان مثلهم ، إذ « قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعِفِينَ فِي الْأَرْضِ » فقيل لهم « أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتَهَا جِرْمُهَا » وقال : « فَرَحَ الْمُخَلَّقُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ^(١) » وقال : « وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ^(٢) » فغبر بتعذيرهم وأنهم كذبوا الله ورسوله ، وقال : « سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » فانظر إلى أسمائهم وسماتهم ^(٣) .

وأما أمر الأطفال : فإن نبي الله نوحا عليه السلام كان أعلم بالله بانجدة مني ومنك فقال : « رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ^(٤) » ، إِنَّكَ إِن تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاَجِرًا كَفَّارًا » فسامهم بالكفر

(١) أى مرحوا بعودهم عن العرو بعد رسول الله - وذلك في عروه سوك وعام الآلة الكرمة « وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ ، قُلْ بَارُحَهُمْ أَسَدٌ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ » .

(٢) يعنى أسدا وعظما ، أسدأوا في الدخان بعدد من الجهد وكبره الهال ، وعسل هم رهط حاصر من الطفل ، قالوا : إن عروا معك أعارب طي على أهلها ومواسا . والمعدر : إمام ، عذر في الأمر إذا فسر ، ومواسا عذرا ولاعذر له ، فالعنى : المصورون الذين لا عذر لهم - وهما ما عساه مافع في كمانه - وإماما من اعذر أسلا المعتدرون ، ألمع معة الماء على العن وأبدل منها ذال وأدبب في الدال الى عدها ، ومعناه : الذين بعدرون ، كان لهم عذر أولم يكن ، وفرأ اس اس المـدرون سكون العن - وهم الذين لهم العذر - وكان قول : والله أسدا أعربا ، وقال : اس الله المعدرس (ناا شدد) .

(٣) سبع سمه ، وهى العلاما .

(٤) احدا .

وهم أطفال وقبل أن يولدوا ، فكيف كان ذلك في قوم نوح ، ولا نكون
نَقُولُهُ في قومنا ؟ والله يقول : « أَكْفَرًاكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ ، أَمْ لَكُمْ
بِرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ^(١) » وهوؤلاء كمشركي العرب لا تُقْبَلُ منهم جزية ، وليس
بيننا وبينهم إلا السيف أو الإسلام :

وأما استحلال أمانات من خالفنا ، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل أَحَلَّ لنا أموالهم
كما أحل لنا دماءهم ، فدمائهم حلالٌ طُلِقَ ^(٢) ، وأموالهم فَبِئْسَ للمسلمين ،
فاتق الله وراجع نفسك ، فإنه لا عُذْرَ لك إلا بالتوبة ، ولن يَسْعَكَ خِذْلَانُنا ،
والقعودُ عنا ، وتركُ ما نَهَجناه لك من طريةتنا ومقاتلتنا ، والسلام على من
أَقْرَبَ بالحق وعَمِلَ به .

(الكامل ٢ : ١٧٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٨٢ ، والعقد الفريد ١ : ٢١٤)

١٠٤ - كتاب ابن عباس إلى نجدة بن عامر

وكتب نجدة بن عامر إلى ابن عباس لسأله عن سهم ذوى القربى :
لمن هو ؟ فكتب إليه ابن عباس :

« كُتِبَتْ إِلَيَّ سَأَلْنِي عَنْ سَهْمِ ذَوِي الْقَرْبَى لِمَنْ هُوَ ، وَهُوَ لَنَا ، وَإِنْ
عَمِرَ بِنُ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دَعَانَا إِلَى أَنْ تُنْكَحَ مِنْهُ أَيْمَنًا ^(٣) ، وَتَقْضَى
مِنْهُ عَنْ مَغْرَرِنَا ، وَتُخْدَمَ مِنْهُ عَائِلَتُنَا ، فَأَبْنَا إِلَّا أَنْ نَسَلَّهُ لَنَا : وَأَبَى ذَلِكَ عَلَيْنَا »
(كتاب الحراج لأبي يوسف ص ٢٤)

(١) الزر جمع زور كصور : وهو الكتاب - فعول بمعنى معول : أى أم أمرل لكم فى الكتب
الساوية أن من كفر مسكم فهو فى أمان من عذاب الله ؟

(٢) طلق : حلال ، فهو تأكيد على حد قولهم : قتل راحما .

(٣) الأيم : العرب رجلا كان أو امرأه سواء روح من قل أولم يروح .

١٠٥ - كتاب نافع إلى خوارج البصرة

وكتب نافع إلى من بالبصرة من المُحَكِّمَةِ (١).

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أما بعد : « فَإِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ، والله إنكم لتعلمون أن الشريعة واحدة ، والدين واحد ، فقيم المقام بين أظهر الكفار ، تَرَوْنَ الظُّلْمَ لَيْلًا وَنَهَارًا ؟ وقد نَدَبَكُمْ اللَّهُ إِلَى الْجِهَادِ ، فَقَالَ : « وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً » ولم يجعل لكم في التخلُّف عذراً في حال من الأحوال فقال : « انْفِرُوا (٢) خِفَافًا وَثِقَالًا » وإنما عَذَرَ الضَّعَفَاءَ وَالْمَرْضَى وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ (٣) ، ومن كانت إقامته

(١) يسمى الخوارج « الحكمة » لأهم أسكروا أمر الحكيم ، وقالوا : لاحكم لإلا الله ، ولا حكم لإلا الله ، وكان هذه التسمية على السلب ، لأنهم ينفون الحكم وينكرون التحكيم ، ونظير ذلك تسمية جماعة القدرية (التحريك) بهذا الاسم ، مع أن الأساس الذي قام عليه مذهبهم هو « لا قدر » فهم ينكرون قدر الله ، ويقولون في إثبات القدرة للإنسان ، وأنه حر الإرادة في أعماله . وكان الأولى أن تسمى جماعة المجبرة بالقدرية لإسنادهم جميع أفعال العبد إلى القدر .

وذكروا أن أول من حكم ولطف بالحكومة رجل يقال له الحجاج بن عبد الله ويعرف بالبرك - وهو أحد الخوارج الثلاثة الذين انفخوا على قنصل على ومعاوية وعمرو بن العاص - فإنه لما سمع بذكر الحكيم قال : أيتكم في دين الله ؟ لاحكم لإلا الله ، فسمعه سامع فقال : طعن والله فأعذ ، وقيل إن أول من حكم عروة بن أديه ، وأول سيف سل من سيوف الخوارج سيفه . وذلك أنه لما كتبت صحيفة الحكم بن علي ومعاوية خرج الأشعث بن قيس الكندي بها قرؤها على الناس ، حتى مر على طائفة من بني عيم فيهم عروة ، فقرأها عليهم ، فقال عروة : تحكمون في أمر الله عز وجل الرجال ؟ لاحكم لإلا الله ، ما هذه الدينه يا شعث وما هذا التحكم ؟ ثم شهر عليه السيف والأشعث مولاً فصر به عير البغلة فثبت العلة ، فمرع اليمانيه وكانوا حل أصحاب على ، فلما رأى ذلك الأحنف بن قيس قصد هو وصحابه إلى الأشعث فسأله الصصح قبل وصفح .

(٢) امرؤا : اخرجوا ، وتعام الآية الكريمة : « وَحَاحِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ »
(٣) تشير إلى قوله تعالى . « لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ ، وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ » .

لِعَلَّةَ ، ثُمَّ فَضَّلَ عَلَيْهِمْ مَعَ ذَلِكَ الْمُجَاهِدِينَ فَقَالَ : « لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ » فَلَا تَغْتَرُّوا ، وَلَا تَطْمَئِنُّوا إِلَى الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ مَكَّارَةٌ ، لَذَّتْهَا نَافِدَةٌ ^(١) ، وَنِعْمَتُهَا بَائِدَةٌ ، خُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ اغْتِرَارًا ، وَأُظْهِرَتْ حَبْرَةٌ ^(٢) ، وَأَضْمَرَتْ عِبْرَةٌ ، فَلَيْسَ آكُلُ مِنْهَا أَكْلَةً ^(٣) تَسْرَهُ ، وَلَا شَارِبٌ شُرْبَةً تُؤْتِقُهُ ^(٤) ، إِلَّا دَنَا بِهَا دَرَجَةً إِلَى أَجَلِهِ ، وَتَبَاعَدَ بِهَا مَسَافَةً مِنْ أَمَلِهِ ، وَإِنَّمَا جَعَلَهَا اللَّهُ دَارًا لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا إِلَى النِّعَمِ الْمَقِيمِ ، وَالْعَيْشِ السَّلِيمِ ، فَلَنْ يَرْضَى بِهَا حَازِمٌ دَارًا ، وَلَا حَلِيمٌ ^(٥) بِهَا قَرَارًا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ « وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى » وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى .

(الكامل للبرد ٢ : ١٧٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٨٢)

١٠٦ — كتاب نافع إلى عبد الله بن الزبير

وكتب نافع إلى عبد الله بن الزبير يدعوهُ إلى أمرِهِ :
« أَمَا بَعْدُ : فَإِنِّي أَحْذَرُكَ مِنَ اللَّهِ » يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا ، وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ، وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ « فَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ وَلَا تَتَوَلَّ الظَّالِمِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : « وَمَنْ

-
- (١) ذاهبة فانية .
 - (٢) الحيرة : السرور كالخبور ، وفي الأصل « حيرة » وهو تصحيف .
 - (٣) الأكلة الناتجة : المرة ، والنظم : اللعنة والطعمه . والشرية الناصح : المرة ، والناصح : مقدار الرى من الماء كالخسوة .
 - (٤) آسه السى لابن انا : أعجبه ، ورواية « توافقه »
 - (٥) حليم : عاقل ، من الحلم بالكسر وهو العقل ، وفي رواية « حكيم » .

يَتَوَلَّاهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ » وقال « لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ » وقد حضرت عثمان يوم قُتِلَ ، فلعمري لئن كان قُتِلَ مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه ولئن كان قاتلوه مهتدين - وإنهم لمهتدون - لقد كفر من يتولاه وينصره ويعضده ، ولقد علمت أن أباك وطلحة وعلياً كانوا أشد الناس عليه ، وكانوا في أمره من بين قاتلٍ وخاذلٍ ، وأنت تتولى أباك وطلحة وعثمان ، وكيف ولاية قاتلٍ مُتَعَمِّدٍ ومقتولٍ في دين واحد ؟ ولقد ملك عليٌّ بعده ، ففنى الشبهات ، وأقام الحدود ، وأجرى الأحكام مجاريها ، وأعطى الأمور حقائقها فيما عليه وله ، فبايعه أبوك وطلحة ، ثم خلفاه ظالمين له ، وإن القول فيك وفيهما لكما قال ابن عباس : « إن يكن عليٌّ في وقت معصيتكم ومُحَارَبَتِكُمْ له كان مؤمناً ، أما لقد كفرتم بقتال المؤمنين وأئمة العدل ، ولئن كان كافراً كما زعمتم ، وفي الحكم جائراً ، لقد بؤثتم بغضب من الله لفراركم من الزحف » ولقد كنت له عدواً ، ولسيرته عائباً ، فكيف توليته بعد موته ؟ » .

(الكامل للبرد ٢ : ١٧٩ ، والعقد الفريد ١ : ٢١٤)

١٠٧ - كتاب من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة

واشتدت شوكة الخوارج الأزارقة بالأهواز ، وخشى أهل البصرة أن يحتاجوا مضراً ، فهبوا لمدافعتهم ، ونشبت بين الفريقين عداوة وقعات^(١) ،

(١) لما علم نافع على بلاد الأهوار أقام بها يعترض الداس وقتل الأطفال ، فإذا أحيب إلى المقاتلة جى الحراج ، وفسنا عماله في السواد ، فارتاع لذلك أهل البصرة ، فاحتجموا إلى الأحنف بن قيس فشكوا ذلك إليه ، وقالوا : لس بنا وبين العدو إلا لياتان ، وسيرتهم ماترى ، قال الأحنف : إن فعلهم في

ثم أجمع رأى القوم على أنه ليس لهذا الأمر إلا المهلب بن أبي صفرة
 فكلّموه أن يتولى قتال الخوارج - وكان ابن الزبير قد كتب له عهداً على
 خراسان - فقال لهم : لا أفعل ، هذا عهد أمير المؤمنين معى على خراسان ،
 فلم أكن لأدعّ عهده وأمره ، فدعاه أمير البصرة الحارث بن عبد الله بن أبي
 ربيعة المعروف بالقباع ، فكلّمه فى ذلك ، فقال له مثل ذلك ، فاتفق رأى
 الأمير ورأى أهل البصرة على أن كتبوا على لسان ابن الزبير :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي
 صفرة ، سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن
 الحارث بن عبد الله كتب إلى أن الأزارقة المارقة أصابوا جُنداً للمسلمين كان

مصركم إن طعروا به كعلمهم فى سوادكم ، جندوا فى جهاد عدوكم ، فاجتمع إليه عفرة آلاف فأتى
 عبد الله بن الحرث بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب (وهو بنة) أمير البصرة من قبل ابن الزبير فسأله
 أن يؤمّر عليهم ، فاختار لهم مسلم بن عتيص فأمره عليهم ، والنبي بافع فى « دولاب » فاقتتلوا قتالا
 شديداً ، وقتل فى المعركة ابن عتيص ونافع . ثم عزل ابن الزبير عبد الله بن الحرث عن البصرة وولاهما عمر
 ابن عبد الله بن معمر ، وولى عمر أخاه عثمان بن عبد الله بحاربة الأزارقة . فلما عبروا إليهم دجّيلاً
 نهض إليهم الخوارج - وذلك قبيل الطهر - فقال عثمان لحارثة بن بدر : أما الخوارج إلا ما أرى ؟ فقال
 له حارثة : حسبك هؤلاء ، فقال : لا حرم ، والله لا أتفدى حتى أناجزهم ، فقال له حارثة : إن هؤلاء
 لا يهابون نالتعصف فأتى على نفسك وحدك ، فقال : أنتم أهل العراق إلا جبنا ، وحاربهم عثمان يومه
 إلى أن طالت الشمس ، فأجبت الحرب عنه قتيلاً ، وانهزم الناس .

وعزل ابن الزبير عمر بن عبد الله وولى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة - وهو أخو عمر بن عبد الله
 ابن أبي ربيعة الخرومى الساعر - وأقام حارثة بن بدر يدافع الخوارج فهزموه ، فهرب يركض حتى أتى
 دجّيلاً ، فجلس فى سفينة واتبعه جماعة من أصحابه ، وأناه رجل من بني تميم ، وعليه سلاحه ، والخوارج
 وراءه ، فصاح به : يا حارث ايسر ملى ضييع ، فقال للملاح : قرب ، ففرب إلى جرف ، فطفر سلاحه
 فى السفينة ، فساحت بالقوم جميعاً ، وماتوا عرقاً ، وتوّه الخوارج نحو البصرة ، فضبح الناس إلى
 الأنحف ، فأتى الحارث بن عبد الله فقال : أصلح الله الأمير ، إن هذا العدو قد غلبنا على سوادنا
 وميثداً ، فلم يبق إلا أن يحصرنا فى بلدنا حتى نموت هرباً ، قال فسموا رجلاً ، فقال الأنحف : ما أرى
 لها إلا المهلب بن أبي صفرة ، فولاه قتالهم .

عدهم كثيراً ، وأشرفهم كثيراً ، وذكر أنهم قد أقبلوا نحو البصرة ، وقد كنت وجهتُك إلى خراسان ، وكتبت لك عليها عهداً ، وقد رأيت حيثُ ذُكر أمرُ هذه الخوارج أن تكون أنت تلي قتلهم ، فقد رجوت أن يكون ميموناً طائرك ، مُباركاً على أهل مصرك ، والأجر في ذلك أفضلُ من المسير إلى خراسان ، فسر إليهم راشداً ، فقاتل عدو الله وعدوك ، ودافع عن حقك وحقوق أهل مصرك ، فإنه لن يفوتك من سلطاننا خراسان ولا غير خراسان إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله . (تاريخ الطبري ٧ : ٨٦)

١٠٨ — كتاب المهلب إلى الحارث بن عبد الله

ونهب المهلب لقتال الخوارج ، ومضى يؤمُّ سوق الأهواز^(١) فدخلها ، وكتب بذلك إلى الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة أمير البصرة كتاباً يقول فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فإننا منذ خرجنا تؤمُّ هذا العدو ، في نعم من الله متصلةً علينا ، ونعمة من الله متتابعةٍ عليهم ، نُقدم ويُحجمون ، ونُحلُّ ويرتحلون ، إلى أن حللنا سوق الأهواز ، والحمد لله رب العالمين ، الذي من عنده النصر وهو العزيز الحكيم » .

١٠٩ - رد الحارث بن عبد الله عليه

فكتب إليه الحارث :

« هنيئاً لك » أخوا الأزد^(١) « الشرف في الدنيا ، والدُّخْرُ في الآخرة إن

شاء الله » . (الكامل للبرد ٢ : ١٨٩)

١١٠ - كتاب المهلب إلى الحارث بن عبد الله

وكانت وقعة سِلي وسَلْبَرى^(٢) من أشدِّ الوقعات بين المهلب والحوارج ،

دارت عليهم فيها الدائرة ، وقُتل أميرهم عُبَيْد الله بن بشير بن الماحوز

وكتب المهلب بن أبي صفرة إلى الحارث بن عبد الله بعد الوقعة .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فَإِنَّا لَقَيْنَا الْأَزَارِقَةَ الْمَارِقَةَ بِحَدِّ

وَجِدِّ ، فَكَانَتْ فِي النَّاسِ جَوَلَةً^(٣) ، ثُمَّ ثَابَ^(٤) أَهْلُ الْحِفَاطِ وَالصَّبْرِ بِنِيَّاتٍ

صَادِقَةٍ ، وَأَبْدَانِ شِدَادٍ ، وَسُيُوفِ حَدَادٍ^(٥) ، فَأَعْقَبَ اللَّهُ خَيْرَ عَاقِبَةٍ ، وَجَاوَزَ

بِالنُّعْمَةِ مِقْدَارَ الْأَمَلِ ، فَصَارُوا دَرِيئَةً^(٦) رَمَاحَنَا ، وَضَرَائِبَ^(٧) سُيُوفِنَا ، وَقَتَلَ

اللَّهُ أَمِيرَهُمْ ابْنَ الْمَاحُوزِ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ آخِرُ هَذِهِ النُّعْمَةِ كَأَوَّلِهَا ،

والسلام » . (الكامل للبرد ٢ : ١٩٥)

(١) وقد استخفاه المهلب لمخاطبه إياه بقوله : « أخوا الأزد » فقال لأصحابه : ما أجنى أهل الحجاز ! أما ترونه يعرف اسمي واسم أبي وكنيتي ؟

(٢) مجموع اللفظين موضع واحد بالأهواز قرب جند يسابور . (٣) رجع .

(٤) وكان الحوارج قد نادى مناديتهم في أثناء المعركة ألا إن المهلب قد قتل ، فأقبل المهلب بركض

بين الصفيين وهو يصيح : أما المهلب ، فسكن الناس بعد أن كانوا قد ارتاعوا وظنوا أن أميرهم قد قتل

(٥) الدرشة : الحلة يتعلم الطعن والرمي عليها .

(٦) ضرائب : جمع ضربة ، وهي ما يضرب بالسيف .

١١١ - رد الحارث بن عبد الله على المهلب

فكتب إليه الحارث :

« قد فرأت كتابك يا أبا الأزد ، فرأيتك قد وهب الله لك شرف الدنيا وعزها ، وذخر لك ثواب الآخرة إن شاء الله وأجرها ، ورأيتك أوثق حصون المسلمين ، وهادئ أركان المشركين ، وأخا السياسة ، وذو الرياسة ، فاستدیم الله بِشُكره ، يُتمم عليك نعمة والسلام^(١) .

(الكامل للبرد ٢ : ١٩٦)

صورة أخرى لكتاب المهلب إلى الحارث

وروى الطبري كتاب المهلب السابق إلى الحارث بن عبد الله بصورة أخرى قال :

ولما ظهر المهلب على الأزارقة « في وعة سيلٍ وسيلتري » كتب إلى الحارث بن عبد الله :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، للأمير الحارث بن عبد الله من المهلب بن أبي صفرة ، سلام عليك : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فالحمد لله الذي نصر أمير المؤمنين ، وهزم الفاسقين ، وأنزل بهم نقيمتهم ، وتملكهم كل فتلة ، وشردهم كل مسرد .

(١) وكتب إليه أهل البصرة هبه ولم يكتب إليه الأحف ولكن قال : اقرءوا عليه السلام وقولوا له : أنالك على ما فارك عايه ، فلم يرأ الكب وناس في أصعاهما كتاب الأحف ، فلما لم يره قال لأصحابه : أما كتب إلنا ؟ فقال له الرسول : حملى إلک رساله وألعه ، فقال : هذه أحب إلنا من هذه الكب .

أخبر الأمير «أصلحه الله» أننا لقينا الأزارقة بأرض من أرض الأهواز يقال لها «سلي وسلبزى» فزحفنا إليهم، ثم ناهضناهم، فاقتتلنا كأشد القتال ملياً^(١) من النهار، ثم إن كتائب الأزارقة اجتمع بعضها إلى بعض، ثم حملوا على طائفة من المسلمين فهزموهم، وكانت في المسلمين جولة قد كنت أشققت أن تكون هي إلا صرعى^(٢) منهم، فلما رأيت ذلك عمدت إلى مكان يفاع^(٣) فعلوته، ثم دعوت إلى عشيرتي خاصة والمسلمين عامة، فتاب إلى أفوام شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، من أهل الدين والصبر والصدق والوفاء، فقصدت بهم إلى عسكر القوم، وفيه جماعتهم وحدثهم، وأمرهم قد أطاف به أولو فضلهم فيهم وذوو النيات^(٤) منهم، فاقتتلنا ساعة، رمياً بالنبل وطعنًا بالرماح، ثم خلص الفريقان إلى السيوف، فكان الجلاء بها ساعة من النهار مبالطة^(٥) ومبالدة، ثم إن الله عز وجل أنزل نصره على المؤمنين، وضرب وجوه الكافرين، ونزل طاغيهم في رجال كثير من محاتم وذوى نياتهم، فقتلهم الله في المعركة، ثم أتبعته الخيل شرادهم، فقتلوا في الطريق والإخاذ^(٦) والقرى، والحمد لله رب العالمين، والسلام عليك ورحمة الله.

فلما أتى هذا الكتاب الحارث بن عبد الله بعث به إلى ابن الزبير فقرأ

على الناس بمكة . (تاريخ الطبرى ٧ : ٨٩)

(١) طوبلا . (٢) أصر على الأمر : عزم ، وهو مسمى صرى ، أى عزيمة قاطعة وحد .

(٣) اليعاق واليعق بالحريك : التل .

(٤) أى ودووات الصادقة بهم ، وربما كان الأمل « ودووات الثبات منهم » .

(٥) المبالطة والسالط : التحاليد بالسوف ، وكذا المبالدة : المبالطة بالسيوف والعصى .

(٦) الاحاد : العدران جمع لإحادة ، والقرى : مسيل الماء من التلاع .

صورة أخرى لرد الحارث على المهلب

وروى الطبري أيضاً رد الحارث بن عبد الله على كتاب المهلب بصورة أخرى، وهي :

وكتب الحارث بن أبي ربيعة إلى المهلب :
«أما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه نصر الله وإياك وظفر المسلمين،
فهنيئاً لك يا أبا الأزد بشرف الدنيا وعزّها ، وثواب الآخرة ، وفضلها ،
والسلام عليك ورحمة الله » . (تاريخ الطبري ٧ : ٨٩)

١١٢ - كتاب مصعب بن الزبير إلى المغيرة بن المهلب

ولم يزل المهلب يقاتل الخوارج في ولاية الحارث بن عبد الله ، حتى
عزل الحارث ووليّ مُصعب بن الزبير ، فكتب إليه : أن اقدم على واستخلف
ابنك المغيرة ، ففعل ثم مضى إلى مُصعب فولاه الموصل .
وكتب مصعب إلى المغيرة بن المهلب بولايته : كتب إليه :
« إنك إن لم تكن كأبيك فإنك كافٍ لما وليتُكَ ، فشمر واتّزّر^(١) ،
وجدّ واجتهد » .

(الكامل للمرد ٢ : ١٩٨)

(١) يقال : ائزّر بالإزار وتأزّر به : أي لبسه، وائرر أيضاً وأصله ائزّر. أدمع الهمة في الباء والمعنى اسعد .

١١٣ - كتاب عمر بن عبيد الله إلى مصعب بن الزبير

ووليُّ مُصْعَبُ بن الزبير عُمَرُ بن عُبَيْدِ اللَّهِ بن مَعْمَرٍ قتال الخوارج بعد المَهْلَب ، فزحف إليهم فقاتلهم قتالاً شديداً قُتِلَ فيه ابنه عُبَيْدُ اللَّهِ ، فحمل عليهم حَمْلَةً هزمهم فيها وانهبهم ، ثم كتب إلى مصعب :

« أما بعد : فَإِنِّي قد لَقِيتُ الأزارقة ، فرزقَ اللَّهُ عُبَيْدَ اللَّهِ بن عمر الشهادة ، ووهب له السعادة ، ورزقنا عليهم الظفر ، فتفرقوا شَذَرَ مَذَرَ^(١) ، وبلغتني عنهم عودةٌ ، فَيَمِّتْهُمْ^(٢) ، وبالله أستعين ، وعليه أتوكل . »

(الكامل للمبرد ٢ : ١٩٩)

طلب التوابين بدم الحسين

رضى الله عنه

وفي سنة ٦٥ هـ تحركت الشيعة بالكوفة ، واتعدوا الاجتماع بالنخيلة للمسير إلى أهل الشام ، للطلب بدم الحسين بن علي رضي الله عنهما ، وذلك أنهم بعد مقتلَه تلافوا بالتلاوم والتندم ، ورأوا أنهم قد أخطئوا خطأ كبيراً بدعائهم إياه إلى النصرة وتركهم إجابته ، ومقتله إلى جانبهم لم ينصروه ، ورأوا أنه لا يُغْسَلُ عارهم والإثم عنهم في مقتله إلا بقتل من قتله أو القتل فيه ،

(١) مرفوا شذر مدر صبح السبن والمم وكسرهما : دهموا في كل وجه .

(٢) أي قصدت إليهم .

وتابوا مما قَرَطَ منهم في ذلك - فسمُّوا التَّوَابِينَ ، وولَّوا أمرهم سليمانَ ابنَ صُرَدَ الحُزَاعِيِّ .

١١٤ - كتاب سليمان بن صرد

إلى سعد بن حذيفة بن اليمان

وكتب سليمان إلى سعد بن حُذَيْفَةَ بنِ الْيَمَانِ بالمدائن كتاباً يقول فيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من سليمان بن صُرَدَ إلى سعد بن حُذَيْفَةَ
وَمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، سلام عليكم ، أما بعدُ : فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ قَدْ أُذْبِرَ
مِنْهَا مَا كَانَ مَعْرُوفًا ، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُنْكَرًا ، وَأَصْبَحَتْ قَدْ تَشَتَّتَتْ^(١)
إِلَى ذَوَى الْأَلْبَابِ ، وَأُزْمِعَ^(٢) التَّرَحُّالَ مِنْهَا عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارَ ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ
الدُّنْيَا لَا يَبْقَى ، بِجَزِيلٍ مَثُوبَةٍ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَفْنَى ، إِنْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ مِنْ إِخْوَانِكُمْ
وَشِيعَةِ آلِ نَبِيِّكُمْ ، نَظَرُوا لَأَنْفُسِهِمْ فِيمَا ابْتُلُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ ابْنِ بَنْتِ نَبِيِّهِمُ الَّذِي
دُعِيَ فَأَجَابَ ، وَدَعَا فَلَمْ يُجِبْ ، وَأَرَادَ الرَّجْعَةَ فُجِسَ ، وَسَأَلَ الْأَمَانَ فَمُنِعَ ،
وَتَرَكَ النَّاسَ فَلَمْ يَتْرُكُوهُ ، وَعَدَّوْا عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ سَلَبُوهُ وَجَرَّدُوهُ ظُلْمًا
وَعُدْوَانًا ، وَغَرَّةً بِاللَّهِ وَجَهْلًا ، وَبَعَيْنَ اللَّهِ مَا يَعْمَلُونَ ، وَإِلَى اللَّهِ مَا يَرْجِعُونَ ،
« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » فَلَمَّا نَظَرَ إِخْوَانُكُمْ ، وَتَدَبَّرُوا
عَوَاقِبَ مَا اسْتَقْبَلُوا ، رَأَوْا أَنَّ قَدْ خَطِئُوا بِحِذْلَانِ الزَّكِيِّ الطَّيِّبِ ، وَإِسْلَامِهِ^(٣) ،
وَتَرَكَ مَوَاسَاتِهِ ، وَالنَّصْرَ لَهُ خَطَأً كَبِيرًا ، لَيْسَ لَهُمْ مِنْهُ مَخْرَجٌ وَلَا تَوْبَةٌ دُونَ

(١) رُودُهَا قَدْ صَارَتْ مَشْوُوءَةً : أَيُّ مَكْرُوهَةٍ . مَعْضَةٌ ، مِنْ شَتَّتَهُ كَسَمْعٍ وَمَنْعٍ إِذَا كَرِهَهُ .

(٢) أَرْمَعَ الْأَمْرَ وَعَلَهُ : أَحْمَتَ أَوْ ثَبَتَ عَلَيْهِ . (٣) أَسْلَمَهُ : خَذَلَهُ .

قَتَلَ قَاتِلِيهِ أَوْ قَتَلَهُمْ ، حَتَّى تَفْنَى عَلَى ذَلِكَ أَرْوَاحُهُمْ ، فَقَدْ جَدَّ إِخْوَانُكُمْ ، فَجَدُّوا
وَأَعَدُّوا وَاسْتَعَدُّوا ، وَقَدْ ضَرَبْنَا لِإِخْوَانِنَا أَجَلًا يَوَافُونَا إِلَيْهِ ، وَمَوَظِنًا
يَلْقَوْنَنَا فِيهِ ، فَأَمَّا الْأَجَلُ فَفُرَّةٌ^(١) شَهْرُ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ ٦٥ ، وَأَمَّا الْمَوْظِنُ
الَّذِي يَلْقَوْنَنَا فِيهِ فَالنُّخِيلَةُ ، أَتَمَّ الَّذِينَ لَمْ تَرَالُوا لَنَا شَيْعَةً وَإِخْوَانًا وَإِلَاءًا^(٢) ،
وَقَدْ رَأَيْنَا أَنْ نَدْعُوَكُمْ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ الَّذِي أَرَادَ اللَّهُ بِهِ إِخْوَانُكُمْ فِيمَا يَزْعُمُونَ
وَيُظْهِرُونَ لَنَا أَنَّهُمْ يَتُوبُونَ ، وَإِنَّكُمْ جُدَرَاءُ^(٣) بَتِّطَلَابِ الْفَضْلِ وَالتَّمَسِّ الْأَجْرِ ،
وَالْتُوبَةُ إِلَى رَبِّكُمْ مِنَ الذَّنْبِ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ حَزُّ الرِّقَابِ ، وَقَتْلُ الْأَوْلَادِ ،
وَاسْتِيفَاءُ الْأَمْوَالِ ، وَهَلَاكُ الْعَشَائِرِ ، مَا ضَرَّ أَهْلَ عَدْرَاءَ^(٤) الَّذِينَ قُتِلُوا إِلَّا
يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، شُهَدَاءَ قَدْ لَقُوا اللَّهَ صَابِرِينَ
مُحْتَسِبِينَ ، فَأَثَابَهُمْ ثَوَابَ الصَّابِرِينَ - يَعْنِي حُجْرًا وَأَصْحَابَهُ - وَمَا ضَرَّ إِخْوَانُكُمْ
الْمُقْتَلِينَ صَبْرًا^(٥) ، وَالْمَصْلِيِّينَ ظُلْمًا ، وَالْمَمْتُولِينَ بِهِمْ ، الْمُعْتَدِي عَلَيْهِمْ ، إِلَّا يَكُونُوا
أَحْيَاءَ مُبْتَلَيْنَ بِخَطَايَاكُمْ ، قَدْ خَيْرَ^(٦) لَهُمْ فَلَقُوا رَبَّهُمْ وَوَقَّاهُمُ اللَّهُ «إِنْ شَاءَ اللَّهُ»
أَجْرَهُمْ ، فَاصْبِرُوا «رَحِمَكُمُ اللَّهُ» عَلَى الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ، وَتَوَبُّوا إِلَى
اللَّهِ عَنْ قَرِيبٍ ، فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ لَأَخْرِيَاءُ^(٧) أَنْ لَا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ إِخْوَانِكُمْ ،
صَبَرَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَلَاءِ إِرَادَةَ ثَوَابِهِ ، إِلَّا صَبَرْتُمْ التَّمَسَّ الْأَجْرَ فِيهِ عَلَى مِثْلِهِ ،
وَلَا يَطْلُبُ رِضَاءَ اللَّهِ طَالِبٌ بُسَىءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ - وَلَوْ أَنَّهُ الْقَتْلُ - إِلَّا طَلَبْتُمْ رِضَاءَ

(١) العرة من الشهر وعبره : أوله .

(٢) الإلّ : القرابة . (٣) جمع حدر : أى حقق .

(٤) عدراء : قرية نعوطة دمشق قتل بها معاوية حجر بن عدي وأصحابه .

(٥) قتل صبرا : هو أن يخبس ويرمى حتى يموت .

(٦) حار الله له فى الأمر : جعل له فيه الخير . (٧) جمع حرى : أى جدر وحقيق .

الله به، إن التقوى أفضلُ الزاد في الدنيا، وما سوى ذلك يَبُورُ^(١) وَيَفْنَى ،
فَلْتَعْرِفْ^(٢) عنها أنفسكم ، ولتكن رغبَتكم في دار عافيتكم ، وجهادِ عدوِّ الله
وعدوِّكم ، وعدوِّ أهل بيت نبكم ، حتى تَقْدَمُوا على الله تائبين راغبين ، أحيانا
الله وإياكم حياة طيبة ، وأجارنا وإياكم من النار ، وجعل مَنايانا قَتْلًا في سبيله
على يَدَيِ أبغض خلقه إليه ، وأشدَّهم عداوةً له ، إنه القدير على ما يشاء ،
والصانع لأوليائه في الأشياء ، والسلام عليكم » .

فقرأ سعد بن حذيفة كتب سليمان بن صرد على الشيعة بالمداين ، وقال
لهم : إن إخوانكم قد بعثوا إليكم يستنجدونكم ويستمدونكم ، فإذا ترون؟
وماذا تقولون ؟ فقال القوم بأجمعهم : نجيبهم ونقاتل معهم ، ورأينا في ذلك
مثل رأيهم . (تاريخ الطبري ٧ : ٤٩)

١١٥ - رد سعد بن حذيفة على ابن صرد

فكتب سعد بن حذيفة إلى سليمان بن صرد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى سليمان بن صرد من سعد بن حذيفة ومن
قبله من المؤمنين ، سلام عليكم ، أما بعد : فقد قرأنا كتابك ، وفهمنا الذي
دعوتنا إليه ، من الأمر الذي عليه رأى الملا من إخوانك ، فقد هُدِيتَ
لِحُظِّكَ ، وُسِّرَتْ لِرُسْدِكَ ، ونَحْزَ جَادُونَ مُجِدُّونَ^(٣) ، مُعِدُّونَ مُسْرِجُونَ

(١) هلاك . (٢) عرفت ههنا ، كصرفت عروفا : رهدت فيه واصرفت عنه .

(٣) قال حذ في الأمر محمد بكسر الحاء وصمها ، وأحد : أي احبها ، وأسرحت الدابة : شدد عليها
السرح ، وألجمها : ألسنها اللحم .

مُلْجِمُونَ ، ننتظر الأمر ونستمع للداعى ، فإذا جاء الصَّريح^(١) أقبلنا ولم نُعْرج
إن شاء الله والسلام .

فلما قرأ كتابه سليمان بن صرد قرأه على أصحابه فسُرُّوا بذلك .

(تاريخ الطبرى ٧ : ٥١)

١١٦ - كتاب المثني بن محزبة إلى ابن صرد

وكتب ابن صرد إلى المثني بن محزبة العبدي نسخة الكتاب الذي كتب
به إلى سعد بن حذيفة ، فكتب إليه المثني :

« أما بعد : فقد رأيت كتابك ، وأقرأته إخوانك ، فحمدنا رأيك ،
واستجابوا لك ، فنحن مُوافوك « إن شاء الله » للأجل الذي ضربت ،
وفي الموطن الذي ذكرت ، والسلام عليك » .
وكتب في أسفل كتابه .

تَبَصَّرَ كَأَنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ مُعَلِّمًا عَلَى أَتْلَعَ الْهَادِيَ أَجَشَّ هَزِيمٍ^(٢)
طَوِيلِ الْقَرَأَنَهِدِ السَّوَاءِ مُقَاصِّ مُلِجٍّ عَلَى فَاسِ اللَّجَامِ أَزُومٍ^(٣)

(١) الصرع : المستعث (والمعبأ صا : صد) .

(٢) أعلم نفسه فهو معلم : وسمي الحرب ، وأعلم فرسه : على علمه صوفاء ملوًا في الحرب ،
على أبلغ الهادى : أى على مرس أبلغ الهادى ، والهادى : العنق ، وأبلغ وتادع : طويل العنق ،
وصف من اللع بالحررك وهو طول العنق ، وفعله كهرح وكرم ، والأحش : العليط الصوت من
الحيل (ومن الإنسان ومن الرعد وعمره) والهرم : الفرس الشديد الصوت (أى القوى الصوت) .

(٣) الفراء : الطهر والهد : الفرس الحسن الحمل اللحم المشرف . وسواء : الحل : دروته ،
فمعى همد السواء : مشرف الدروه ، وفى الأصل « السواء » نالين وهو بصيف ، ولما الوارد فى
كتب اللغة « السوى » مقصورا ، وشوى الفرس قوائمه ، وفرس مقلص : مشرف طويل القوائم مصم
الطن ، الفأس من الأحام : الخددة القائمة فى الحنك ، وأرم الفرس على فأس اللحام كصرب أزماء
وأروما فهو آرم وأروم : عس عليه وقس .

بِكُلِّ قَتَى لَا يَمْلَأُ الرُّوعُ نَحْرَهُ مُحْسٍ لَعَضَّ الحَرْبِ غَيْرِ سَتُومٍ^(١)
أَخِي ثِقَّةٍ يَنْوِي الإِلَهَ بِسَعْيِهِ ضَرْوبٍ بَنَصْلِ السَّيْفِ غَيْرِ أَيْمٍ
(تاريخ الطبري ٧ : ٥١)

١١٧ - كتاب عبد الله بن يزيد إلى ابن صرد

فلما استهلَّ هلال ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ خرج سليمان بن صرد في أصحابه إلى النخيلة، وبلغ ذلك عبد الله بن يزيد الأنصاري أمير الكوفة من قبل ابن الزبير - وكان ابن الزبير ولأه أميراً عليها على حربها وثورها، وولي إبراهيم ابن محمد بن طلحة بن عبيد الله أميراً على خراجها - فخرجوا إليه، وحاولوا أن يثنيآه عن رأيه فأبى، وأجمع القوم على الشّخص واستقبال عبيد الله بن زياد. ثم أدلج^(٢) ابن صرد عشية الجمعة لحس مضين من ربيع الآخر، وقد كتب إليه عبد الله بن يزيد:

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله بن يزيد إلى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين ، سلام عليكم ، أما بعدُ : فإن كتابي هذا إليكم كتابُ ناصح ذي إِرْعَاء^(٣) ، وكم من ناصح مُسْتَعَشَّ ، وكم من غاشٍ مُسْتَنْصَح مُحَبَّبٌ ، إنه بلغني أنكم تريدون المسير بالعدَدِ اليَسِيرِ إلى الجَمْعِ الكثير ، وإنه مَنْ يُرِدُ أَنْ يَنْقُلَ الْجِبَالَ عَنْ مَرَاتِبِهَا^(٤) تَكِلَ مَعَاوِلَهُ ، وَيُنْزِعَ وَهُوَ مَذْمُومٌ

(١) الروع : الفرع ، محس لعص الحرب : معناه أنه مدرب عليها قد اعتاد أن يحوض عمارها ، وأن يعضه ناهها ، والسُوم : الكثير السامة .

(٢) أدلج : سار من أول الليل ، فإن سار من آخره فادلج بالتشديد .

(٣) أرعى على أحبه : ألقى عليه .

(٤) المراتب : جمع مرتبة ، وهي المنزلة ، من رتب رتوباً إذا ثبت واستقر ولم يتحرك : أي عن أما كتبها التي رتبت بها ، وربما كان الأصل « عن مراسيها » .

العقل والفعل ، يا قومنا لا تُطِيعُوا عِدُوَّكُمْ فِي أَهْلِ بِلَادِكُمْ ، فَإِنَّكُمْ خِيَارُكُمْ ، وَمَتَى مَا يُصِيبُكُمْ عِدُوُّكُمْ يَعْلَمُوا أَنَّكُمْ أَعْلَامُ^(١) مُضِرِّكُمْ فَيُطْمَعُهُمْ ذَلِكَ فَيَمْنُ وَرَاءَكُمْ ، « يَا قَوْمَنَا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا^(٢) عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذْ أَبَدًا » يَا قَوْمَنَا إِنْ أَيْدِينَا وَأَيْدِيكُمْ الْيَوْمَ وَاحِدَةٌ ، وَإِنْ عِدُونَا وَعِدُوكُمْ وَاحِدٌ ، وَمَتَى تَجْتَمِعُ كُلُّنَا نَظْهَرُ عَلَى عِدُونَا ، وَمَتَى تَخْتَلِفُ تَهْنُ^(٣) شَوْكُنَا عَلَى مَنْ خَالَفَنَا ، يَا قَوْمَنَا لَا تَسْتَغِيثُوا نَصْحِي ، وَلَا تَخَالَفُوا أَمْرِي ، وَأَقْبِلُوا حِينَ يُقْرَأَ عَلَيْكُمْ كِتَابِي ، أَقْبِلْ اللَّهُ بِكُمْ إِلَى طَاعَتِهِ ، وَأَذْبَرْ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَتِهِ ، وَالسَّلَامُ . (تاريخ الطبري ٧ : ٧١)

١١٨ - رد ابن سرد عليه

فكتب إليه ابن سرد :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لِلْأَمِيرِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ مِنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُرْدٍ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ، سَلَامٌ عَلَيْكَ ، أَمَا بَعْدُ : فَقَدْ قَرَأْنَا كِتَابَكَ ، وَفَهِمْنَا مَا نَوَيْتَ ، فَنِعْمَ وَاللَّهُ الْوَالِي ، وَنِعْمَ الْأَمِيرُ ، وَنِعْمَ أَخُو الْعَشِيرَةِ ، أَنْتَ وَاللَّهُ مِنْ نَأْمَنَهُ بِالْغَيْبِ ، وَنَسْتَنْصِحُكَ فِي الْمَشُورَةِ ، وَنُحَمِّدُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، إِنْ سَمِعْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : « إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَغَدَاً عَلَيْهِ حَقٌّ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا

(١) جمع علم بالتعريك ، وهو سبب العوم . (٢) طهر عليه : عله .

(٣) تهن : تضعف ، والشوكة : شدة البأس .

يَبْنِعُكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ
الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ^(١) الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

إن القوم قد استبشروا بينعتهم التي بايعوا ، إنهم قد تابوا من عظيم
جُرمهم ، وقد توجهوا إلى الله ، وتوكلوا عليه ، ورَضُوا بما قضى الله ، « رَبَّنَا
عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ » والسلام عليك .

وسار ابن سرد بإصحابه حتى انتهى إلى عَيْنِ الْوَرْدَةِ^(٢) فنزل في غريبها ،
وأقبل عبيد الله بن زياد بجيشه ، ودارت رحى الحرب بين الفريقين ،
واستشهد^(٣) في المعركة سليمان بن سرد بعد أن قتل من القوم مقتلة عظيمة ،
وقتل أيضاً كثير من رموس أصحابه ، فلما رأى من بقي من التَّوَابِينَ أَنَّ
لا طاقةَ لهم بمن يَازِئُهُمْ من أهل الشام انحازوا عنهم وارتحلوا وعليهم رِفَاعَةُ
ابن شَدَّادِ الْبَجَلِيِّ ، وكان ذلك في ربيع الآخر سنة ٦٥ هـ .

(تاريخ الطبري ٧ : ٧٢)

(١) السائح : الصائم الملام للمساجد .

(٢) هي رأس العين : بلد في وسط الجزيرة . (٣) استشهد : قتل في سبيل الله .

طلب المختار بن أبي عبيد الثقفي

بدم الحسين رضى الله عنه

١١٩ - كتاب المختار إلى عبد الله بن عمر

وقدِم المختار بن أبي عبيد الثقفي^(١) الكوفة في رمضان سنة ٦٤ هـ ،
فأتاه بعض الشيعة ليلاً ، فسأله عن أمر الناس ، وعن حال الشيعة ، فقالوا
له : إن الشيعة قد اجتمعت لسليمان بن صرد الخزاعي ، وإنه لن يلبث يسيراً
حتى يخرج ، فجعل يزعم لهم أن محمد بن الحنفية قد بعثه إليهم أميناً ووزيراً ،

(١) هو المختار بن أبي عبيد بن مسعود الثقفي ، وقد كان لأسرة أبي عبيد شأن عظيم في فتح فارس ،
فإن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين ولي الخلافة ، كان أول ما عمل به أن يدب الناس مع النبي بن
حارثة الشامي لقال أهل فارس ، وجعل يديهم ثلاثة أيام فلا «تدب أحد إلى فارس» - وكان وجه
فارس من أكره الوحوه إليهم وأقلها عليهم - فلما كان اليوم الرابع عاد فندب الناس ، فكان
أول مسد أبو عبيد والمختار ، وقد أتى أبو عبيد في فتح فارس نلاء حسا حتى مات في وقعة الجسر
وولد انه المختار في السنة الأولى من الهجرة ، ولم يكن المختار في تسعة لآل علي بالخلص ، وكانت
الشيعة تنعم عليه ما كان منه في أمر الحسن بن علي رضى الله عنه يوم طعن في مظلم ساناط وحمل إلى
المدائن - وكان عم المختار وهو سعد بن مسعود عاملاً له على المدائن - فقال المختار لعنه : هل لك في
العي والمرف ؟ قال : وما ذاك ؟ قال : بوثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية ، فقال له سعد : عليك
لعنة الله ، أثبت على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثقه ! ثنس الرجل أنت ! ولما قدم
مسلم بن عبيد الكوفة من قبل الحسين رضى الله عنه ، نزل دار المختار ، فبايعه المختار فيمن بايعه من
أهل الكوفة وناصحه ودعا إليه ، ثم طهر ابن زياد بمسلم وقتله ، وأمر بالمختار فسخن ، فبعث المختار
إلى عبد الله بن عمر بالمدينة ، سألته أن يتفق له عند يزيد بن معاوية : - وكانت صفية أخت المختار
تحت عبد الله بن عمر - . فكتب ابن عمر إلى يزيد بن معاوية فشفعه ، وخطى ابن زياد سبيله ، وأخرجه
من الكوفة ، فهدم الحجاز وبايع عبد الله بن الزبير ، وقاتل معه حين حاصر مكة جيش يزيد تحت
إمرة الحصين بن نمير ، وأقام مع ابن الزبير بعد مهلك يزيد ، حتى قدم الكوفة في منتصف رمضان
سنة ٦٤ هـ .

وأنه أمره بقتال الملّحين والطلب بدماء أهل بيته ، وما زال حتى استمال طائفة من الشيعة ، وعظمهم يومئذ مع ابن صرد :
 فلما خرج ابن صرد نحو الجزيرة - خاف عبد الله بن يزيد الأنصارى وإبراهيم بن محمد بن طلحة أميرا الكوفة أن يثب عليهما المختار ، فزجّاه^(١) في السجن ، فكتب المختار إلى صهره عبد الله بن عمر بن الخطاب :
 « أما بعد : فإنني قد حبستُ مظلوماً ، وظن بي الولاية ظنوناً كاذبة ،
 فكتب في « يرحمك الله » إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً ، عسى الله أن
 يخلصني من أيديهما ، بلطفك وبرّكتك وميثقك ، والسلام عليك .
 (تاريخ الطبري ٧ : ٩٣)

١٢٠ - كتاب ابن عمر إلى عبد الله بن يزيد

وإبراهيم بن طلحة

فكتب عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن يزيد ، وإبراهيم بن محمد بن طلحة :
 « أما بعد : فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهر ،
 والذي بيني وبينكما من الود ، فأقسمتُ عليكما بحق ما بيني وبينكما لما خلتما
 سبيله حين تنظران في كتابي هذا ، والسلام عليكما ورحمة الله .
 فلما أتاهما كتابُ ابن عمر ، دَعَوَا للمختار بكفلاء يَضْمَنُونَهُ بنفسه ،
 فأتاه أناس من أصحابه كثير فضمنوه ، فدعوا به خلفاء بالله الذي لا إله إلا هو
 عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم : لا يَبْغِيهما غائلةً ، ولا يخرج عليهما

نَمَا كَانَ لهُمَا سُلْطَانٌ ، فَإِنْ هُوَ فَعَلَ فَعَلِيهِ أَلْفَ بَدَنَةٍ يَنْتَحِرُهَا لَدَى رِتَاجٍ^(١) ،
الْكُعْبَةِ ، وَمَمَالِكُهُ كُلُّهُمْ ذَكَرَهُمْ وَأَتَمَّاهُمْ أَحْرَارٌ ، خَلَفَ لهُمَا بِذَلِكَ^(٢) ،
فَأُطْلِقَاهُ مِنَ السَّجْنِ » . (تاريخ الطبري ٧ : ٩٣)

١٢١ - كتاب المختار إلى أصحاب ابن سرد

وكتب المختار وهو في سجنه إلى أصحاب سليمان بن صُرَد حين قَدِمُوا
من قتال عبيد الله بن زياد :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ أَعْظَمَ لَكُمْ الْأَجَرَ ، وَحَطَّ عَنْكُمْ الْوِزْرَ ، بِمُفَارَقَةِ
الْقَاسِطِينَ ، وَجِهَادِ الْمُحِلِّينَ ، إِنَّكُمْ لَمْ تُنْفِقُوا نَفَقَةً ، وَلَمْ تَقْطَعُوا عَقَبَةً^(٣) ، وَلَمْ
تَخْطُوا خُطْوَةً ، إِلَّا رَفَعَ اللَّهُ لَكُمْ بِهَا دَرَجَةً ، وَكُتِبَ لَكُمْ بِهَا حَسَنَةٌ ، إِلَى
مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللَّهُ مِنَ التَّضْعِيفِ ، فَأَبْشِرُوا ، فَإِنِّي لَوْ قَدْ خَرَجْتُ إِلَيْكُمْ قَدْ
جَرَدْتُ فِيمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ فِي عَدُوِّكُمْ السَّيْفَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، فَجَعَلْتُمْ بِإِذْنِ
اللَّهِ رُكَّامًا^(٤) ، وَقَتَلْتُمْهُمْ فَذًا وَتَوَّءَمَا^(٥) ، فَرَحَّبَ اللَّهُ بَيْنَ قَارِبٍ مِنْكُمْ وَاهْتَدَى ،
وَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ إِلَّا مَنْ عَصَى وَأَبَى ، وَالسَّلَامُ يَا أَهْلَ الْهَدَى »

(١) الرتاج : الباب العظيم .

(٢) وكان المختار مد ذلك هول : « قال لهم الله ما أحقهم حين يرون أني أفي لهم بأيمانهم هذه ؟
أما حلفي لهم بالله فإنه نبي لي إذا حلفت على يمين فرأيت ما هو خير منها أن أدع ما حلفت عليه وآتي
الذي هو خير وأكفر يميني ، وخرسوا عليهم خير من كفي عنهم وأكفر يميني ، وأما هدى ألف
بدنة ، فهو أهول علي من بصقة ، وما ثمن ألف بدنة فيهولي ؟ وأما عني ممالكي فوالله لوددت
أنه قد استتب لي أمري ، ثم لم أملك مملوكا أبداً » .

(٣) العقبة : المرق الصعب في الجبل .

(٤) متراكمين بعضهم ملق فوق بعض . (٥) أى فردا وروجا .

فبعثوا إليه رسولا منهم فقالوا : قل له قد قرأنا الكتاب ، ونحن بحيثُ
يَسْرُكُ ، فإن شئتَ أن نأتيك حتى نُخرجك فعلنا ، فأثاه فدخل عليه السجن
فأخبره بما أرسل به إليه ، فسرّ باجتماع الشيعة له ، وقال لهم : لا تريدوا
هذا ، فإني أخرج في أيامي هذه . (تاريخ الطرى ٧ : ٩٣)

١٢٢ - كتاب إلى إبراهيم بن مالك الأشتر

افتعله المختار على محمد بن الحنفية

واختلفت الشيعة إلى المختار بعد خروجه من السجن ، واجتمعت عليه ،
واتفق رأيها على الرضا به ، ولم يزل أصحابه يكدرون ، وأمره يقوى ويشد
حتى عزل ابن الزبير عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة عن الكوفة ،
وبعث على عملهما عبد الله بن مطيع العدوى ، لحس بقين من رمضان سنة ٦٥ هـ
وساورت الشيعة ربةً فيما ادعاه المختار من أن ابن الحنفية بعث به
إليهم ، فأوفدوا وفداً منهم إلى ابن الحنفية يستنبت منه ، فقالوا له : إن
المختار قد قدم علينا وهو يزعم أنه جاءنا من تلقائكم ، وقد دعانا إلى الطلب
بدماء أهل البيت ، فبايعناه على ذلك ، فإن أمرتنا بانباعه اتبعناه ، وإن نهيتنا
عنه اجتنبناه ، فقال لهم : أما ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب
بدمائنا ، فوالله لو ددْتُ أن الله انتصر لنا من عدونا بمن شاء من خلقه ،
نفرجوا من عنده وهم يقولون ، فدأذن لنا ، فد قال : لو ددت أن الله انتصر

لنا ... ولو كره لقال : لا تفعلوا ، وجاءوا المختار فقالوا : قد أمرنا بنصرتك ، فكبر واستبشر ، واستجمعت له الشيعة وحَدِثَتْ^(١) عليه :

ودعا أصحاب المختار إبراهيم بن الأشر أن ينضم إلى زمرتهم ، فقال لهم : إني قد أجبتكم إلى ما دعوتوني إليه من الطلب بدم الحسين ، وأهل بيته ، على أن تولوني الأمر ، فقالوا : هذا المختار قد جاءنا من قبل المهديّ ، وهو الرسول ، والمأمور بالقتال ، وقد أمرنا بطاعته فلم يجبههم ابن الأشر ، فانصرفوا إلى المختار ، فأخبروه بما ردّ عليهم ، فسار المختار إلى ابن الأشر فقال له : هذا كتاب إليك من المهديّ محمد بن أمير المؤمنين الوصيّ يسألك أن تنصرنا وتوازرنا ، فإن فعلت أغتبطت ، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجة عليك ، ودفع إليه الكتاب ، ففرض خاتمه وقراه فإذا فيه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد المهديّ إلى إبراهيم بن مالك الأشر ، سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإني قد بعثتُ إليكم بوزيري ، وأميني ونجيب^(٢) الذي ارتضيتُه لنفسى ، وقد أمرته بقتال عدوى ، والطلب بدماء أهل بيتي ، فانهضْ معه بنفسك وعشبرتك ومن أطاعك ، فإنك لو نصرتنى ، وأجبت دعوتي ، وساعدتَ وزيري ، كانت لك عندي بذلك فضيلةٌ ، ولك بذلك أعنةُ الحيل^(٣) وكل جيش غازٍ ، وكل مِصرٍ ، ومِنْبَرٍ ، ونَعْرٍ ظَهَرَتْ عليه فيما بين الكوفة وأقصى بلاد أهل الشام ، على الوفاء بذلك ، على عهد الله ، فإن فعلتَ ذلك نلتَ به

(١) عطف . (٢) الدحيب : المتحِبُّ أي المختار ، اسحب فلان فلانا إذا استحاضه واصطفاه اختياراً على غيره . (٣) أي وليت القادة .

عند الله أفضل الكرامة ، وإن أبيت هلكت هلاكاً لا تستقيله أبداً ،
والسلام عليك .

فلما قضى إبراهيم قراءة الكتاب قال : قد كتب إليّ ابن الحنفية ، وقد
كتبت إليه قبل اليوم ، فما كان يكتب إليّ إلا باسمه واسم أبيه ، قال له
المختار : إن ذلك زمان وهذا زمان ، قال إبراهيم : فمن يعلم أن هذا كتاب
ابن الحنفية إليّ ؟ فقال أصحاب المختار : نشهد أن هذا كتاب محمد بن عليّ
إليك ، فقال إبراهيم للمختار : ابسط يدك أبياعك ، فبسط المختار يده ،
فبايعه إبراهيم .

وجعل المختار وأصحابه يدبّرون أمورهم حتى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا
ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأول سنة ٦٦ هـ ، فاروا بالكوفة
وقاتلوا جند ابن مطيع فهزموهم ، وحصر ابن مطيع حتى اشتد عليه الحصار
فهرب إلى البصرة ، وخلّص الأمر للمختار فبايعه الناس ، وغلب على
الكوفة^(١) .

(تاريخ الطبري ٧ : ٩٩ . و تاريخ الكامل لابن الأثير ٤ : ٨٤)

(١) قال المسعودي في مروج الذهب (ح ٢ : ص ٩٨) « وأخرج المحار بن مطيع وعلم على
الكوفة ، وادى اسمه داراً ، واحد ستاً أهق عليه أموالاً عظيمة أخرجها من بيت المال ، ووفر
الأموال على الناس بها تفرقه واسعه ، وكتب إلى ابن الزبير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع من
الكوفة لحره عن القيام بها ، ويسوم ابن الزبير أن يحسب له بما أمّعه من بيت المال ، فأبى ابن الزبير
ذلك عليه ، فخام المحار طاعته وحجده معه » .

١٣٣ — كتاب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى المختار

وكان مروان بن الحكم قد بوع بالخلافة بالشام « ثلاث خلون من ذى القعدة سنة ٦٤ هـ) فلما استوثقت له الشام بالطاعة ، بعث جيشاً إلى المراق عليه عبيد الله بن زياد ، وجعل له إذ وجهه إلى المراق ما غلب عليه ، وأمره أن ينهب^(١) الكوفة إذا هو ظفر بأهلها ثلاثاً ، وكان من أمره وأمر التوايين بعين الورد ما قدمنا ، ثم إنه أقبل إلى الموصل ، فكتب عبد الرحمن ابن سعيد بن قيس حامل المختار على الموصل إلى المختار :

« أما بعد : فإني أخبرك أيها الأمير أن عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل ، وقد وجه قبلي خيله ورجاله ، وإني انحزت إلى « تكريت » حتى يأتيني رأيك وأمرك ، والسلام عليك » . (تاريخ الطبري ٦ : ١١٣)

١٣٤ — رد المختار على عبد الرحمن بن سعيد

فكتب إليه المختار :

« أما بعد : فقد بلغني كتابك ، وفهمت كل ما ذكرت فيه ، فقد أصبت بانحيازك إلى « تكريت » فلا تبرحن مكانك الذي أنت به حتى يأتيك أمرى إن شاء الله ، والسلام عليك » . (تاريخ الطبري ٧ : ١١٣)

(١) أى عطلها نهياً سار عليه .

١٢٥ - كتاب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد

ودعا المختار يزيد بن أنس ، فوجهه إلى الموصل ، وكتب إلى عبد الرحمن
أبن قيس بن سعيد :

« أما بعدُ : نخلّ بين يزيد وبين البلاد إن شاء الله ، والسلام عليك »
وفصلَ يزيدُ بن أنس من الكوفة على رأس جيش انتخبه ، وسار إلى
الموصل ، فقاتل جيش ابن زياد وهزمه .
تم سیر المختار إلى ابن زياد جيشاً عليه إبراهيم بن الأشتر ، فالتقى به على
شاطئ نهر خازر من أرض الموصل ، ودارت الدائرة على ابن زياد ، وقتله
ابن الأشتر ، وكان ذلك سنة ٦٧ هـ .

١٢٦ - كتاب المختار بالأمان لعمر بن سعد بن أبي وقاص

ووثب المختار سنة ٦٦ هـ بمن كان بالكوفة من قتل الحسين رضي الله
عنه والمشايعين على قتله ، فقتل من قَدَر عليه منهم ، وهرب من الكوفة
بعضهم فلم يقدر عليه .

وكان عبد الله بن جعدة بن هبيرة أكرم خلق الله على المختار لقربته
بعلى^(١) ، فكلم عمر بن سعد بن أبي وقاص عبد الله بن جعدة ، وقال له : إني
لا آمن هذا الرجل - يعني المختار - نخذلى منه أماناً ففعل ، وكتب له :

(١) كانت أم جعدة أم هانئ ماتت أي طالب أخت علي بن أبي طالب عليه السلام : (تاريخ
الطريق ج ٧ : ص ١٤١) .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا أمانٌ من المختار بن أبي عبيد لعمرو ابن سعد بن أبي وقاص ، إنك آمنٌ بأمان الله على نفسك ومالك ، وأهلك وأهل بيتك وولدك ، لا تؤاخذُ بِمَحْدَثٍ كان منك قديماً ، ما سمعتَ وأطعت ، ولزمتَ رحلك ، وأهلك ومضرك ، فمن لقي عمر بن سعد من شُرطة^(١) الله وشيعة آل محمد ، ومن غيرهم من الناس ، فلا يعرض له إلا بخير .

شهد السائب بن مالك ، وأحمر بن شبيب ، وعبد الله بن شداد ، وعبد الله بن كامل ، وجعل المختار على نفسه عهداً الله وميثاقه ليقيناً لعمرو ابن سعد بما أعطاه من الأمان ، إلا أن يُحدثَ حَدَثاً^(٢) ، وأشهد الله على نفسه ، وكفى بالله شهيداً » . (تاريخ الطبري ٧ : ١٢٦)

١٢٧ — كتاب المختار إلى محمد بن الحنفية

ولم يَرَعِ المختار هذا العهد ، فقتل عمر بن سعد وابنه حفص بن عمر ، وبعث برأسيهما إلى محمد بن الحنفية وكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، للمهدي محمد بن علي من المختار بن أبي عبيد ، سلام عليك يأيها المهدي ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإن الله بعثنى نعمةً على أعدائكم ، فهم بين قتيل وأسير وطريد

(١) شرط السلطان : محه أصحابه الذين بعدهم على غيرهم من حده ، والمعنى هنا : من أولياء الله وأصحاب دمه الذين يقدمهم على غيرهم من عاده .

(٢) وكان أبو حمزة محمد بن علي يقول : « أما أمان المختار لعمرو بن سعد إلا أن يحدث حدثاً ، فإنه كان يريد به إذا دخل الحلاء فأحدث » .

وشريد ، فالحمد لله الذى قتل قاتليكم ، ونَصَرَ مُؤَاوِزِيَكُمْ^(١) ، وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه ، وقد قتلنا من شَرِكَ فى دم الحسين وأهل بيته « رحمة الله عليهم » كلٌّ من قَدَرْنَا عليه ، ولن يُعْجِزَ الله من بقى ، ولست بِمُنْجِمٍ^(٢) عنهم حتى لا يبلُغنى أَنَّ على أديم الأرض منهم إرَمِيًّا^(٣) ، فاكتب إلى أيها المهدي برأيك أَتَبِعُهُ وَأَكُونُ عليه ، والسلام عليك أيها المهدي ورحمة الله وبركاته .

(تاريخ الطبرى ٧ : ١٢٧)

١٢٨ - كتاب المختار إلى مالك بن مسمع وزيايد بن عمرو

وكان المثنى بن مُخَرَّبَةَ العَبْدِيُّ ممن بايع المختار ، فقال له المختار : اَلْحَقْ ببلدك بالبصرة ، فاذعُ الناس ، وأسِرَّ أمرك ، فَقَدِمَ البصرة فدعا ، فأجابه رجال من قومه وغيرهم ، فوجهَ إليهم أمير البصرة الحارثُ بن عبد الله عَبَادَ بْنَ حُصَيْنٍ ، فهزمهم وحوى ما كان فى مُعَسَّكِرهم ، ولأذ المثنى وأصحابه بعبد القيس فنعوهم وأبوا أن يسلموهم ، فأرسل الأميرُ الأحنفَ بن قيس ليُصلحَ أمر الناس ، فَأَتَى عَبْدَ الْقَيْسِ فقال لهم : أَلَسْتُمْ على بَيْعَةِ ابْنِ الزبير ؟ قالوا : بَلَى ، ولكننا لا نَسَلُّ إِخْوَانَنَا ، قال : فُروهم فليخرجوا إلى أى بلاد أحبُّوا ، ولا يُفْسِدُوا هذا المِصْرَ على أهلِهِ ، وهم آمِنون فليخرجوا حيث شاءوا ، فمشى مالك بن مِسمَع ، وزيايد بن عمرو ، ووجوه أصحابهم إلى المثنى ، فأشاروا

(١) المؤازر : المساعد والمعين . (٢) أ-م : أفلح .
(٣) أى أحدًا ، يقال ما بالدار أرم بالحرك ، وأريم : كأمر . وإرمى : كعبي ، وعرك ، أوبرى ، وبكسر أوله : أى أحد .

عليه أن يَلْحَقَ بصاحبه المختار ، فقبل قولهما ، وشخص إلى المختار بالكوفة ، وأخبره حين قدم عليه بما كان من أمر مالك بن مسمع ، وزباد بن عمرو ، ومسيرهما إليه وذبيهما عنه حين شخص عن البصرة ، فطعم المختار فيهما ، فكتب إليهما :

« أما بعد : فاستمعا وأطيعا أو تكما من الدنيا ما شئتما ، وأضمن لكما الجنة » فقال مالك لزباد : يا أبا المغيرة ، فدأ كثر لنا أبو إسحاق^(١) إعطاءنا الدنيا والآخرة ، فقال زياد مازحا لمالك : يا أبا غسان ، أمّا أنا فلا أقاتل نسيئة^(٢) ، من أعطانا الدراهم قاتلنا معه . (تاريخ الطرى ٧ : ١٠١)

١٢٩ — كتاب المختار إلى الأحنف بن قيس

وكتب المختار إلى الأحنف بن قيس :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من المختار بن أبي عبيد إلى الأحنف ابن فيس ، ومن قبله ، فسلم أنتم ، أما بعد : فويل أم^(٣) رسة من مضر ،

(١) كيه المختار .

(٢) الدسمة : الأحر ، قال : عنه دسمة : أى أحره ، وسأه السع وأسأه : أحره .

(٣) يقال فى المستعاد : « وله » . بحاميه ، وأصله ون لأمه خدم الام اكرا فى الكلام ، وخدمت المذمة من أمه محييا وأهيب حركها على الام ، ثم ركوه وحطوه كاسى الواحد وهو مدح خرج بلفظ الدم ، كما يقولون : أحرأه الله ما أسعره ، وله الله ما أسعته ، وفى لحديث قوله لأبني نصر : « وله مسعر حرب » . محمأ من شجاعه وجأه وإقدامه — ومسعر حرب ككبر أى موفد بارها ، من سحر النار والحرب كنع : أوقدها — وقول المسار : « ول ام رسة » . يقصد به مدح عبد القاس ، وهم من رسة — فهم بنو عبد القاس بن حنبله بن أسد ابن ربيعة — لما كان مهم من إيواء داعيه المني بن محربة العبدى والدب عنه ، وقوله « من مصر » يعنى أنه يمدح ردية ، ويفضلها على مصر ، فقصده الألف بن قيس ، وهو من عم وعم من مصر : — فهم بنو عم بن طاعة بن إلماس بن مصر — . لما كان من الأحنف فى أمر المني .

فإن الأحنف مُورِدُ قومه سَقَر^(١) ، حيث لا يستطيع لهم الصِّدَر^(٢) ، وإنى
لا أملك ما خُطَّ في القَدَر ، وقد بلغنى أنكم تسموننى كذابا ، وإن كُذِّبْتُ
فقد كُذِّبْتُ رُسُل من قبلى ، ولست بخير من كثير منهم^(٣) .
(تاريخ الطبرى ٧ : ١٣١ - ١٣٢ ، والعقد الفريد ٢ ، ٢٦٥)

(١) سقر : جهنم . (٢) الصدر : الرجوع .
(٣) قال ابن عسدره في العقد الفريد ج ٢ : ص ٢٦٥ : « وجعل المختار يتتبع قتلة الحسين
ابن على ومن خذله ، فقتلهم أجمعين ، فلما أفتام دانت له العراق ، ولم يكن صادق النية ولا صحيح
المذهب ، ولما أراد أن يستأصل الناس ، فلما أدرك نفيته أظهر للناس قبح نيته ، فادعى أن
جبريل يُنزل عليه ، ويأتيه بالوحى من الله ، وكتب إلى أهل البصرة : « بلغنى أنكم تكذبونى
وتكذبون رسلى ، وقد كذبت الأنبياء من قبلى ، ولست بخير من كثير منهم » . وقال : « ج ٢ :
ص ٢٧٠ » . لما قتل الحجاج ابن الربيع ومنع أمه أسماء أن تدفنه . قالت : أما لى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول : « مخرج من نيف رجلان : الكذاب والمدير » . (أى المهلك) فأما
الكذاب فالمختار ، وأما المدير فأنت ، فقال الحجاج : اللهم مدير لا كذاب . وقال المبرد فى الكامل :
« ج ٢ : ص ١٦٧ » . وكان المختار لا يوقف له على مذهب ، كان خارجيا ، ثم صار زيريا ، ثم
صار رافضيا فى ظاهره ، وكان يدعى أنه يلهم صريا من السجاعة لأمر تكون ، ثم يحتال فيوقعها ،
فيقول للناس : هذا من عبد الله عز وجل ، فمن ذلك قوله ذات يوم : « لتزلن من السماء نار
دهاء ، وتلحق دار أسماء » . فذكر ذلك لأسماء بن خارجة ، فقال : أو قد سمع بنى أبو إسحاق
هو والله محرق دارى ، فتركة والدار وهرب من الكوفة ، وقال فى بعض سمعه : « أما والذى شرع
الأديان ، وجنب الأولاد ، وكره العصيان ، لأقتلن أردعاً ، وجلّ قيس عيلان ، وتبما أولياء
الشیطان ، حاشا النحيب طيان » . فكان طيان النحيب يقول : لم أرل فى عمر المختار أنقلب آسما .
وخرج ينسب لإبراهيم بن الأشتر حين شخص لقتال عبيد الله بن زياد ، فقال للناس : « إن
استقمتم فبصر الله ، وإن حصتم حيصه » فأتى أحد فى محكم الكتاب ، وفى اليقين والصواب ، أن
الله مؤيدكم بملائكة عضاب ، تأتي فى صور الحمام دوين السحاب » . أى قريبا منه ، وكان قد دفع
إلى قوم من حاصته حماما يصا ضخاما ، وقال لهم : إن رأيتم الأمر لنا فدعوها ، وإن رأيتم الأمر
عليا فأرسلوها » . فلما التموا كانت على أصحاب إبراهيم الدائرة فى أول النهار ، فأرسل أصحاب
المختار الطير ، فتصاعح الناس : الملائكة ! فتراحوا واقتتل الناس حتى اختلط الظلام ، وأسرع القتل
فى أصحاب ابن زياد تم اكشفوا ، ووضع السيف فيهم حتى أموا : « الكامل للمردج ٢ :
ص ١٦٩ » .

وفال الصهرستانى فى المال والنحل : « ١ : ١٥٣ » . ومن مذهب المختار أنه ينوز البدء على
الله تعالى ، والبدء له معان : البدء فى العلم ، وهو أن يظهر له خلاف ما علم ، والبدء فى الإرادة ،
وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم ، والبدء فى الأمر ، وهو أن يأمر بشئ ، ثم
يأمر بعده بخلاف ذلك ، ولما صار المختار إلى اختيار المول بالبدء ، لأنه كان يدعى علم ما يحدث

١٣٠ - كتاب المختار إلى ابن الزبير

ولما استَجَمَعَ الأمرُ للمختار بالكوفة - وهو عند الشيعة إنما يدعو إلى ابن الحنفية ، والطلب بدماء أهل البيت - أخذ يخادع ابن الزبير ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد عرفتُ مُناصحتي إياك ، وجهدي على أهل عداوتك ، وما كنتُ أعطيتني - إذا أنا فعلت ذلك - من نفسك ، فلما وفيتُ لك وقضيتُ الذي كان لك عليّ ، خست^(١) بي ولم تفِّ بما عاهدتني عليه^(٢) ،

من الأحوال ، إما بوحى يوحى إليه ، وإما برسالة من قبل الامام (ابن الحنفية) - وكان إذا وعد أصحابه بكون شيء وحدوث حادثة ، فإن وافق كونه قوله جعله دليلاً على صدق دعواه ، وإن لم يوافق قال قد بدا لربكم ، وقد تراء ابن الحنفية مه حين وصل إليه أنه قد لس على الناس بأنه من دعائه ورجاله ، وتبرأ من الضلالات التي ابتدعها من التأويلات الفاسدة ، والمحاريق الموهمة ، من محاريقه أنه كان عنده كرسى قديم قد عشاها بالدياب ورينة بأنواع الرينة ، وقال : هذا من ذخائر أمير المؤمنين على عليه السلام ، وهو عندنا بمنزلة الثابوت لبي إسرائيل ، فكان إذا حارب خصومه يضعه في براح الصف ، ويقول : « قابلوا ولكم الطفر والبصرة ، وهذا الكرسي محله فيكم محل الثابوت في بي إسرائيل ، وفيه السكنة والبقية ، والملائكة من فوقكم ينزلون مددا لكم » . - أخذنا من قوله تعالى : « وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ، وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ » . ويقال إنه اشتراه من نجار بدرهمين - اطر قصته في تاريخ الطبري : (٧ : ١٤٠) . والكامل للمبرد : (٢ : ١٧٠) .

(١) حاس بالعهد يحبس : عذر وبكت .

(٢) وذلك أن المختار لما أطلقه ابن زياد من سجنه حرح إلى الحجاز ، فلى ابن الزبير ، فقال له : إني قد حثك لأبياعك ، على أن لا تهضي الأمور دوني ، وعلى أن أكون في أول من تأذن له ، وإذا طهرت استعمت بي على أفضل عمالك ، فقال له ابن الزبير : أبايعك على كتاب الله وسمه نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقال : وشر علماني أنت مبايعه على كتاب الله وسمه نبيه صلى الله عليه وسلم ! لا والله لا أبايعك أبداً إلا على هذه الحصال ، قال عباس بن سهل : فالتقمت أذن ابن الزبير ، فقلت له :

ورأيت منى ما قد رأيت ، فإن تُرد مُراجعتى أراجِعك ، وإن تُرد مناصحتى أنصح لك :

وهو يريد بذلك كفه عنه حتى يستجمع له الأمر ، وهو لا يُطلع الشيعة على شيء من هذا الأمر ، وإذا بلغهم شيء منه أراهم أنه أبعد الناس عن ذلك » . (تاريخ الطبرى ٧ : ١٣٣)

١٣١ - كتاب المختار إلى ابن الزبير

وقال أبو العباس المبرّد فى الكامل :

« ويروى أن المختار بن أبى عبيد حيث كان والياً لابن الزبير على الكوفة^(١) ، اتهمه ابن الزبير ، فولّى رجلاً من قريش الكوفة ، فلما أطلّ قال لجماعة من أهلها : اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه ، فخرجوا إليه فقالوا : أين تريد ؟ والله لئن دخلت الكوفة ليقْتلَنَّك المختار ، فرجع ، وكتب المختار إلى ابن الزبير :

اشترمه دمه حتى رى من رأيت ، فقال له ابن الزبير : فإن لك ما سألته ، فاسط يده فباعه وقابل معه جند حصين بن نمير حين حاصر مكة ، فكان من أحسن الناس بلاء ، وأعظمهم عناء . تاريخ الطبرى ج ٧ : ص ٦١ .

وأقام المختار مع ابن الزبير حتى هلك يريد وافضى الحصار ، ورجع جند حصين إلى الشام ، واصطاح أهل الكوفة على عاصم بن مسعود بعد ما هلك يريد بصلّى بهم حتى يجتمع الناس على إمام يرضونه ، فلم يلبث عاصم إلا شهراً حتى نعت ببغته وبيعه أهل الكوفة إلى ابن الزبير ، فبعث عبد الله ابن مرد الأنصارى وإبراهيم بن محمد بن طلحة أميرين على الكوفة ، ثم عبد الله بن طيع ، وكذلك ولى على البصرة ولادة كما قدما ، ولم يول الحمار كما كان يسطر .

(١) هكذا يروى أبو العباس ، ولكن المختار لم يكن والياً لابن الزبير على الكوفة ، وإنما غلب عليها وأخرج منها عبد الله بن مطيع عامل ابن الزبير كما قدما .

« إن صاحبك جاءنا ، فلما قَارَبْنَا رَجْعَ ، فما أدري ما الذي رَدَّه ؟ » .
 فعَضِبَ ابن الزبير على القرشي وعَجَّزه وِرَدَّه إلى الكوفة ، فلما شارَفَهَا
 قال المختار : اخرجوا إلى هذا المغرور فردوه ، فخرجوا إليه ، فقالوا : إنه والله
 قَاتَلُكَ ، فرجع ، وكتب المختار إلى ابن الزبير بمثل كتابه الأول ، فلام
 القرشي ، فلما كان في الثالثة فَطِنَ^(١) ابن الزبير ، وعلم بذلك المختار^(٢) .
 فلما رأى المختار أن ابن الزبير قد فطن لما أراد ، كتب إليه :
 من المختار بن أبي عبيد الثقفي خليفة الوصي محمد بن علي أمير المؤمنين ،
 إلى عبد الله بن أسماء .
 ثم ملأ الكتاب بسبه وسب أبيه . (الكامل للبرد ٢ : ١٦٧)

(١) فطن به وإليه وله كفرح وصر وكرم .

(٢) وروى الطبري في هذا الصدد قال :

وأراد ابن الزبير أن يعلم أسلم هو أم حرب ؟ (أى المختار) : فدعا عمر بن عبد الرحمن بن الحارث
 ابن هشام الخزومي ، فقال له : تجهز إلى الكوفة فقد وائناكها ، فقال : كيف وبها المختار ؟ قال :
 لأنه يزعم أنه سامع مطيع ، فتحهر بما بين الثلاثين ألف درهم إلى الأرسين ألها ، ثم خرج مقبلا إلى
 الكوفة ، وجاء عين المختار من مكة فأخبره الخبر ، فقال له : بكم تجهز ؟ قال بما بين الثلاثين ألفا
 إلى الأرسين ألها ، فدعا المختار زائدة بن قدامة ، وقال له : احمل معك ستمين ألف درهم ، صنف
 ما أنفق هذا في مسيره إلينا ، وتلقه في المماوز ، وأخرج معك مسافرين سعيده الناعطي في خمسمائة
 فارس دارع راجح عليهم البيض ، ثم قل له : خذ هذه الفقه فانها ضعف فعتك ، فإنه قد بلغنا أنك
 تجهزت وتكلفت قدر ذلك ، فسكرها أن نغرم نخذها وانصرف ، فإن فعل ، ولأنا فأره الحيل ،
 وقل له : إن وراء هؤلاء مثلهم مائة كتيبة ، فأخذ زائدة المال ، وأخرج معه الحيل وتلقاه بالمماوز ،
 وعرض عليه المال وأمره بالانصراف ، فقال له : إن أمير المؤمنين قد ولاني الكوفة ، ولا بد من
 لهاذا أمره ، فدعا زائدة الحيل ، وقد أكنها في جانب ، فلما رآها قد أقبلت . قال : هذا الآن أعذرني ،
 وأحمل بي ، هات المال ، فقال له زائدة ، أما إنه لم يبعث به إليك إلا لما بينك وبينه ، فدفعه إليه
 فأخذه ، ثم مضى راجعا نحو البصرة — تاريخ الطبري ٧ : ١٣٣ .

١٣٢ - كتاب المختار إلى ابن الزبير

وأخبر المختار أن أهل الشام قد أقبلوا نحو العراق ، نخشى أن يأتيه أهل الشام من قبل المغرب ، ويأتيه مُصْعَب بن الزبير من قبل البصرة ، فوادع ابن الزبير ، وداراه وكأيده .

وكان عبد الملك بن مروان - وقد بويع بالخلافة في غرة رمضان سنة ٦٥ هـ - بعث عبد الملك بن الحارث بن الحَكَم بن أبي العاص إلى وادي القرى ، والمختار لابن الزبير مكايِدُ مُوَادِع ، فكتب المختار إلى ابن الزبير :

« أما بعدُ : فقد بلغني أن عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشاً ، فإن أحببت أن أمِدَّكَ بِمَدَدٍ أَمَدَّتْكَ » .

١٣٣ - رد ابن الزبير على المختار

فكتب إليه ابن الزبير :

« أما بعدُ : فإن كنت على طاعتي فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادى ، وتبايع لى الناس قبلك ، فإذا أتتني بيعتك صدقتُ . قاتلتك ، وكففتُ جُنُودى عن بلادك ، وعجل على بتسريح الجيش الذى أنت باعئُهُ ، ومُرهم فلبسيروا إلى من بوادى القرى من جند ابن مروان ، فليقاتلهم ، والسلام » .

فسرَّح المختار شُرَحِيْل بن وَرْس فى جيش ، وقال له : سر حتى تدخل المدينة ، فإذا دخلتها فاكتب إلى بذلك حتى يأنيك أمرى - وهو يريد إذا

دخلوا المدينة أن يبعث عليهم أميراً من قبيلة ، ويأمر ابن ورس أن يمضي إلى مكة حتى يحاصر ابن الزبير ويقاومه - وخشي ابن الزبير أن يكون المختار إنما يكيده ، فبعث من مكة إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد في جيش ، وقال له : إن رأيت القوم في طاعتي فاقبل منهم ، وإلا فكايدهم حتى تهلكهم ، فأقبل ابن سهل حتى لقي ابن ورس بالرقم^(١) ، فدعاه أن يسير معه لقتال جند ابن مروان بوادي القرى ، فأبى وقال : إنما أمرت أن أسير حتى آتي المدينة ، فإذا نزلتها رأيت رأيي ، فكايدته ابن سهل حتى أخذه على غرة وقتله ، وأثنى أصحابه وأوسعهم قتلاً^(٢) . (تاريخ الطبري ٧ : ١٣٤)

(١) موضع المدينة .

(٢) وذلك أن عباس بن سهل لما ولى الرقم ، وجد ابن ورس على الماء فدعى أصحابه تعبئة القتال ، فدعا منهم مسلم عليهم ، ثم قال : احل معي هاهنا خلافة ، فقال له : رحمتك الله ، ألتست في طاعة ابن الزبير ؟ فقال له ابن ورس : بلى ، قال : فسربا إلى عدوه هذا الذي بوادي القرى ، فإن ابن الزبير حدثني أنه لما أسحىكم صاحبكم إليهم ، قال ابن ورس : ما أمرت بطاعة ، إنما أمرت أن أسير إلى المدينة ، فإذا براتها رأيت رأيي ، قال له ابن سهل : فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدوينا بوادي القرى ، فقال له ابن ورس : ما أمرت بطاعتك وما أنا بمنعك دون أن أدخل المدينة ، ثم أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره ، فلما رأى ابن عباس لحاحه عرف خلافة ، فكره أن يعلمه أنه قد فطن له ، فقال : فأريك أفضل ، اعلم بما بدالك ، فأما أنا فأسأرك إلى وادي القرى ، ثم جاء ابن سهل فبرل بالماء ، وبعث إلى ابن ورس بحراثر كانت معه (جمع حروور) فأهداهما له ، وبعث إليه بدوق وعم مسلحة ، وكان ابن ورس وأصحابه قد هلكوا حوفا ، فبعث عباس بن سهل إلى كل عشيرة منهم شاه . فدحوها واشبعوها بها واحتلطوا على الماء ، وركب القوم تعصبهم ، وأمس بعضهم بعضاً ، فلما رأى ابن سهل ما هم فيه من التعل جمع من أصحابه نحواً من ألف رجل من دوى الأس والحدرة ، ثم أقبل نحو فسطاط ابن ورس ، فلما رآهم ابن ورس مقلين إياه نادى في أصحابه . فلم يتواف إليه مائة رجل ، فما اقتتلوا إلا شيئاً ليس بشيء حتى قتل ابن ورس وكثير من أصحابه .

١٣٤ - كتاب المختار إلى ابن الحنفية

فلما بلغ المختار أمرهم كتب إلى ابن الحنفية :
 « بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعدُ : فإنني كنت بعثتُ إليك جنداً ،
 يُدِّئُ لَكَ الأعداءَ ، وَلِيَحْوزَاكَ البلادَ ، فساروا إليك حتى إذا أطلُّوا على
 حَظِيَّة^(١) ، لَقِيَهُمْ جندُ المُلْحِدِ^(٢) ، فغدعهم بالله ، وغرَّوهم بعهد الله ، فلما اطمأنوا
 إليهم ، وَوَقَّعُوا بِذَلِكَ منهم ، وَثَبَّوْا عَلَيْهِمْ فقتلوه ، فَإِن رَأَيْتَ أَن أبعثَ إلى
 أهل المدينة مِن فِئْلَى جيشاً كَثِيفاً ، وتبعثَ إليهم من قبلك رُسُلاً ، حتى
 يعلمَ أهلُ المدينة أَنِّي في طاعتك ، وإِنَّمَا بعثتُ الجندَ إليهم عن أمرِكَ ، فافعلْ ،
 فَإِنَّكَ ستجدُ عُظْمَهُم بِحَقِّكَم أَغْرَفَ ، وبكم - أهلَ البيت - أَرَأَفَ منهم
 بِأَلِ الزَّيْبِرِ الظَّالِمَةِ المُلْحِدِينَ ، والسلام عليك » . (تاريخ الطبري ٧ : ١٣٥)

١٣٥ - رد ابن الحنفية على المختار

فكتب إليه ابن الحنفية :
 « أما بعدُ : فَإِن كتابكَ لَمَّا بَلَغَنِي قَرَأْتُهُ ، وَفهِمْتُ تَعْظِيمَكَ لِحَقِّي ، وما
 تنوى به من سرورى ، وَإِن أَحَبُّ الأُمُور كُلِّهَا إِلَيَّ مَا أَطِيعَ اللهُ فِيهِ ، فَأَطِيعُ اللهَ
 مَا أَسْتَطَعْتُ فِيمَا أَعْلَنْتَ وَأَسْرَرْتَ ، واعلم أَنِّي لو أردت القتال لوجدتُ

(١) المدينة المنورة . (٢) مردان اربير .

الناس إلى سِرَاقًا ، والأعوانَ لي كثيرًا ، ولكنني أعتزُّ بهم ، وأصبرُ حتى يحكم اللهُ لي وهو خير الحاكمين^(١) . (تاريخ الطبري ٧ : ١٣٥)

١٣٦ - كتاب ابن الحنفية إلى الشيعة بالكوفة

وأخبر ابن الحنفية بخبر نفر من غلاة الشيعة بالكوفة ، فكتب إلى الشيعة يحذِّرهم هؤلاء الغلاة :

« من محمد بن علي إلى مَنْ بالكوفة من شيعتنا ، أما بعدُ : فخرجوا إلى المجالس والمساجد ، فاذكروا الله علانية وسِرًّا ، ولا تتخذوا من دون المؤمنين بطانة ، فإن خشيتم على أنفسكم فاحذروا على دينكم الكذَّابين ، وأكثروا الصلاة والصيام والدعاء ، فإنه ليس أحدٌ من الخلق يَمْلِك لأحد ضرًّا ولا نفعًا إلا ما شاء الله ، وكلُّ نفسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ، وَلَا تَرَى وَازِرَةً وِزْرَ

(١) وكان محمد بن الحنفية قد أتى أن دافع ابن الربر ، إذ ذكره السعة لم لم مجتمع عليه الأمة ، وكان ابن الربر بعضه ومحسده على أئده وفوه ، فحسه مع بضعة عمر رحلا من بني هاشم منهم عبد الله بن عباس والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في سجن عارم ، وقال : لتأييس أولأحرفكم ، وأعطي الله عهدا إن لم داعوا أن ، منذ فهم ما بوعدهم به ، وصرب لهم في ذلك أحلا ، فكتب ابن الحنفية إلى المحار وأهل الكوفة يعلمهم حله وحال من معه ، وما بوعدهم به ابن الربر من القتل والتحرقي بالنار ، ويسألهم ألا يمدلوه كما مدلوا الحسين وأهل بيته ، موحه إليه جماعه من أصحابه عليهم أن بوعده الله الحدي ، وكانوا يسرون الليل ويكنون النهار ، حتى انهبوا إلى مكة ، وقد أعد ابن الربر الحطب ليحرقهم ، وكان قد بي من الأحل بومان ، مكبروا سجن عارم واستخرجوا منه ابن الحنفية ومن معه ، وقالوا له : حل بسا وبين عدو الله ابن الربر ، فقال لهم : إني لا أسجل القتال في حرم الله ، وحر ح هو وأصحابه إلى شعب على .

— اطر تاريخ الطبري ٧ : ١٣٦ والا كمال للمرد ٢ : ١٦٨ والعقد المرد ٢ : ٢٦٨ وشرح ابن أبي الحديد ٤ : ص ٤٨٧ ومروح الذهب ٢ : ١٠٠ .

أُخْرَى ، وَاللّٰهُ قَاتِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ، فاعْمَلُوا صَالِحًا وَقَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ حَسَنًا ، وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْغَافِلِينَ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ .



ثم إن ابن الزبير عزل الحارث بن عبد الله عن البصرة ، وولّاها أخاه مصعب بن الزبير (سنة ٦٧) وقَدِمَ على مصعب أشرافُ الكوفة ، فسألوه أن يسير معهم إلى المختار ، فسار إليه وقاله ، وانهزم أصحاب المختار ، وقتل (في رمضان سنة ٦٧ هـ) . (تاريخ الطبري ٧ : ١٥٣)

١٣٧ — كتاب عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن عباس

وروى المدائني قال :

لما أخرج عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف ، تلقّاه أهلها ، فقالوا : مَرْحَبًا بِابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَنْتَ وَاللّٰهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا وَأَكْرَمُ عَلَيْنَا مِمَّنْ أَخْرَجَكَ ، هذه منازلنا تَخَيَّرْهَا ، فأنزل منها حيث أحببت ، فنزل منزلاً ، فكان يجلس إليه أهلُ الطائف بعد الفجر وبعد العصر ، فيتكلم بينهم ، كان يَحْمَدُ اللَّهَ ، ويدكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والخلفاء بعده ، ويقول : ذهبوا فلم يدعُوا أَمَنَاهُمْ ، ولا أسباهم ، ولا من يُدَانِيهِمْ ، ولكن بقى أقوام يطلبون الدنيا بعمل الآخرة ، ويلبسون جلود الضأن تحتها قلوبُ الذئاب والنمور ، ليظن الناس أنهم من الزاهدين في الدنيا ، يُرَاءُونَ الناس بأعمالهم ، وُسُخَطُوا اللَّهَ بسرائرهم ، فادعُوا اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ

لهذه الأمة بالخير والإحسان ، فيولّي أمرها خيارها وأبرارها ، ويُهْلِك فُجَّارها وأشرارها ، ارفعوا أيديكم إلى ربكم وسألوه ذلك ، فيفعلون ، وبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب إليه :

« أما بعدُ : فقد بلغني أنك تجلس بالطائف العصرين^(١) ، فتفتّيهم بالجهل ، تعيب أهل العقل والعلم ، وإن حِلْمِي عليك ، واستدامتي فيئتك ، جرّاً لك على^(٢) ، فاكفّفْ - لأبائِ لغيرك - مِنْ غَرْبِكَ^(٣) ، وأزْبَعْ على ظِلْمِكَ^(٤) ، وأعقل إن كان لك معقول^(٥) ، وأكرم نفسك ، فإنك إن شُهِبَتْ بجَدِّها على الناس أعظمَ هَوَاناً ، ألم تسمع قول الشاعر ؟

فَنَفْسِكَ أَكْرَمُهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهَنْ : عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرَمًا
وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ عَمَّا بَلَّغْنِي عَنْكَ ، لَتَجِدَنَّ جَانِبِي خَسِينًا ، وَلَتَجِدَنِّي
إِلَى مَا يَرَدُّكَ عَنِّي حَبْلًا ، فَإِنْ أَشْفَى^(٥) بَكَ شَقَاؤُكَ عَلَى الرَّدَى ، فَلَا تَلُمْ إِلَّا

نَفْسِكَ » . (سرح ابن أبي الحديد م ٤ : ص ٤٨٧)

(١) العصران . العداة والعشى ، ومنه حدث على رضى الله عنه « ذكرهم بأيام الله واجلس لهم العصرين » أى نكرة وعسيا ، وفي الحديث : « حافظ على العصرين » يريد صلاة الفجر وصلاة العصر سماهما العصرين لأيهما يقعا في طرق العصرين وهما الليل والنهار ، والأسسه أنه عاب أحد الاسمين على الآخر ، كالعمرين لأنى نكر وعمر ، والعمرين للشمس والعمر .

(٢) العرب : الحدّه .

(٣) ربع كعب : وقف واسطر ومحاس ، وطلع العير كعب طلعا : عمر في مشه ، ويقال : اربع على ظلمك : أى لك صعب فاته عما لا يطيقه .

(٤) معقول : عقل . (٥) أشفى : أشرف .

١٣٨ - رد ابن عباس عليه

فكتب إليه ابن عباس :

« أما بعد . فقد بلغني كتابك ، قلت : إني أفتي الناس بالجهل ، وإنما يفتي بالجهل من لم يعرف من العلم شيئاً ، وقد آتاني الله من العلم ما لم يؤتنيك ، وذكرت أن حاكم عني واستدامتك فيني جرأاً اني عليك ، ثم قلت : اكف من غربك ، وأزيع على ظلمك ، وضربت لي الأمثال « أحاديث الضبع^(١) » متى رأيته لعرايمك^(٢) هائباً ، ومن حدك ناكلاً^(٣) ؟ وقلت : لأن لم تكف لتجدن جانبي خشناً ، فلا أبقى الله عليك إن أبقيت ، ولا أرعى عليك إن أرعيت^(٤) ، فوالله لا أنتهي عن قول الحق ، وصفة أهل العدل والفضل ، وذم الأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والسلام . »

(شرح ابن أبي الحديد م ٤ ص ٤٨٨)

(١) في الأمال « أحاديث الضبع استها » يزعمون أن الضبع سمرغ في التراب ، ثم تهي . « أفتي السكاب : حاس على اسه » فسي بما لاهمه أحد ، فتلك أحاديث اسنها ، وهو مثل يصرب للخلط في حديه .

(٢) عرام الحلس : حدهم وسدهم وكبرهم .

(٣) سكل عه كصرب وصر وعلم نكولا : نكس وحبر .

(٤) أرعى عليه : أبقى .

خلافة عبد الملك بن مروان

(سنة ٦٥ - ٨٦ هـ)

١٣٩ - كتاب عبد الملك إلى عمرو بن سعيد بن العاص

ولما خرج عبد الملك بن مروان سنة ٦٩ هـ لقتال زُفَر بن الحَارِث الكِلَابِي^(١) بقرقيسياء^(٢) ، غلب عمرو بن سعيد بن العاص^(٣) على دِمَشق ، ودعا الناس إلى بيعته^(٤) ، وكتب عبد الملك إليه حين خرج عليه :

(١) وذلك أنه لما مات معاوية الثاني بايع أهل دمشق الضحاك بن قيس الهجري على أن يصلي بهم ، ويقيم لهم أمرهم ، حتى يجتمع أمر الأمة ، وكان يهوى هوى ابن الربيع ويعمل لصهرته سرا إذ كان سو أمية بمحضرتة ، وكذلك كان العمان بن بشير الأنصاري وهو على حصص ، وورع بن الحرث الكلبي وهو على قنسرين ، وناتل بن قيس وهو على فلسطين يدعون إلى بيعة ابن الربيع ، ثم نسبت الحرب بين جيش الضحاك وجيش مروان بن الحكم في مرج راهط (سنه ٦٤ هـ) ودارت الدائرة على جاس الضحاك وقتل هو وعامة أصحابه وانهمز بقيتهم فمرقوا ، ومرمر بن الحرث داربا إلى قرقيساء ، فاجتمعت إليه قيس فرأسوه عليهم .

(٢) قرقيسياء بياين وقال بناء واحدة (قرقيساء) : بلد على الهرات .

(٣) هو عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الملقب بالأشدق لمصاحته ، وولاه معاوية مكة ، وولاه يزيد مكة والمدنة .

(٤) وذلك أنه لما كانت الفتنة بعد موت معاوية الثاني ، واختار الضحاك بن قيس عن مروان بن الحكم واستمال الناس ودعا إلى ابن الربيع ، التي مروان وعمرو بن سعيد بن العاص ، فقال عمرو لمروان هل لك فيما أقوله لك ؟ فهو حير لي ولك ، فقال مروان : وماهو ؟ قال : أدعو الناس إليك وأخذها لك على أن تكون لي من عندك ، فقال مروان : لا ، بل بعد خالد بن يزيد بن معاوية . فرضى عمرو بذلك ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوا ، وبايع مروان بعده لخالد بن يزيد ، وعمرو بن سعيد بعد خالد ، ثم مات مروان وخلفه عبد الملك . ولما اعزم عبد الملك أن يخرج إلى العراق لقتال زفر بن الحارث سنة ٦٩ هـ - وقيل أمال مصعب بن الربيع سنة ٧٠ هـ - قال له عمرو : إليك تخرج إلى العراق وقد كان أبوك وعدني هذا الأمر من بعده ، وعلى ذلك حاضرت معه ، وقد كان من بلائي مالم تحف عليك ، فاجعل لي هذا الأمر من عندك ، فلم يجبه عبد الملك إلى شيء ، فلما خرج عبد الملك أعلق عمرو بن سعيد دمشق وحافظ عليه ، - قيل : كان عبد الملك قد استحلجه علما ، وقيل : لأنه خرج مع عبد الملك ثم عاد إلى دمشق ليلا فقلب علما - ففكر عبد الملك راجعا إلى دمشق وحاصرها حتى صالح عمرا على أنه الخليفة بعده ففتح له دمشق ، ثم إن عبد الملك احتال له حتى قتله .

« أما بعد : فإن رحمتي لك ، تصرفني عن الغضب عليك ، لتمكن الخدع منك ، وخذلان التوفيق إياك ، نهضت بأسباب وهمتك أطماءك أن تستفيد بها عزا ، وكنت جديرا - لو اعتدلت - أن تدفع^(١) بها ذللا ، ومن رحل عنه حسن النظر ، واستوطنته الأمانى ، ملك الحين^(٢) تصريفه ، واستترت عنه عواقب أمره ، وعن قليل يتبين من سلك سبيلك ، ونهض بمثل أسبابك ، أنه أسير غفلة ، وصريع خدع ، ومغيض ندم ، والرحم^(٣) تحمل على الصفح عنك ، ما لم تحلل بك عواقب جهلك ، وتزجر عن الإيقاع بك ، وأنت إن ارتدعت كنت في كيف وستر ، والسلام .

وقال المسعودي : وكان فيما كتب إليه عبد الملك :

« إنك لتطعم نفسك بالخلافة ، ولست لها بأهل . »

١٤٠ - رد عمرو بن سعيد على عبد الملك

فكتب إليه عمرو :

« استدراج النعم إياك أفادك البغي ، ورائحة القدره أوزنتك الغفلة ، زجرت عما وافقت عليه ، ونذبت إلى ما تركت سبيله ، ولو كان ضعف الأسباب يؤيس الطلاب ، ما اتقل سلطان ولا ذل عزيز ، وعن قريب تبين : من أسير الغفلة ، وصريع الخدع ، والرحم تعطف على الإبقاء عليك مع دفعك عما غيرك أفوم به منك ، والسلام . »

(السان والنايب ٣ : ٢٢٩ ، وروح الذهب ٢ : ١١٦)

(١) في الأصل « أن لا دمع » وهو خطأ .

(٢) الحين : الهلاك . (٣) الرحم : القراة .

حروب الخوارج الأزارقة

١٤١ - كتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى
عبد الملك بن مروان

ولما دانت العراق لعبد الملك بن مروان بعد مقتل مصعب بن الزبير سنة ٧١ هـ، ولى على الكوفة أخاه بشر بن مروان، وولى على البصرة خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد^(١)، وخرج خالد إلى الأهواز، وندب للناس رجلاً يقاتل الأزارقة، فجعلوا يطلبون المهلب، فقال خالد: ذهب المهلب بحظ هذا المصر، إنى قد وليت أخى قتال الأزارقة، فولى أخاه عبد العزيز بن عبد الله، وجعل المهلب على خراج الأهواز، ومضى عبد العزيز فى ثلاثين ألفاً، فجعل يقول فى طريقه: يزعم أهل البصرة أن هذا الأمر لا يتم إلا بالمهلب! فسيعلمون، ثم ناهض الأزارقة فكأيدوه^(٢) وهزموه، واتبعوا جنده يقتلونهم كيف شاءوا، وسبوا امرأته، ثم قتلوها^(٣)، وبلغ خالد أن خبر الهزيمة فكتب إلى عبد الملك بن مروان:

(١) هو خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أئى العاص بن أمة بن عبد شمس بن عبد مناف، ولاء عبد الملك البصرة سنة ٧١ هـ وعمره عنها سنة ٧٤ هـ.

(٢) وذلك أنهم واقفوه ساعة ثم انهزموا عنه مكيدة، فاتبعهم، فقال له الناس: لا تسهم فإنما على غير نعبه فأبى، فلم رل فى آثارهم حتى امتحموا عقبه فاقنحمها وراءهم، والناس ينهوه ويأبى، وكان لهم فى نظر العقبة كمين، فلما صاروا وراءهم حرح عليهم السكبين، واغار عبد العزيز واتبعهم الخوارج يقتلونهم كيف شاءوا.

(٣) وكان عبد العزيز قد حرح بامرأته أم حفص بنت المنذر بن الحارود، فسبى الخوارج النساء

« أما بعدُ ، فإني أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أني بعثتُ عبد العزيز بن عبد الله في طلب الخوارج ، وأنهم لقوه بفارس ، فاقتتلوا قتالا شديداً ، فانهزم عبد العزيز لما انهزم عنه الناس ، وقُتل مُقاتل بن مِسمع ^(١) ، وقَدِمَ الفلُّ ^(٢) إلى الأهواز ، فأُحييتُ أن أُعلمَ أمير المؤمنين ذلك ، ليأتيني رأيُه وأمرُه أنزل عنده إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله »

(تاريخ الطبري ٧ : ١٩٣)

١٤٢ - رد عبد الملك عليه

فكتب إليه عبد الملك بن مروان :

« أما بعدُ ، فقد قَدِمَ رسولك في كتابك ^(٣) ، تُعلمني فيه بَعَثْتَ أخاك على قتال الخوارج ، وهزيمة من هُزِمَ ، وقُتل من قُتل ، وسألتُ رسولك عن مكان المهلب ، فحدثني أنه عامل لك على الأهواز ، فقبح الله رأيك ! حين تبعت أخاك أعرابيا من أهل مكة على القتال ، وتدع المهلب إلى جنبك ينجي

يومئذ ، وكانت أم حصص ممن سبي ، فأقاموها في السوق حاضرة نادية الحاسي ، فأعرضوها وقلبوها ، وكانت من أكل الناس كالا وحسا ، فبرأدت فيها العرب والموالي ، وعولى بها حتى ناعوها تسعين ألما ، فمار رجل من قومه « عبد القيس » وكان من رءوس الخوارج قال له أبو الحديد العدي ، فقال : تحوا هكذا ، ما أرى هذه المسركة إلا - وكم - فصرع معها ، فأحدوه إلى أميرهم قطري بن الفحاء فقالوا : يا أمير المؤمنين ، إن هذا استهلك تسعين ألما من ثل المال ، وقتل أمه من إماء المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين إن رأيت هؤلاء تارعوا عليها حتى ارمعت الأصوات ، واجمرت الحدى ، فلم يبق إلا الخط باليوف ، فرأيت أن تسعين ألما في حب ما حدثت من الفتنة من المسلمين هسه ، فقال قطري : قد ضُعت وأُحسبت ، حلوا عه ، عين من عيون الله أصابها .

(١) وكان خالد بن عبد الله معه على حش وألقه صاحبه عبد العزيز .

(٢) أي المهرون .

(٣) في هذا المصاحفة كما في قوله قال « فالدُّخُلُ في أَسْمٍ » .

الخراج ، وهو الميمون النقيية^(١) ، الحسنُ السياسة ، البصيرُ بالحرب ، المقاسى لها ، ابنها وابن أبنائها ، انظر أن تنهض بالناس ، حتى تستقبلهم بالأهواز ومن وراء الأهواز ، وقد بعثتُ إلى بشر أن يُمدك بجيش من أهل الكوفة ، فإذا أنت لقيتَ عدوك فلا تعملَ فيهم برأى ، حتى تُحضره المهلب وتستشيرَه فيه ، إن شاء الله ، والسلام عليك ورحمة الله .

فَشَقَّ عَلَيْهِ أَنْ قَبَّلَ^(٢) رَأْيَهُ فِي بَعْثَةِ أَخِيهِ وَتَرَكَ الْمَهْلَبَ ، وَفِي أَنَّهُ لَمْ يَرْضَ رَأْيَهُ خَالِصًا حَتَّى قَالَ : أَحْضَرَهُ الْمَهْلَبَ ، وَاسْتَشِيرَهُ فِيهِ .
(تاريخ الطبري ٧ : ١٩٣)

١٤٣ — كتاب عبد الملك بن مروان إلى أخيه بشر

وكتب عبد الملك إلى أخيه بسر بن مروان :
« أما بعدُ فإنِّي قد كتبتُ إلى خالد بن عبد الله أمرُهُ بالهوض إلى الخوارج ، فسرَّحَ إليه خمسة آلاف رجل ، وابعتُ عليهم رجلا من قبلك ترضاه ، فإذا فضوا غزائهم^(٣) تلك ، صرفهم إلى « الرِّسَى »^(٤) فقالوا عدوهم ، وكانوا في مسألهم^(٥) وجبوا فيئهم ، حتى نأتى أيام عقيهم ، فنعقبيهم ونبعتَ آخرين مكاهم .
فقطع على أهل الكوفة خمسة آلاف ، وبعثتُ عليهم عبد الرحمن بن

(١) النعمه : الحسن والسورة . (٢) فل رأه : قحه وحطاه .

(٣) العرة : اسم من عرا العدو عروا .

(٤) مدينة كبيرة في فارس وكان مصه بلاد الحال . (٥) جمع مسلحة بالفتح ، وهي النمر .

محمد بن الأشعث ، وقال : إذا قضيت غزاتك هذه فانصرف إلى « الرى »
وكتب له عليها عهداً . (تاريخ الطرى ٧ : ١٩٣)

١٤٤ - كتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى عبد الملك

وخرج خالد بأهل البصرة حتى قدم الأهواز ، وجاء عبد الرحمن بن
الأشعث يبعث^(١) أهل الكوفة حتى وافاهم بالأهواز ، وجاءت الأزارقة
حتى دنوا من مدينة الأهواز ومن معسكر القوم ، فزحف إليهم خالد فرأوا
أمرأهالهم من عدد الناس وعُدَّتْهم ، فانهزموا مولين ، وأتبعهم خالد داود
ابن فحذم في جيش من أهل البصرة ، وانصرف هو إلى البصرة ، وكتب
إلى عبد الملك بن مروان :

« أما بعد ، فإننى أخبر أمير المؤمنين - أصلحه الله - أنى خرجتُ إلى
الأزارقة الذين مَرَقُوا من الدين ، وخرجوا من ولاية المسلمين ، فالتقينا بمدينة
الأهواز ، فتنَاهَضْنَا فافتتنَا كأشدَّ قتال كان فى الناس ، ثم إن الله أنزل
نصره على المؤمنين والمسلمين ، وضرب الله وجوه أعدائه ، فاتبعهم المسلمون
يقتلونهم ولا يمتنعون ولا يمتنعون ، وأفاء الله ما فى عسكرهم على المسلمين ، ثم
أتبعتهم داود بن قحذم ، والله - إن شاء الله - مهلكهم ومستأصلهم ،
والسلام عليك » . (تاريخ الطرى ٧ : ١٩٤)

(١) العث ومحرك : الحاس .

١٤٥ - كتاب عبد الملك إلى أخيه بشر

فلما قَدِمَ هذا الكتاب على عبد الملك كتب إلى أخيه بشر :
« أما بعدُ ، فابعث من قبلك رجلاً شجاعاً بصيراً بالحرب في أربعة
آلاف فارس ، فليسيروا إلى « فارس » في طلب المارقة ، فإن خالداً كتب
إليّ يخبرني أنه قد بعث في طلبهم داود بن قحذم ، فُر صاحبك الذي تَبَعْتُ
أن لا يخالف داود بن قحذم إذا ما التقيا ، فإن اختلاف القوم بينهم عَوْنٌ
لعدوهم عليهم ، والسلام عليك . »

فبعث بشر عتّاب بن ورقاء في أربعة آلاف فارس من أهل الكوفة ،
فخرجوا حتى التقوا هم وداود بن قحذم بأرض فارس ، ثم اتبعوا القوم يطلبونهم
حتى نفقت^(١) خيول عامتهم ، وأصابهم الجهد والجوع ، ورجع عامة ذبك .
الجيشين مُشاةً إلى الأهواز . (تاريخ الطبري ٧ : ١٩٤)

هذه رواية الطبري في هذا الصّدّد ، وروى أبو العباس المبرد في
الكامل كتابَ عبد الملك الذي ردّه على خالد بن عبد الله بن أسيد بصورة
أخرى قال :

صورة أخرى لرد عبد الملك على خالد

« وكتب خالد إلى عبد الملك بعذر عبد العزيز ، وقال للمهلب : ما ترى
عبد الملك صانعاً بي ؟ قال : يعزّلك ، قال : أترأه قاطعاً رجمي ؟ قال : نعم ،

أنته هزيمة أُمَيَّة أخيك من البَحْرين^(١) ، وتأتيه هزيمة أخيك عبد العزيز من فارس ! فكتب عبد الملك إلى خالد :

« أما بعدُ ، فإنني كنت حَدَدْتُ لك حَدًّا في أمر المهلب ، فلما ملكْتَ أمرَكَ نَبَذْتَ طاعتي واستبددت برأيك ، فولَّيتَ المهلبَ الجبايةَ ، ووليتَ أخاك حربَ الأزارقة ، فقَبَّحَ اللهُ هذا رأيا ! أتبعْتُ غلاما غرًّا لم يجربْ الحروبَ ، وتترك سيدا شجاعا مدبرًا حازما قد مارس الحروبَ فَفَلَجَ^(٢) ، تَشْغَلُهُ بالجباية ؟ أما لو كافأْتُكَ على قدر ذنبك لَأَنَّاكَ من نَكِبري مَالًا بَقِيَّةً لك معه ، ولكن تذكرتُ رَحِمَكَ^(٣) فلَقَّتْنِي عنك ، وقد جعلتُ عقوبَتَكَ عزلك ، والسلام . » (الكامل العدد ٢ : ٢١٠ وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٩٥)

١٤٦ — كتاب عبد الملك الى أخيه بشر

قال أبو العباس : وولى بنسرين مروان وهو بالكوفة ، وكتب إليه :
« أما بعدُ ، فإنك أخو أمير المؤمنين يَجْمَعُكَ وإياه مروان بن الحكم ، وإن خالدا لا مُجْتَمَعٌ له مع أمير المؤمنين دون أُمَيَّة ،^(٤) فانظر المهلب فَوَلِّهِ

(١) وذلك أن أبا فديك الخارجي وهو من بني قيس بن بعلبه غلب على البحرين سنة ٧٢ هـ وقتل نخعه بن عامر الحقي (رعم فرقه الحداث العاديه من الخوارج) فاجتمع على خالد بن عبد الله يرول قطنى بن الصحاء (رعم الأزارقه) الأهوار وأمر أنى فديك ، فعث أحاه أمه بن عبد الله على حشد كثيف إلى أنى فديك ، فهرمه أبو فديك ، وأحد حارثة له فانخذها نفسه ، وسار أما على فرس له حتى دخل البصره فى ثلاثة أيام ، فكتب خالد إلى عبد الملك يخاله وحال الأزارقه . (انظر تاريخ الطبرى ١٩٥ : ٧)

(٢) فار وطفر .

(٣) الرحم : العراة ، ولعنتى أى صرمتى وردتني ، وفي رواية ابن أبي الحديد « وكفنتى عنك » .

(٤) قدما أن خالدا هو ابن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، وعبد الملك هو ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميا الح .

حَرْبَ الْأَزَارِقَةِ ، فَإِنَّهُ سَيِّدُ بَطَلٍ مُجَرَّبٍ ، فَأَمَدِدْهُ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بِثَمَانِيَةِ
آلَافِ رَجُلٍ ، وَالسَّلَامَ .

(الكامل للبهرد ٢ : ٢١١ وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢٩٥)

١٤٧ - كتاب عبد الملك إلى أخيه بشر

وَلَنَعُدَّ إِلَى رِوَايَةِ الطَّبْرِيِّ ، قَالَ :

« وَفِي سَنَةِ ٧٤ هـ عَزَلَ عَبْدِ الْمَلِكِ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ الْبَصْرَةِ وَوَلَاهَا
أَخَاهُ بَشَرَ بْنَ مَرْوَانَ ، فَصَارَتْ وَلَايَتُهَا وَوَلَايَةُ الْكُوفَةِ إِلَيْهِ ، فَشَخَّصَ بَشَرَ
إِلَى الْبَصْرَةِ ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْكُوفَةِ عَمْرُو بْنُ حُرَيْثٍ .

فَلَمَّا صَارَ بَشَرَ بِالْبَصْرَةِ كَتَبَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِلَيْهِ :

« أَمَّا بَعْدُ ، فَابْعَثِ الْمُهَلَّبَ فِي أَهْلِ مِصْرَ إِلَى الْأَزَارِقَةِ ، وَلِيَنْتَخِبَ مِنْ
أَهْلِ مِصْرَ وَجُوهَهُمْ وَقُرَّاسَتَهُمْ وَأَوْلِيَ الْفَضْلَ وَالتَّجَرِبَةَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّهُ أَعْرَفُ
بِهِمْ ، وَخَلَّةٌ وَرَأْيُهُ فِي الْحَرْبِ ، فَإِنِّي أَوْثَقُ شَيْءٍ بِتَجَرِبَتِهِ وَنَصِيحَتِهِ لِلْمُسْلِمِينَ ،
وَابْعَثِ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ بَعَثًا كَنِيْفًا ، وَابْعَثِ عَلَيْهِمْ رَجُلًا مَعْرُوفًا شَرِيفًا
حَسِيدًا صَلِيْبًا يُعْرِفُ بِالْبَأْسِ وَالنَّجْدَةِ وَالتَّجَرِبَةِ لِلْحَرْبِ ، ثُمَّ أَنْهَضْ إِلَيْهِمْ أَهْلَ
الْمِصْرِينَ فَلْيَتَّبِعُوهُمْ أَيَّ وَجْهِ مَا تَوَجَّهُوا ، حَتَّى يُبَيِّدَهُمُ اللَّهُ وَيَسْتَأْصِلَهُمْ ،
وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .

فَدَعَا بِبَشَرَ الْمُهَلَّبِ فَأَقْرَأَهُ الْكِتَابَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَنْتَخِبَ مَنْ شَاءَ ، وَشَقَّ عَلَى
بَشَرَ أَنْ إِمْرَأَةَ الْمُهَلَّبِ جَاءَتْ مِنْ فَيْلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَبْعَثَ غَيْرَهُ ،

فأوغرت صدره عليه حتى كأنه كان له إليه ذنب ، ودعا بشر عبد الرحمن
أبنِ مخنف ، فبعثه على أهل الكوفة ، وأمره أن ينتخب فرسان الناس
ووجوههم ، وأولى الفضل منهم والنجدة . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٧)

١٤٨ - كتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى

المرفضين من الجند

وخرج المهلب بأهل البصرة حتى نزل رامهرمز فلقى بها الخوارج ، وأقبل
عبد الرحمن بن مخنف بأهل الكوفة ، فلم يلبث الناس إلا عشرين^(١) حتى أتاهم
نعمى بشر بن مروان ، وثوئى بالبصرة ، وكان قد استخلف خالد بن عبد الله
أبن خالد بن أسيد ، فارقض^(٢) ناس كثير من أهل البصرة وأهل الكوفة ،
فبلغ ذلك خالدًا ، فكتب إلى الناس كتابا ، وبعث رسولا يضرب وجوه
الناس ويردّهم ، فقدم بكتابه مؤلى له ، فقرأه على الناس وفد جمعوا له ، وفيه :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، من خالد بن عبد الله إلى من بلغه كتابي هذا
من المؤمنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإني أتحمد إلهكم الله الذي لا إله إلا
هو ، أما بعد : فإن الله كتب على عباده الجهاد ، وفرض طاعة ولاة الأمر ،
فمن جاهد فإنما يجاهد لنفسه ، ومن ترك الجهاد في الله كان الله عنه أغنى ، ومن
عصى ولاة الأمر والقوّام بالحق أسخط الله عليه ، وكان قد استحق العقوبة

(١) وفي رواية الكامل « إلا شهرا » .

(٢) تفرق ، قال المبرد : « جعل الحيد من أهل الكوفة يسلاون حتى اجتمعوا بسوق الأهوار ،
وأراد أهل البصرة الاسلال من المهلب خطتهم فقال : إيسكم اسم كأهل الكوفة ، إيسا يدون عر
مصركم وأموالكم وحرمتكم ، فأقام منهم قوم ، وفسل منهم ناس كثير » .

فِي بَشَرِهِ^(١) ، وَعَرَّضَ نَفْسَهُ لِاسْتِفَاءَةِ^(٢) مَالِهِ ، وَإِلْقَاءَ عِطَائِهِ ، وَالتَّسْيِيرَ إِلَى أَبْعَادِ الْأَرْضِ وَشَرِّ الْبُلْدَانِ .

أَيُّهَا الْمَسَامُونَ : اعْلَمُوا عَلَى مَنْ اجْتَرَأْتُمْ ؟ وَمَنْ عَصَيْتُمْ ؟ إِنَّهُ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي لَيْسَتْ فِيهِ تَحْمِيزَةٌ^(٣) ، وَلَا لِأَهْلِ الْمَعْصِيَةِ عِنْدَهُ رُخْصَةٌ^(٤) ، سَوَّطُهُ عَلَى مَنْ عَصَى ، وَعَلَى مَنْ خَالَفَ سَيْفُهُ ، فَلَا تَجْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا ، فَإِنِّي لَمْ آلُكُمْ نَصِيحَةً^(٥) .

عِبَادَ اللَّهِ : ارْجِعُوا إِلَى مَكْتَبِكُمْ^(٦) ، وَطَاعَةِ خَلِيفَتِكُمْ ، وَلَا تَرْجِعُوا عَاصِيِينَ مُخَالِفِينَ فَيَأْتِيَكُم مَّا تَكْرَهُونَ ، أَفَسَمَّ بِاللَّهِ لَا أَتَّقَفُ^(٧) عَاصِيًا بَعْدَ كِتَابِي هَذَا إِلَّا قَتَلْتُهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ فِرَائِهِ لَمْ يَلْتَفِتْ النَّاسُ إِلَى مَا فِي كِتَابِهِ .

(نَارُخُ الطَّرِيقِ ٧ : ٢٠٨)

١٤٩ - كِتَابُ الْمَرْفُضِينَ إِلَى عَمْرِو بْنِ حَرِيثٍ

وَأَقْبَلَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ حَتَّى نَزَلُوا فَرِيَةً لَّالَ الْأَشْعَثِ إِلَى جَانِبِ الْكَوْفَةِ ، وَكَتَبُوا إِلَى عَمْرِو بْنِ حَرِيثٍ :

-
- (١) الدَّشَرُ : طَاهَرُ الْحَلْدِ جَمْعُ نَهْرَةٍ أَوْ اسْتَحَقَّ الْحَلْدَ وَالصَّرَبَ .
 - (٢) أَوْ لِلْإِسْلَاءِ عَلَيْهِ ، هَالُ : فَاءُ الْعُسْمَةِ وَاسْتِفَاءُهَا .
 - (٣) هَالُ : فِيهِ مَعْمَرٌ وَعَمْرُوزَةُ : أَيْ مَطْعَنٌ أَوْ مَطْمَعٌ . (٤) الرُّخْصَةُ : السَّهِيلُ .
 - (٥) أَلَا يَأْلُو : قَصَرَ ، أَيْ لَمْ أَقْصُرْ فِي نَصِيحَتِكُمْ .
 - (٦) صَطَفَى الْأَصْلَ كَقَعْدَةٍ وَأَرَى أَنَّهُ لِمَا اسْمُ فَاعِلٍ مِنْ كَسَبِ النَّاشِدِ ، كَسَبَ الْكِنْسَةَ : هَيَّأَهَا ، وَالْكِنْسَةُ : الْقِطْعَةُ مِنَ الْخَشِّ جَمْعُهُ ، أَيْ ارْجِعُوا إِلَى فَائِدَتِكُمْ ، وَإِلْمَا مَصْدَرٌ مَسْمُوعٌ أَوْ اسْمُ مَكَانٍ يَمَعَى احْتِمَاكُم أَوْ مَكَانَ احْتِمَاكُم ، كَتَمْتُمْ مَكْسُوا : أَيْ جَمَعْتُمْ فِدَجْتُمْ .
 - (٧) نَقَعَهُ كَسَمَعَهُ : صَادَقَهُ أَوْ أَحْدَثَهُ أَوْ ظَهَرَ بِهِ أَوْ أَدْرَكَهُ .

« أما بعدُ : فإنَّ الناسَ لما بلغهم وفاةُ الأمير - رحمةُ الله عليه - تفرقوا ، فلم يَبْقَ معنا أحدٌ ، فأقبلنا إلى الأمير وإلى مِصْرنا ، وأحببنا ألا ندخل الكوفة إلا بإذن الأمير وعلمه » . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٨)

١٥٠ - رد عمرو بن حريث عليهم

فكتب إليهم :
« أما بعدُ : فإنكم تركتم مكاتبكم وأقبلتم حاصين مخالفين ، فليس لكم عندنا إذن ولا أمان » .

فانتظروا حتى إذا كان الليل دخلوها بغير إذن ، فلم يزل المهلب في عدد قليل حتى ولى الحجاج بن يوسف العراق (سنة ٧٥ هـ) .
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٠٨)

١٥١ - كتاب عبد الملك بن مروان إلى

أخيه عبد العزيز

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة أن بسر بن مروان ولي البصرة أولاً ، ثم ضمت إليه الكوفة ، قال :

لما أراد عبد الملك بن مروان أن يولي أخاه بسر بن مروان على العراق ، كتب إلى أخيه عبد العزيز بن مروان وهو بمصر ، وبشر معه يقود الجنود ، وكان يومئذ حديث السن :

« إني قد ولّيت أخاك بسرًا البصرة فأشخص معه موسى بن نصير

وزيراً ومشيراً ، وقد بعثتُ إليك بديوان العراق فادفعه إلى موسى وأعلمه
أنه المأخوذ بكل خلل وتقصير» :

فشخص بشر من مصر إلى العراق ، ومعه موسى بن نصير حتى نزل
البصرة ، فلما نزلها دفع إلى موسى بن نصير خاتمه ، وتخلّى عن جميع العمل ،
حتى أتته ولاية الكوفة ، وقد صمّت إليه مع البصرة .
(الإمامه والسياسة - ٢ : ٤٢)

١٥٢ - كتاب عبد الله بن عمر إلى عبد الملك بن مروان

وكان عبد الملك قد وجّه الحجاج إلى الحجاز لقتال عبد الله بن الزبير
فحاصره بمكة ، وما زال ابن الزبير يقاتل حتى قتل سنة ٧٣ هـ ، وبعث
عبد الملك إلى الحجاج عهده بولاية الحجاز ، واليمن ، واليمامة ، وكتب
عبد الله بن عمر إلى عبد الملك يبيعه لما قتل ابن الزبير ، وكان كتابه
إليه يقول :

« لعبد الملك بن مروان من عبد الله بن عمر ، سلام عليك ، فإنني أفررت
لك بالسمع والطاعة على سنة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وبيعة
نافع مولاى على مثل ما بايعتك عليه » . (العقد المرمد - ٢ : ٢٦٦)



وروى صاحب صبح الأعشى هذا الكتاب قال :
كتب عبد الله بن عمر رضى الله عنهما إلى عبد الملك بن مروان
في خلافته :

« أما بعدُ : لعبد الله عبد الملك أمير المؤمنين من عبد الله بن عمر ، سلام عليك ، فإنني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، وأمرى السمع والطاعة على كتاب الله ، وسنة نبيه فيما استطعت » . (صحح الأعمش ٦ : ٤٨٠)

١٥٣ - كتاب محمد بن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان

وكتب محمد بن الحنفية يبيعه لما قتل ابن الزبير ، وكان في كتابه :
« إني اعتزلت الأمة ، عند اختلافها ، فقعدت في البلد الحرام الذي من دخله كان آمناً ، لأحرز ديني ، وأمنع دمي ، وتركت الناس ، » قلُّ كلُّ يعمل على شاكلته^(١) فرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا » وقد رأيتُ الناس قد اجتمعوا عليك ، ونحن عصاة من أمتنا لا نُفارق الجماعة ، وقد بعثت إليك منا رسولاً ليأخذ لنا منك ميثاقاً ، ونحن أحق بذلك منك ، فإن أبيتَ فأرض الله واسِعةً ، والعاقبة للمتقين » (المعتمد العريد ٢ : ٢٦٢)

١٥٤ - رد عبد الملك على ابن الحنفية

فكتب إليه عبد الملك :

« قد باغى كتابك بما سألته من الميثاق لك وللعصاة التي معك ، فلك عهدُ الله وميثاقه أن لا تُهاجَ في سلطاننا : غائباً ولا شاهداً ، ولا أحدٌ من أصحابك ، ما وفوا ببيعتهن ، فإن أحببتَ المُقامَ بالحجاز فأفيم ، فإن ندعَ صلتك

(١) المماكلة : الطريقه والمذهب ، واليه .

وَبِرِّكَ ، وَإِنْ أَحْبَبْتَ الْمُقَامَ عِنْدَنَا فَاشْخَصْ إِلَيْنَا فَلَنْ نَدَعَ مَوَاسَاتِكَ ، وَلَعَمْرِي
لَتُنْ أُلْجَأْنَاكَ إِلَى الذَّهَابِ فِي الْأَرْضِ خَائِفًا لَقَدْ ظَلَمْنَاكَ وَقَطَعْنَا رَحْمَتَكَ ،
فَاخْرُجْ إِلَى الْحِجَابِ فَبَايِعْ ، فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمُحْمَدُ عِنْدَنَا دِينًا وَرَأْيَا ، وَخَيْرُ
مَنْ ابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَأَرْضِي وَأَتَّقِي » . (القصد الفريد ٢ : ٢٦٢)

١٥٥ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

وكتب إلى الحجاج بن يوسف :
« لَا تَعْرِضْ لِمُحَمَّدٍ وَلَا لِأَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِهِ » وَكَانَ فِي كِتَابِهِ :
« جَنَّبَنِي دِمَاءَ بَنِي عَبْدِ الْمَطْلَبِ ، فَلَيْسَ فِيهَا شِفَاءٌ مِنَ الْحَرْبِ ^(١) ، وَإِنِّي
رَأَيْتُ بَنِي حَرْبٍ ^(٢) سُلِبُوا مُلْكَهُمْ لَمَّا قَتَلُوا الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ .
فَلَمْ يَتَعَرَّضْ الْحِجَابُ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّالِبِينَ فِي أَيَّامِهِ ^(٣) .
(القصد الفريد ٢ : ٢٦٣ ، ٢٥٥)

١٥٦ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يقول :
« إِنِّي حُزْتُ الْحِجَابَ بِشِمَالِي ، وَبَقِيتُ يَمِينِي فَارِغَةً ^(١) - يَعْرِضُ بِالْعِرَاقِ -
فَبَعَثَ إِلَيْهِ بِعَهْدِهِ عَلَى الْعِرَاقِ ، فَوَلِيَهُ بَعْدَ بَشْرِ بْنِ مَرْوَانَ . (سرح العيون ص ١١٤)

(١) الحرب : شدة العضب .

(٢) يعنى معاوية وعقبه « وهو معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمة » .

(٣) وفي رواية السعدي في مروج الذهب ج ٢ : ص ١٥٩ :

« وكسب عبد الملك إلى الحجاج : « جئني دماء آل أبي طالب ، فإنني رأيت الملك استنوحش من
آل حرب حين سفكوا دماءهم » فكان الحجاج يجلبها خوفا من زوال الملك عنهم ، لا خوفا من
الحاق عزّ وحلّ » .

(٤) أخذ ذلك من زياد - انظر ص ٥٢ - .

١٥٧ - كتاب خالد بن أبان إلى موسى بن نصير

وكان عبد الملك قد أراد موسى بن نصير لأمر عتب عليه منه ، فكتب خالد بن أبان من الشام إلى موسى بن نصير :

« إنك معزول ، وقد وُجِّه إليك الحجاج بن يوسف ، وقد أمر فيك بأغلظ أمر ، فالتجاة النجاة ، والوحي الوحي ^(١) ، فإما أن تلحق بالفرس فتأمن ، وإما أن تلحق بعبد العزيز بن مروان مستجراً به ، ولا تمكّن ملعون ثقيف من نفسك فيحكم فيك » .

فلما أتاه الكتاب ركب النجائب ولحق بالشأم وبها بوهئذ عبد العزيز ابن مروان فدوّد بأموال مصر » . (الإمامة والساسة ٢ : ٤٣)

١٥٨ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج من العراق :

« بأمر المؤمنين ، إنه لا قدر لما افنطعه موسى بن نصير من أموال العراق ، وليس بالعراف فابعت به إلى » .

وكانت لموسى بد عظيمة عند عبد العزيز بن مروان فأدحاه عبد العزيز على عبد الملك ، فقرّره عبد الملك بأنه امنطع القي ، وامنطع موسى من تلك

(١) الوحي : العجلة والإبراع ، وعند .

الثَّهْمَة ، فأقسم عبد الملك لِيُغَرِّمَنَّهُ ، فأعانه عبد العزيز بخمسين ألفاً ، وأدَّى
خمسين ألفاً في ثلاثة أشهر نَجَمَها^(١) عليه . (الإمامة والسياسة ٢ : ٤٣)

١٥٩ — كتاب موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان

ورجع عبد العزيز بن مروان إلى مصر وسار موسى معه فكان من
أشرف الناس عنده ، فأقام بها ما أقام حتى فِدِمَ حَسَّانُ بن الثَّعْمَانِ من
إفريقية يريد الشام إلى عبد الملك ، وقد فتح له بها فتحاً ، فأجازه عبد الملك
وزاده « بَرَقَة » وردّه إلى إفريقية والياً ، فأقبل حتى نزل مصر ، وبلغ
عبد العزيز أن عبد الملك وَلَّاهُ بَرَقَة ، فبعث إليه وأراده على أن ينزل عنها فأبى
فقال له : اقم في بيتك وسيؤلى هذا الأمر من هو خير منك ، وأولى به
منك في تجربته ومعرفته وسبأسته ، ويُغْنِي اللهُ أُمْرَ المؤمنين عنك ، وأخذ
عهده ووزَّقه ، ودعا جموع بني نصر فعقد له على إفريقية سنة ٧٩ هـ فقدمها
والياً عليها .

وكان بزَغْوَان^(٢) قوم من البربر عليهم عظيم من عظمائهم ، فكانوا
يُعَبِّرون على سَرَح^(٣) المساهين ويرصدون غريبتهم — والذي بين زغوان وبين

(١) شم الدين : أذاه حوما جمع شم كشمس ، وكان العرب يؤقت طلوع الحوم لأهم ما كانوا
يعرفون الحساب ، وإعما شرمطون أوقات السنة بالأقواء ، وكانوا سمون الوف الذي سل منه الأداء
محماً محورا ، لأن الأداء لا يعرف إلا بالشم ، ثم توسعوا حتى سموا الوطنمة شماً ، لوهوعها في الأصل
في الوقت الذي دطلع فيه اللحم ، واشتموا منه فقالوا تحمت الدين إذا جعله شوما .

(٢) زغوان : جبل بإفريقية بالقرب من تونس

(٣) السرح : المال السائم .

الْقَيْرَوَانِ يَوْمَ إِلَى اللَّيْلِ - فَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ مُوسَى خَمْسَ مِائَةِ فَارِسٍ فَقَاتَلُوهُمْ وَهَزَمَهُمُ
اللَّهُ وَقَتَلَ صَاحِبَهُمْ ، وَفَتَحَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، فَبَلَغَ سَبْيُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَشْرَةَ آلَافٍ
رَأْسٍ - وَكَانَ أَوَّلُ سَبْيٍ دَخَلَ الْقَيْرَوَانَ فِي وَلَايَةِ مُوسَى - ثُمَّ وَجَّهَ ابْنَهُ
عَبْدَ الرَّحْمَنِ إِلَى بَعْضِ نَوَاحِيهَا فَأَتَاهُ بِمِائَةِ أَلْفِ رَأْسٍ ، ثُمَّ وَجَّهَ ابْنَهُ مَرْوَانَ فَأَتَاهُ
بِمِثْلِهَا ، فَكَانَ الْخُمْسُ يَوْمَئِذٍ سِتِينَ أَلْفَ رَأْسٍ .

وَكَتَبَ مُوسَى بْنُ نَصِيرٍ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بِمِصْرَ « يُخْبِرُهُ بِالذِّى
فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَأَمَكَّنَ لَهُ ، وَيُعَلِّمُهُ أَنَّ الْخُمْسَ بَلَغَ ثَلَاثِينَ أَلْفًا » وَكَانَ ذَلِكَ
وَهَا مِنْ الْكَاتِبِ .

١٦٠ - رَدُّ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى مُوسَى

فَلَمَّا رَأَى عَبْدُ الْعَزِيزِ الْكِتَابَ دَعَا الْكَاتِبَ فَقَالَ لَهُ : وَيَحْكُ ، أَفَرَأَى هَذَا
الْكِتَابَ ! فَلَمَّا رَأَاهُ قَالَ : هَذَا وَهُمْ مِنَ الْكَاتِبِ فَرَاغَهُ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
عَبْدُ الْعَزِيزِ :

« إِنَّهُ بَلَغَنِي كِتَابُكَ تَذَكَّرْتُ فِيهِ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ خُمْسُ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ثَلَاثِينَ
أَلْفَ رَأْسٍ ، فَاسْتَكْرَتُ ذَلِكَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ وَهُمْ مِنَ الْكَاتِبِ ، فَارْتَدَّ
إِلَيَّ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى حَقِيقَةٍ وَاحِدَ رِوَاهِمَ » .

١٦١ - رد موسى على عبد العزيز

فلما قَدِمَ الكتاب على موسى كتب إليه .
« بلغني أن الأمير - أبقاه الله - يذكر أنه استكثر ما جاءه من العِدَّة
التي أفاء الله عليَّ ، وأنه ظن أن ذلك وهم من الكاتب ، فقد كان ذلك وهماً
على ما ظنَّه الأميرُ ، والخمُسُ أيها الأمير ستون ألفاً ، حقّاً ثابتاً بلا وهم » .
فلما أتى الكتاب إلى عبد العزيز وقرأه ، ملأه سروراً .
(الإمامة والسياسة ٢ : ٤٦)

١٦٢ - كتاب عبد الملك إلى عبد العزيز

وذكروا أن عبد العزيز بن مروان لما عزل حَسَّان بن النعمان ، وولى
موسى بن نصير ، وفتحَ اللهُ لموسى ، بلغ ذلك عبد الملك بن مروان ، فكره
ذلك وأنكره ، ثم كره رَدَّ رأيِ عبد العزيز ، ثم همَّ بعزل موسى لسوء رأيه
فيه ، ثم رأى أن لا يردَّ ما صنع عبد العزيز ، فكتب عبد الملك إلى عبد العزيز :
« أما بعدُ : فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من رأيك في عزل حسان
وتوليتك موسى مكانه ، وعلم الأمر الذي له عزَلْتَه ، وقد كنتُ أُنْتَظِرُ منك
مثلاً في موسى ، وقد أمضى لك أمير المؤمنين من رأيك ما أمضيتَ
وولايَتِكَ من وَلَّيْتَ ، فاستوصِ بحَسَّان خيراً فإنه ميمونٌ الطائرُ ، والسلام »
(الإمامة والسياسة ٢ : ٤٦)

١٦٣ - رد عبد العزيز على عبد الملك

فلما قدم الكتاب على عبد العزيز كتب إلى أخيه عبد الملك :
« أما بعدُ : فقد بلغني كتابُ أمير المؤمنين في عزل حسان ، وتوليتي
موسى بن نصير ، وقد كان لِإِثْلِهَا مني منتظرًا في موسى ، ويُعلمني أنه قد أمضى
لي من رأيي ما أمضيتُ ، وولائي مَنْ وَلَّيْتُ ، وقد علمتُ أن أمير المؤمنين
يتفاهل بحسان الَّذِي فَتَحَ اللَّهُ على يديه ، ولم أعدْ مع نظري لأمر المؤمنين
بأن عزلتُ حسانَ وولَّيتُ موسى في يُمن طائرهُ وحُسن أثرهُ ، فأما قولُ أمير
المؤمنين « قد كنتُ أنتظرُها منك في موسى » فلعمري لقد كنتُ لها فيه
مرصداً ، ولأمر المؤمنين أن يسبقَ بها إليه منتظراً ، حتى حَضَرَ أمرُ جَهْدَتُ
فيه نفسي لأمر المؤمنين ولنفسى الرأي والنصيحة ، والسلام . »

(الإمامة والسياسة ٢ : ٤٦)

١٦٤ - كتاب عبد العزيز إلى عبد الملك

وكتب عبد العزيز إلى عبد الملك :
« أما بعدُ : فإنني كنتُ وأنت يا أمير المؤمنين في موسى وحسان ،
كالمراهنين أرسلنا فَرَسَيْهَا إلى غايتهما ، فأتيا معا ، وقد مُدَّت الغايةُ لأحدهما ،
ولك عنده مَرِيدٌ إن شاء الله ، وقد جاءني بأمر المؤمنين كتاب من موسى ،
وقد وَجَّهْتُه إِلَيْكَ لِتَقْرَأَهُ ، وتحمّد الله عليه ، والسلام . »

(الإمامة والسياسة ٢ : ٤٧)

١٦٥ — رد عبد الملك على عبد العزيز

فكتب إليه عبد الملك :

« أما بعدُ : فقد بلغ أمير المؤمنين كتابك ، وفهم المثل الذى مثلته فى حسان وموسى ، ويقول لك : عند أحدهما مزيدٌ ، وكلُّ قد عرّف الله على يده خيرا ونصرا ، وقد أجريتَ وخدك ، وكلُّ مُجرب بالخلاء مسرور^(١) ، والسلام »
(والإمامة والسياسة ٢ : ٤٧)

١٦٦ — كتاب الحجاج إلى المهلب

ولما ولي الحجاج العراق ، قدّم الكوفة فخطب أهلها خطبته المشهورة ، واستنفرهم لقتال الخوارج مع المهلب ، وتوعّد من تخلف ، ثم خرج إلى البصرة ، فقام فيها بخطبة مثل التى قام بها فى أهل الكوفة ، وتوعدهم مثل وعيده إياهم ، فتدفّق الناس على المهلب فقال : جاء الناس رجل ذكر^(٢) ، وكتب الحجاج إلى المهلب ، وإلى عبد الرحمن بن مخنف :

« أما بعدُ : إذا أتاكم كتابى هذا فناهضوا الخوارج ، والسلام » .
(تاريخ الطرى ٧ : ٢١٥)

(١) هو مل ، ورواه المداينى فى مجمع الأمال « كل محر فى الخلاء يسر » قال وروى : « كل محر عملاء مجيد » قال : وقال أيضا : « كل محر بجلد ساق » وقال صاحب النساء فى مادة « سرر » وقد سرّبه أسره : أى فرّحنا ، والمثل الذى جاء « كل محر بالخلاء مسر » إمّا على توهم أسر .

(٢) أى قوى شجاع أقر .

١٦٧ — كتاب الحجاج إلى المهلب

وكتب الحجاج إلى المهلب :

« أما بعدُ : فَإِنْ بَشَّرَا - رحمه الله - اسْتَكْرَهَ^(١) نَفْسَهُ عَلَيْكَ ، وَأَرَاكَ غِنَاهُ عَنْكَ ، وَأَنَا أُرِيكَ حَاجَتِي إِلَيْكَ ، فَأُرِنِي الْجِدَّ فِي قِتَالِ عَدُوِّكَ ، وَمَنْ خَفَفْتَهُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ مِمَّنْ قَبْلَكَ فَاقْتُلْهُ ، فَإِنِّي قَاتِلٌ مَنْ قَبْلِي ، وَمَنْ كَانَ عِنْدِي مِنْ وَلِيٍّ مَنْ هَرَبَ عَنْكَ فَأَعْلَمْنِي مَكَانَهُ ، فَإِنِّي أُرَى أَنْ آخُذَ الْوَلِيَّ بِالْوَلِيِّ^(٢) ، وَالسَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ » .

١٦٨ — رد المهلب على الحجاج

فكتب إليه المهلب :

« لَيْسَ قِتْلٌ إِلَّا مُطِيعٌ ، وَإِنْ النَّاسُ إِذَا خَافُوا الْعُقُوبَةَ كَبَّرُوا الذَّنْبَ ، وَإِذَا أَمِنُوا الْعُقُوبَةَ صَغُرُوا الذَّنْبَ ، وَإِذَا يَتَسَوَّاهُ مِنَ الْمَفْوَءِ أَكْفَرَهُمْ ذَلِكَ ، فَهَبْ لِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَمَّيْتَهُمْ عُصَاةً ، فَإِنَّمَا هُمْ قُرْصَانُ أَبْطَالٍ ، أَرْجُو أَنْ يَقْتُلَ اللَّهُ بِهِمُ الْعَدُوَّ ، وَنَادِمٌ^(٣) عَلَى ذَنْبِهِ » .

فلما رأى المهلب كثرة الناس عليه قال : الْبُومَ فَوْتَلَنَ هَذَا الْعَدُوَّ .

(الكامل للمرد ٢ : ٢١٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٩٧)

(١) أى حل نفسه على كراهيتك .

(٢) ومن قبله زياد قول في خطبته السراء : « ولانى أقسم بالله لأحدثن الولي بالمولي » وسمك م

اممه اسمك وطيرك .

(٣) معطوف على قرسان أبطال ، بمعنى الجمع : أى مادمون .

١٦٩ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وخرج المهلب في آثار الخوارج ، ونسب بينه وبينهم القتال ،
فانكشفوا ، وقد كثر فيهم القتل والجراح ، وكتب الحجاج إلى المهلب
من قبل الوقعة :

« أما بعدُ : فإنه بلغني أنك أقبلت على جباية الخراج ، وتركت قتال
العدو ، وإني وليتكَ وأنا أرى مكان عبد الله بن حكيم المُجَاشِعِي ، وعبادِ
ابن حُصَيْنِ الحَبْطِيِّ ، واخبرتكَ وأنت من أهل عُثْمَانَ ، ثم رجل من الأزد ،
فالتقهم يوم كذا في مكان كذا ، وإلاَّ أشرعتُ^(١) إليك صدرَ الرمح » :
فشاور بنيه فقالوا : إنه أمير ، فلا نغلظُ عليه في الجواب .

١٧٠ - رد المهلب على الحجاج

فكتب إليه المهلب :

« وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُكَ تَرْعُمُ أَنِي أَقْبَلْتُ عَلَى جَبَايَةِ الْخَرَاجِ ، وَتَرَكْتُ قِتَالَ
الْعَدُوِّ ، وَهِيَ عَجْزٌ عَنْ جَبَايَةِ الْخَرَاجِ فَهُوَ عَنْ قِتَالِ الْعَدُوِّ عَجْزٌ ، وَزَعَمْتَ أَنَّكَ
وَلَّيْتَنِي وَأَنْتَ تَرَى مَكَانَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَكِيمِ الْمُجَاشِعِيِّ ، وَعَبَادِ بْنِ حُصَيْنِ
الْحَبْطِيِّ ، وَلَوْ وَلَّيْتَهُمَا لَكَانَا مُسْتَحَقِّينَ لَذَلِكَ ، فِي فَضْلِهِمَا وَغَنَائِهِمَا^(٢) وَبَطْشِهِمَا ،
وَاخْتَرَنِي وَأَنَا رَجُلٌ مِنَ الْأَزْدِ ، وَلَعَمْرِي إِنْ سَرَا مِنْ الْأَزْدِ لَقِيلَةُ تَنَازَعُهَا

(١) أى سددت . (٢) كفايتهما .

ثلاث قبائل لم تستقر في واحدة منهن^(١) ، وزعمت أني إن لم ألقهم في يوم

(١) يعنى قبيلة ثقيف قبيلة الحجاج فهي متنازعة بين هوازن وإياد وعمود ، وهاك كلمة عن نسبها :
اختلف السابون في نسب ثقيف على ثلاثة أقوال :

فقال قوم منهم من هوازن ، وهو القول الذى يزعمه الثقيفون ، قالوا إن حديم ثقيفا هو ثقيف (واسمه قسي) بن مسه بن مكر بن هوازن بن منصور بن عكرمه بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وعلى هذا القول جمهور الناس . ويزعم آخرون أن ثقيفان لإياد بن نزار بن معد ابن عدنان ، ويقولون هو قسي بن منبه بن البيت بن منصور بن يقدم بن أقصى بن دهمي بن إياد ، وإلى النخ أخوه لأبيه وأمه ، ثم افترقا ، فصار أحدهما في عداد هوازن ، والآخر في عداد مذحج بن مالك بن زيد بن عرب بن زيد بن عهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ، قالت أخت الأشتر وهو مالك بن الحرث النخعي تبكيه :

أبعد الأشتر النخعي نرجو مذبذبة وتقطع بطن وادي
ونصحب مذحجا بإخاء صدق وإن نسب فتحن ذرا إياد
صف عمنا وأبو أبنا وإخوتنا نزار أولو السداد

وروى أن الميرة بن شعبة وهو والى الكوفة صار إلى دير همد بنت النعمان بن المنذر في الحيرة ، وهي فيه عمياء متهمة ، فاستأذنها عليها ، فقبل لها أمير هذه المدرة الناب (والمدرة بالتحريك : المدينة) فقالت : قولوا له : أس ولد حلة بن الأيهم أنت ؟ قال : لا ، قالت : أفن ولد المنذر بن ماء السماء ؟ قال : لا ، قالت : فن أنت ؟ قال : المغيرة بن شعبة الثقفي ، قالت : فما حاجتك ؟ قال : حثك خاطبا ، قالت : لو كنت حثتي لجمال أولمال لأطابتك ، (أى أعطيتك مطايت) ولكنك أردت أن تتصرف في المحافل فتقول : تكنت ابنة النعمان بن المنذر ، وإلا فأى خير في اجتماع أعور وعمياء ؟ (وكانت عيه قد ذهبت في وقعة اليرموك — اطر ترجمته في أسد العانة) فبعث إليها : كيف كان أمركم ؟ فقالت : سأختصر لك الجواب : أمسينا وأيس في الأرض عربى إلا وهو — عى إلينا ويرهنا ، ثم أصبحنا وأيس في الأرض عربى إلا ونحن نرعب إليه ونرهبه ، قال : فما كان أبوك يقول في ثقيف ؟ قالت : اختصم إليه رجال منهم ، أحدهما ينميها إلى إياد والآخر إلى بكر بن هوازن ففصى بها الإيادي ، وقال :

إن نفيقا لم يكن هوازنا ولم يناسب عامرا ومارنا

(يريد عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور ومارن بن منصور) فقال المغيرة :
أما نحن فن بكر بن هوازن . فليقل أبوك ماشاء ثم انصرف .

وقال قوم آخرون إن ثقيفا من قبايا عمود من العرب القديمة التي بادت وانهرست ، قيل : كان عبدا لأبى رغال (ككتاب) وكان أصله من قوم نحووا من ثود فأتته بعد ذلك إلى قيس بن عيلان ، روى عن علي بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه مر بثقيف فتماروا به فرحح إليهم فقال لهم : يا عبيد أنى رغال ، إنا كان أبوك عبدا له مهرب منه فتقمه (كسمع : أى طهره) بعد ذلك ، ثم اتقى إلى قيس ، وروى أيضا أن عليا قال على المبر بالكوفة — ودكر ثقيفا — « امدهمت أن أصنع على ثقيف الحزبية ، لأن نفيقا كان عبدا لصالح بن الله عليه السلام ، وأنه سرحه إلى عامل له على الصدقة فبعث

كذا في مكان كذا ، أشرعت إلى صدر الرمح ، فلو فعلت لقلبت إليك
ظَهَرَ الْمَجَنُّ^(١) ، والسلام .

(الكامل للبرد ٢ : ٢١٥ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٩٧ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٦)

١٧١ - كتاب الحجاج إلى المهلب

ووجه الحجاج البراء بن قبيصة إلى المهلب يستحثه في مناجزة القوم ،
وكتب إليه :

« إنك لتحب بقاءهم لنا كل بهم » .

فقال المهلب لأصحابه : حرّ كؤم^(٢) ، فشهد البراء من جلدهم وثباتهم

العامل معه بها ، فهرب واستوطن الحرم ، وإن أولى الناس بصالح عهد صلى الله عليهما وسلم « وسيرد عليك قريباً أن عبد الملك بن مروان كتب في إحدى رسائله إلى الحجاج يقول : « لقد جالت البصيرة في تحقيق بصالح النبي صلى الله عليه وسلم ، إذ أثمنت على الصدقات ، وكان عبده ، فهرب بها عنه » وقال شبيب بن يزيد الشيباني الحارثي حين دخل الكوفة في عهد الحجاج سنة ٧٦ هـ :

عدد دعي من ثمود أصله لا بل قال أبو أيهم يقدم

(ويقدم كينصر من أناء إياد وجدّ نيف - على رأى - كما قدما) وقد قال الحجاج على المنبر : يزعمون أنا من بقايا ثمود ، فقد كذبهم الله قوله : « وَثُمُودٌ قَماً أَبْقَى » وقال مرة أخرى : ولئن كننا من بقايا ثمود لما نعلم مع صالح إلا خيارهم .

انظر شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٣٩٢ والكامل للبرد ١ : ٢٢٤ ومروج الذهب ٢ : ٦٨ والأغانى ٤ : ٧٤ وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ والعقد الفريد ٣ : ٨ .

(١) الخن : الثرس ، وقل له طهر الخن : كلة تضرب مثلاً لمن كان لصاحبه على مودة أو رعاية ثم حال عن ذلك ، أى أسقط الحياء وفعل ماشاء .

(٢) قال أبو العباس : « تخرج فرسان من أصحابه إليهم تفرج إليهم من الحوارج جمع ، فافتتلوا إلى الليل ، فقال لهم الحوارج : ويلكم ، أما تملون ؟ فقالوا : لا ، حتى تملوا . قالوا : فن أنتم ؟ قالوا : تميم ، قالت الحوارج : ونحن نوتيم ، فلما أمسوا افترقوا ، فلما كان العد خرج عشرة من أصحاب المهلب وخرج إليهم عشرة من الحوارج ، فاحتقر كل واحد منهم حفيرة وأثنت قدمه فيها ، فكلما قتل رجل جاء رجل من أصحابه فاجتره ووقف مكانه حتى أعتموا ، فقال لهم الحوارج : ارجعوا . فقالوا : بل ارجعوا أنتم ، فقالوا : ويلكم ، من أنتم ؟ فقالوا : تميم ، قالوا : ونحن تميم .

ما أدهشه ، فرجع إلى الحجاج ، فقال له : مَهْمٌ^(١) ، قال : « رأيت أيها الأمير قوماً لا يعين عليهم إلا الله » .

١٧٢ - رد المهلب على الحجاج

وكتب المهلب جواب الحجاج :
« إني منتظرٌ بهم إحدى ثلاثٍ : موت ذريع^(٢) ، أو جوع مُضِرٌّ ،
أو اختلافٌ من أهوائهم^(٣) » .
(السكامل للبرد ٢ : ٢١٧ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٣٩٨)

صورة أخرى لكتاب الحجاج إلى المهلب

وقال الطبري في هذا الصدد :
وبعث الحجاج إلى المهلب البراء بن قبيصة وكتب إلى المهلب :
« أما بعدُ ، فإنك والله لو شئتَ فيما أرى لقد اضطَلَمْتَ^(٤) هذه
الخارجة المارقة ، ولكنك تُحِبُّ طولَ بقائهم لتأكلَ الأرضَ حَوْلَكَ ، وقد
بعثتُ إليك البراء بن قبيصة ليُنْهَضَكَ إليهم فأنهضُ إليهم إذ أقدمَ عليك بجميع

(١) كلمة يمايه . استصهام معه : ما الحر وما الأمر .

(٢) الموت الذريع : العائى .

(٣) وقد بدر المهلب بينهم بدور الشقاق والاختلاف حتى اضطرب أمرهم واسكت قتلهم كما سببه بعد

(٤) اضطلمه : أسأصله .

المسلمين ، ثم جاهدْهم أشدَّ الجهاد ، وإياك والعِلَلَّ والأباطيل^(١) . والأمور التي ليست لك عندي بسائغةٍ ولا جائزةٍ والسلام^(٢) .

صورة أخرى لرد المهلب على الحجاج

فكتب المهلب إلى الحجاج :

« أما بعد : فقد أتاني كتابُ الأمير - أصلحه الله - واتَّهَمَهُ إِيَّاي في هذه الخارجة المارفة ، وأمرني الأمير بالنهوض إليهم ، وإشهاد رسولِهِ ذلك ، وقد فعلت ، فليسأله عما رأى ، فأَمَّا أَنَا فوالله لو كنت أقدرُ على استئصالهم ، أو إزالتهم عن مكانهم ، ثم أمسكت عن ذلك ، لقد غَشَشْتُ المسلمين ، وما وَفَيْتُ لأُمير المؤمنين ، ولا نصحتُ للأمير - أصلحه الله - فعاذَ اللهُ أَن يكون هذا من رأيي ، ولا مما أَدِينُ اللهُ به ، والسلام . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٩)

(١) الأباطيل : جمع أبطوله صم المهره ، أو جمع لبطالة الكسر ، أو جمع باطل على غير قياس .
(٢) قال : فأخرج المهلب بنه ، كل ابن له في كتبة ، وأخرج الناس على رأيهم ومصابهم وأحاسيمهم ، وحاء البراءة قصة فوقه على بل قيب مهم حيث راءهم ، فأحدث الكتائب محمل على الكتائب والرجال على الرجال ، فقتلوا أشد قتال راء الناس من صلاة العداة إلى انتصاف النهار ثم انصرفوا ، وحاء البراءة إلى المهلب فقال له : لا والله ما رأيك كيدك فرسانا قط ، ولا كفرسانك من العرب فرسانا قط ، ولا رأيك مل قوم يقاتلونك قط أصبر ولا أناس ، أنت والله المدور ، فرجع بالناس المهلب حتى إذا كان عند العصر خرج إليهم بالناس وبنه في كتائبهم فقاتلوه كفصلهم في أول مره ، حتى ححر الليل بينهم فاصرفوا عند المساء ، قال المهلب للبراء : كيف رأيك ؟ قال : رأيت يوما والله ما يعبئك عليهم إلا الله ، فأحسن إلى البراء وأحاره وحمله وكساه وأمر له بعشرة آلاف درهم ، ثم انصرف إلى الحجاج فأماه بعدد المهلب وأحاره عما رأى .

١٧٣ - كتاب الحجاج إلى المهلب

ووجه الحجاج الجراح بن عبد الله إلى المهلب يستبطنه في مناجزة القوم ، وكتب إليه :

«أما بعد : فإنك جئيت الخراج بالعلل ، وتحصنت بالخنادر ، وطاولت القوم ، وأنت أعز ناصرا ، وأكثر عددا ، وما أظن بك مع هذا معصية ولا جُبنا ، ولكنك اتخذتهم أسكلا^(١) ، وكان بقاؤهم أيسر عليك من قتالهم ، فتاجزهم وإلا أنكرتني ، والسلام^(٢) » .

١٧٤ - رد المهلب على الحجاج

فكتب المهلب إلى الحجاج :

«أتاني كتابك تستبطنني في إلقاء القوم ، على أنك لا تظن بي معصية ولا جُبنا ، وقد عاتبني معاتبة الجبان ، وأوعدتني وعيد العاصي ، فاسأل الجراح ، والسلام^(٣) » .

(الكامل للمرد ٢ : ٢١٨ ، وسرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٣٩٩ ، ونهاية الأرب ٧ : ٢٤٧)

(١) الأكل كعمل وعق : مايؤكل والرق والحط من الدما .

(٢) فقال المهلب للجراح : يا أبا عمة والله ما ركت حيلة إلا احلها ، ولا مكدة إلا عملها ، وما العجب من إلقاء الصر وتراخي الظفر ، ولكن العجب أن يكون الرأي لمن يملكه دون من يبصره ، ثم ناهض الحوارج ثلاثة أيام يعادهم القتال ، ولا يزالون كذلك إلى العصر ، وبصرف أصحابه وبهم قرح ، والحوارج فرح وفل ، فقال له : قد أعدرت .

(٣) فلما قدم الجراح على الحجاج ، قال له : كيف رأيت أحاك ؟ قال : والله مارأيت أنها الأمير مثله قط ، ولا طيب أن أحدا بقي على مثل ما هو عليه ، ولقد شهدت أصحابه أنما ثلاثة سعدون إلى الحرب ، ثم بصرفون عنها ، وهم بها يطاعنون بالرمح ، ويتحالدون بالسيوف ، ويتحاطون بالعمد ، ثم يروحون كأن لم يصعوا شيئا ، رواج قوم ملك عاديهم ومحارهم ، فقال الحجاج : أشد مامدحته أنا عمة ! قال : الحق أولى .

١٧٥ - كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء

وكتب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء الرياحي من بني رياح بن يربوع ابن حنظلة ، وهو والي أصبهان « يأمره بالسير إلى المهلب ، وأن يضم إليه جند عبد الرحمن بن مخنف ، فكل بلد تدخلانه من فتوح أهل البصرة ، فالمهلب أمير الجماعة فيه ، وأنت على أهل الكوفة ، فإذا دخلتم بلدا فتتجه لأهل الكوفة فأنت أمير الجماعة ، والمهلب على أهل البصرة » .

فقدّم عتاب في إحدى جماديين من سنة ٧٦ على المهلب .

السمل للعدد ٢ : ٢١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٠٠)

١٧٦ - كتاب المهلب إلى الحجاج

قال ابن ثباتة في سرح العيون :

« وكتب الحجاج إلى المهلب يسنبطه في مناجزة الأزارقة ويستعجزه ، فخبس المهلب رسول الحجاج أياما حتى رأى صنع الخوارج وجلدهم وثباتهم ، وكتب إلى الحجاج يقول :

« إن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، فإن كنت نصبتني لحرب هؤلاء القوم ، على أن أدبرها كما أرى ، فإن أمكنتني فرصة اتهمتها ، وإن لم تمكني توقفت ، فانا أدبر ذلك بما يصلحه ، وإن أردت مني أن أعمل وأنا

حاضرته ، برأيت وأنت غائب ، فإن كان صواباً فلكت ، وإن كان خطأً فعلى ،
فابعث من رأيت مكانى ، والسلام^(١) » « سرح العيون ص ١٣٤ »

١٧٧ — كتاب عبد الملك الى الحجاج

وكتب المهلب من قوره إلى عبد الملك ، فكتب إليه عبد الملك :
« لاتعارض المهلب فيما يراه ، ولا تُعجله ، ودعه يدبر أمره »
« الأعاني ١٣ : ٥٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٠٧ »

١٧٨ — كتاب عبد الملك إلى الحجاج

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يُعَلِّظ له أمر الخوارج مع
قطري ، فكتب إليه عبد الملك :
« أما بعد ، فإنني أحمد إليك السيف ، وأوصيك بما أوصى به البكري زيداً .
فلم يفهم الحجاج ما عناه عبد الملك . وقال لحاجبه : ناد في الناس : من
أخبر الأمير بما أوصى به البكري زيداً فله عشرة آلاف درهم ، فورد رجل
من الحجاز يتظلم من بعض عماله ، فقال للحاجب : أنا أخبره ، فأدخله عليه
فقال له : ما قال البكري زيد ؟ قال : قال لابن عمه زيد - والشعر لموسى
ابن جابر الحنفي :

(١) ورواية أبي العرج الأصبهاني : « كتب الحجاج إلى المهلب بأمره بمأجرة الأزارقة وبسبطه
ويضعه ويصره في تأخره أمرهم ومطاولته لهم ، فقال المهلب لرسوله : قل له إنما البلاء أن الأمر إلى
من يملكه لا إلى من سرفه ، فإن كنت نصبي لحرب هؤلاء القوم .. الخ » — الأعاني ١٣ : ٥٧ —

أقول لزيد لا تُزَيِّرْ فإنهم يَرَوْنَ المنايا دون قتلك أو قتلى^(١)
 فإن وضعوا حرّبا فضّعها، وإن أبوا فشبّ وقود الحرب بالحطب الجزل^(٢)
 فإن عصّت الحرب الضروسُ بنايها فعُرْضة نار الحرب مثلك أو مثلى^(٣)
 فقال الحجاج : صدق أمير المؤمنين ، عُرْضة نار الحرب مثلى أو مثله ،
 وصدق البكرى . (مروج الذهب ٢ : ١٥٩ ، وذي الأمانى ص ٧٣)

١٧٩ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وكتب إلى المهلب :
 « إن أمير المؤمنين أوصاني بما أوصى به البكرى زيدا ، وأنا أوصيك به
 وبما أوصى به الحارث بن كعب^(٤) بنيه » .
 فأتى المهلب بوصيته ، فإذا فيها :
 « يا بني كونوا جميعاً ولا تكونوا شتّى^(٥) فتفرّقوا ، وبزّوا^(٦) قبل أن
 تُبزّوا ، فموت في قوة وعز خير من حياة في ذل وعجز » .
 فقال المهلب : صدق البكرى ، والحارث بن كعب .
 (مروج الذهب ٢ : ١٥٩)

(١) التزرة بالاء والياء : لكثارة الكلام وترديده ، والبربرة بالباء أيضا : كثرة الكلام والجلبة والصباح .
 (٢) الحزل : الحطب اليابس ، أو الفليظ العظيم منه .
 (٣) حرب صروس : أكل عضوص ، وأصله من الناقه الضروس ، وهي السيئة الخلق العضوض لحالبها . (٤) هو أحد الجاهليين العميرين .
 (٥) أي متفرقين ، جمع شتيت .
 (٦) بزه : سلبه وفي المثل : « من عزّ بزّ » أي من غلب سلب .

١٨٠ — كتاب أبي خالد القناني الى قطري بن الفجاءة

وقال أبو العباس المبرّد : من طريف أخبار الخوارج قول قطري بن
 الفجاءة المازني لأبي خالد القناني^(١) - وكان من قعد الخوارج - :
 أبا خالد يا أنقر فلست بخالد وما جعل الرحمن عُذراً لقاعد^(٢)
 أترغم أن الخارجي على الهدى وأنت مُقيم بين لصٍ وجاحدٍ ؟
 فكتب إليه أبو خالد :

« لقد زاد الحياة إلى حُبّاً بناقي إنهم من الضعاف
 أحاذر أن يرين الفقر بعدى وأن يشرن رنقاً بعد صافي^(٣)
 وأن يعرين إن كسي الجواري فتنبؤ العين عن كرمٍ محاف^(٤)
 ولولا ذاك قد سوّمت مهري وفي الرحمن للضعفاء كافي^(٥)
 أبانا ، من لنا إن غبت عنا وصار الحى بعدك في اختلاف ؟
 (الكامل للبرد ٢ : ١٢١)

١٨١ — كتاب قطري الى سبرة بن الجعد

وروى المسعودي في مروج الذهب أيضاً قال :
 واتخذ الحجاج سبرة بن الجعد الشيباني سميراً ، فلم يكُ (طاب شيئاً من

(٣) سة إلى ما كسحاب : وهو حل لأسد .

(٤) بالثمة ، وهو للقتال كصرب : ذهب . (٣) الرنق : الكدر .

(٥) بهال : رحل كرم : أي كرم ، وكذا الموث والجمع لأنه مصدره ، وعجاف جمع عفاء ، وهي
 المهرولة . (٥) سومت : أرسلت .

الحديث إلا وجد عنده منه علما ، وكان يرى رأى الخوارج من أصحاب
قطري بن الفُجاءة التميمي (والفُجاءة أمه ، وكانت من بني شيبان ، وإنما هو
رجل من تميم) وكان قطري يومئذ يحارب المهلب ، فبلغ قطريا مكان سبرة
من الحجاج ، فكتب إليه بآيات منها :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ ابْنِ جَعْدٍ وَبَيْنَنَا إِذَا نَحْنُ رُحْنَا فِي الْحَدِيدِ الْمُظَاهِرِ^(١)
تُجَاهِدُ فُرْسَانَ الْمُهَلَّبِ ، كُلُّنَا صَبُورٌ عَلَى وَقْعِ السِّيفِ الْبَوَاتِرِ
وَرَا حَ يَجْرُ الْخَزَّ عِنْدَ أَمِيرِهِ أَمِيرٌ بِتَقْوَى رَبِّهِ غَيْرُ آمِرٍ
أَبَا الْجَعْدِ ، أَيْنَ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالنَّهْيُ وَمِيرَاثُ آبَاءِ كِرَامِ الْعَنَاصِرِ^(٢)
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَوْتَ لَا شَكَّ نَازِلٌ وَلَا بَدَّ مِنْ بَعَثِ الْأُلَى فِي الْمَقَابِرِ
خُفَاءً عُمَرَاءَ وَالتَّرَابُ لَدِيهِمْ فَمِنْ بَيْنِ ذِي رِبْحٍ وَآخَرَ خَاسِرِ
فَإِنَّ الَّذِي قَدْ نِلْتَ يَفْتَنِي ، وَإِنَّمَا حَيَاتُكَ فِي الدُّنْيَا كَوْفَعَةٍ طَائِرِ
فَرَا جِعَ أَبَا جَعْدٍ ، وَلَا تَكُ مُعْضِيًّا عَلَى ظُلْمَةٍ أَغْشَتْ جَمِيعَ النَّوَاطِرِ
وَتُبُّ تَوْبَةٍ تُهْدِي إِلَيْكَ شَهَادَةً فَإِنَّكَ ذُو ذَنْبٍ وَلَسْتَ بِكَافِرٍ
وَسِرْ نَحُونَا تَلَقَّ الْجِهَادَ غَنِيمَةً تُقَدِّكَ ابْتِغَاءً رَاجِحًا غَيْرَ خَاسِرِ
هِيَ الْعَايَةُ الْقُصُوصَى الرَّغِيبُ ثَوَابُهَا إِذَا نَالَ فِي الدُّنْيَا الْغَنَى كُلُّ تَاجِرٍ^(٣)
فلما قرأ كتابه بكى ، وركب فرسه ، وأخذ سلاحه ، ولحق بقطري ،

وطلبه الحجاج فلم يقدر عليه .

(١) عى الحديد الدرع ، وظاهر الدرع : لأم حصا على نص ، وظاهر بين درعين : طاق
وجمع ولس لإحداهما فوق الأخرى ، ومثله قول ورقاء بن رهير :

فنلت عسى يوم أصرب حالدا وعدمه عسى الحديد المظاهر

(٢) النعى : العقل ، وهو يكون جمع هبة (كفرصة) أيضا ، وهى العقل .

(٣) الرغيب ثوابها : أى المرعوب فى ثوابها .

١٨٢ - كتاب سبرة بن الجعد إلى الحجاج

ولم يرع الحجاج إلا كتاب قد بذر منه فيه شعر قطري الذي كان كتب به إليه ، وفي أسفل الكتاب إلى الحجاج أبيات منها :

فَن مُبْلَغُ الْحَجَّاجِ أَنَّ سَمِيرَهُ فَلَى كُلِّ دِينَ غَيْرِ دِينِ الْخَوَارِجِ^(١) ؟
رَأَى النَّاسَ (إِلَّا مَنْ رَأَى مِثْلَ رَأْيِهِ) مَلَاعِينَ تَرَكَينَ قَصْدَ الْمَخَارِجِ^(٢)
فَأَقْبَلْتُ نَحْوَ اللَّهِ بِاللَّهِ وَاتِّقَا وَمَا كُرْبَتِي غَيْرُ الْإِلَهِ بِفَارِجِ
إِلَى عُصْبَةٍ أَمَّا النَّهَارُ فَإِنَّهُمْ هُمُ الْأَسْدُ الْأَسْدُ الْغِيلِ عِنْدَ التَّهَائِجِ^(٣)
وَأَمَّا إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَ فَإِنَّهُمْ قِيَامٌ بِأَنْوَاحِ النِّسَاءِ الْنَوَاشِجِ^(٤)
يَنَادُونَ لِلتَّحْكِيمِ ، تَاللَّهِ إِنَّهُمْ رَأَوْا حُكْمَ عَمْرٍو كَالرِّيَّاحِ الْهَوَائِجِ^(٥)
وَحُكْمَ ابْنِ فَيْسٍ مِثْلَ ذَلِكَ فَأَعْصِمُوا بِحَبْلِ سُدَيْدِ الْمَتْنِ لَيْسَ بِنَاهِجِ^(٦)

فطرح الحجاج هذا الكتاب إلى عتبسة بن سعيد ، فقال : هذا من

سمبرنا الشيباني ، وهو من الخوارج ولا نعلم به ! (مروح الذهب ٢ : ١٢٨)

(١) قلاه كرماء ورصيه : أسعفه وكرمه عاية الكراهة مكره .

(٢) العصد : اسقامة الطريق . (٣) الغيل بالكسر : الشعر الكبير الملتف ، ويهتج .

(٤) حن القيل : أقل . والنواشج : جمع ناشجة ، شج الباكي كصرفت شيئا : عص بالكاء في

حلقة من عبر اسحاب .

(٥) ينادون للتحكيم : كان شعار الخوارج : «لاحكم إلا لله» ولدا سموا «الحكمه» ، وعمرو :

هو عمرو بن العاص .

(٦) ابن قيس هو أبو موسى الأشعري واسمه عند الله بن قيس ، وأعصمه : هيا له شيئا يعتصم

به . وفتح الثوب والحبل مثلثة الهاء : بلى .

١٨٣ - كتاب الحجاج إلى قطري بن الفجاءة

وروى أبو العباس المبرّد في الكامل قال :

قال الحجاج يوماً لعمائر^(١) العرب ، وهم في مجلسه : ما أحسب هذا المزونى^(٢) يناصِحنا في حربنا - يعنى المهلب - والرأى مشرك ، فقالوا : الرأى للأمبر - أصلحه الله - أن يكتب إلى ابن الفجاءة بإطعامه بعض الأرضين ، فإذا هو نَمَحَ^(٣) بطاعته ، وأظهر الدعوة له ، سهّلت الحيلة فيه ، فقال : وقَّكُم الله ، وكتب إلى ابن الفجاءة ، وأنفذه على يد الغضبان ابن القُبَعْرِى الشَّيْبَانِي ، ونسخة الكتاب :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة ، سلام عليك ، المُوَحَّدُ اللهُ ، والمصلّى عليه محمد عليه السلام ، أما بعد ، فإنك كنت أعراباً بدويّاً ، تستطعم الكِسْرَةَ ، وتَخِفُّ إلى التمرة ، ثم خرجت تحاول ما ليس لك بحق ، واهرضت على كتاب الله ، ومرقت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فارجع عما أنت عليه بما زُيِّنَ لك ، وأدعنى فقد آن لك .»

(١) العمائر: جمع عمارة بالفتح وكسر ، وهى أصغر من القلعة ، وطبقات السب ست ، أعلاها : السبع بالفتح ، وهو جمع القائل ، ثم القائل وجمع العمائر ، ثم العمارة وجمع الطون ، ثم الطن وجمع الأخاد ، ثم القعد وجمع القائل ، ثم القصيله ، ثم ثلثا سبع ، وكناية قبيله ، وقريش عماره ، وقصى بطن ، وهاشم خد ، والعباس فصله .

(٢) نسبه إلى مروان كصور ، وهى قرية من قرى عمان (كهرات) نالين ، كان يسكنها اليهود والملاحون ليس بها غيرهم ، وكان الفرس يسمون عمان المرون ، وكان أردعمان - وهم رهط المهلب - يكرهون أن يسموا المرون .

(٣) جمع له جمعه كح : أمر (وجمع بالحق أيضاً . أمره وحصه له) .

فلما أوصل الغضبان الكتاب إلى قطريّ ، قال : يا غلام ، أُرَبِّرُ^(١) هذه
الصحيفة ، فتلا عليه ما فيها ، فتنهّد قطريّ الصُّعداء^(٢) ، فقال : يا غضبان
أُفَيْتَنِي محزوناً ، وأنشأ يقول :

فيا كَبِداً من غير جوع ولا ظمًا وواكبداً من وَجْدٍ أم حَكِيمٍ
فلو شهدْتَنِي يوم دُولابٍ أبصرتُ طِعَانٌ فَتَى في الحرب غير لثيمٍ^(٣)
غَدَاةَ طَفَتْ عَمَاءُ بَكْرٍ بن وائلٍ وَنُجْنَا صدورَ الخيل نحو تميمٍ^(٤)
وكان بعبد القيس أوّلُ حَدَّنَا وآبَ عَمِيْدُ الأزد غيرَ ذَمِيمٍ
يعنى المهلب - وأم حكيم هذه : امرأة من الخوارج قَتَلَتْ بين
يديه^(٥) - ثم قال : يا غلام اكتب :

(١) زبر الكتاب (وذبره أيضاً) قرأه .

(٢) الصُّعداء : تنفس طويل .

(٣) دُولاب : قرية بينها وبين الأهوار أربعة فراسخ ، وقعت فيها وقعة بين أهل البصرة بقيادة مسلم
ابن عيسى وبين الأزارقة بقيادة نافع بن الأرق ، وقتل ابن عيسى وإن الأزرقي في المعركة (ستة
٦٥ هـ) انظر هامش ص ١٠٦ .

(٤) علماء : أى على الماء ، قال المبرد « إن العرب إذا التقت في مثل هذا الموضع لآما استجازوا
حذف أحدهما استقلالاً للتضعيف ، لأن ما بقى دليل على ما حذف ، وكذلك كل اسم من أسماء القبائل
تظهر فيه لام المعرفة ، فإنهم يحذفون معه حذف الـون التي في قولك سو لقرب محرج الـون من اللام
وذلك قولك فلان من بلحارث ولعبر وبلهجم » - الكامل ٢ : ١٨٣ - وعنا : عطفاً .

(٥) روى أبو الفرج الأصبهاني عن ميمون بن هرون قال : « حدثت أن امرأة من الخوارج
كانت مع قطري بن الفجاءة يقال لها أم حكيم ، وكانت من أشجع الناس وأجملهم وجهاً ، وأحسنهم
بدينهم تسكاً ، وخطبها جماعة منهم فردتهم ولم تحب إل ذلك ، فأخبرني من شهدها أنها كانت تحمل
على الناس وترتجز :

أحمل رأساً قد سئمت حمله وقد ملئت دهنه وعسله

ألا فتى يحمل عى ثقله ؟

قال : وهم يعدونها بالآباء والأمهات ، فما رأيت قلبها ولا بعدها مثلاً - الأغاني ٦ : ٦ .

١٨٤ - رد قطري بن الفجاءة على الحجاج

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من قَطَرِيَّ بن الفجاءة إلى الحجاج
 ابن يوسف ، سلام على من اتَّبَعَ الهدى ، ذكرت في كتابك أني كنت
 بدويا أَسْتَطِيعُ الكِسْرَةَ ، وأَبْدُرُ^(١) إلى التمرة ، وبالله لقد قلت زُورا ، بل الله
 بَصَّرَنِي من دينه ما أعماك عنه ، إذ أنت سَأَح في الصَّلَاة ، غَرِق في غَمَرَات
 الكفر ، وذكرت أن الضرورة طالت بي ، فهلا برزلى من حزبك مَنْ
 نال الشَّبَع ، واتكأ فَاتَدَعَ^(٢) ؟ أَمَا والله لئن أبرز الله صَفَحَتَكَ ، وأظهر لي
 صُلْعَتَكَ^(٣) لَتَشْكِرَنَّ شِيعَكَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أن مُقَارَعَةَ الأبطال ، ليس
 كتسطير الأمثال . (الكامل للبرد : ١٨٠)

وروى الجاحظ في البيان والتبيين هذين الكتابين بصورة
 أخرى قال :

صورة أخرى لكتاب الحجاج إلى قطري

كتب الحجاج بن يوسف إلى قطري بن الفجاءة :
 « سلام عليك ، أما بعدُ ، فَإِنَّكَ مَرَّقْتَ من الدين مُرُوقَ السهم من

(١) بدر إليه : عمل إليه واستنق .

(٢) اتدع وودع : سكن واستقر .

(٣) الصلعة نالهم والصلعة بالتحريك : موضع الصلع من الرأس .

الرَّمِيَّةُ^(١) ، قد عَلِمْتَ - حَيْثُ تَجَرَّمْتَ^(٢) ذلك - أَنَّكَ عَاصٍ لِلَّهِ وَلَوْلَاةُ
أَمْرِهِ ، غَيْرَ أَنَّكَ أَعْرَابِي جِلْفٌ^(٣) أُمِّيٌّ ، تَسْتَطْعِمُ الْكِسْرَةَ ، وَتَشْتَقِي بِالثَّمَرَةِ ،
وَالْأُمُورُ عَلَيْكَ حَسْرَةٌ ، خَرَجْتَ لِتَنَاولَ شَبْعَةً ، فَلَحِقَ بِكَ طَعَامٌ^(٤) صَلُّوا
بِمَثَلِ مَا صَلَّيْتَ بِهِ مِنَ الْعَيْشِ ، يَهْزُونُ الرَّمَاحَ ، وَيَسْتَنْشِثُونَ^(٥) الرِّيحَ ، عَلَى
خَوْفٍ وَجَهْدٍ مِنْ أُمُورِهِمْ ، وَمَا أَصْبَحُوا يَنْتَظِرُونَ أَعْظَمُ مِمَّا جَهِلُوا مَعْرِفَتَهُ ،
ثُمَّ أَهْلَكَهُمْ اللَّهُ بَنَزَحَتَيْنِ وَالسَّلَامَ .

صورة أخرى لرد قطري عليه

فأجابه قَطْرِيُّ بْنُ الْفَجَاءَةِ :

« مِنْ قَطْرِيِّ بْنِ الْفَجَاءَةِ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يَوْسُفَ ، سَلَامٌ عَلَى الْهُدَاةِ
مِنَ الْوَلَاةِ ، الَّذِي يَرْغَوْنُ حَرِيمَ اللَّهِ ، وَيَرْهَبُونَ نِقَمَهُ ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى مَا أَظْهَرَ
مِنْ دِينِهِ ، وَأَظْلَعَ^(٦) بِهِ أَهْلَ السَّفَالَةِ ، وَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ ، وَنَصَرَ بِهِ
عِنْدَ اسْتِخْفَافِكَ بِحَقِّهِ .

كُتِبَتْ إِلَى تَذَكُّرِ أُنَى أَعْرَابِي جِلْفٍ أُمِّيٍّ ، أَسْتَطْعِمُ الْكِسْرَةَ ،
وَأَشْتَقِي بِالثَّمَرَةِ ، وَلَعَمْرِي يَا أَبْنَ أُمِّ الْحِجَاجِ إِنَّكَ لَمِيتٌ فِي جَبَلَتِكَ ،

(١) الرميّة : مارمى .

(٢) تجرّم الشيء : أخذ معظمه .

(٣) الحلف : الحاقى . (٤) الطعام : أوعاد الناس ، وصلى النار وبها : قاسى حرها . والمعنى

أنهم فاسوا من شطف العيش ما قاسى .

(٥) أى يتسممون بها ، والدثب يسامى الرخ أى نذسمها ، ونشيت الرخ غير مهموز أى شميتها ،

والاستنشاء يهمز ولا يهمر ، ومنه فلا تستنقى الأخبار : أى يحث عنها وتتبعها .

(٦) من طلع البعير كنح : عجز فى مشيه .

مُطْلَحِهِ^(١) في طريقتك ، وإي في وثيقتك ، لا تعرف الله ولا تجزع في خطيئتك ،
يُتَسَّتَ واستيأستَ من ربك ، فالشيطان قرينك لا تجاذبه وَثَاقَكَ^(٢) ،
ولا تُنَازِعْه خِناقَكَ^(٣) ، فالحمد لله الذي لو شاء أبرزلى صَفْحَتِكَ ، وأوضح لي
طَلْعَتِكَ^(٤) ، فوالذي نفس قطري بيده لعرفتَ أن مُقارعة الأبطال ليس
كتصدير المقال ، مع أني أرجو أن يُدْحِضَ اللهُ حُجَّتَكَ ، وأن يُمْتَعِنِي
بمَهْجَتِكَ^(٥) . (السان والتبيين ٢ : ١٦٥)

١٨٥ — كتاب عبد الملك إلى الحجاج

قال الطبري :

ولما صارت فارس كلها في يَدَي المهلب ، بعث الحجاج عليها عماله^(١)
وأخذها من المهلب ، فباغ ذلك عبد الملك ، فكتب إلى الحجاج :
« أما بعدُ فَدَعْ بيد المهلب خراج جبال فارس ، فإنه لا بد للجيش من

(١) اطلعهم الرجل : تكبر ، واطلعم الليل : أظلم .

(٢) الوثاق بالصح وكسر : ما تشد به .

(٣) الخناق بالكسر : الحبل يحس به .

(٤) الطاهر أنها « صامتك » كما بعدم .

(٥) في الأصل « مهجتك » ولكن الذي في كتب اللغة أن الفعل سعدى ، إلى الداني بالاء ، يقال :

أمتعته نائمي ومعه : ملاه إياه .

(٦) وقال المرد : « وولى الحجاج كردما فارس ، فكتب المهلب إلى الحجاج يسأله أن يحاق له عن
اصطحر ودرا محرد لأرراي الحيد - هل ، وكان قطري هدم مدنة لمصطحر لأن أهلها كانوا يكاسون
المهلب فأحاراه وأراد مثل ذلك عمدية فسا فاشتراها منه أراد مرد بن المربرد بمائه ألف درهم فلم
يهدمها » — الكامل المبرد ٢ : ٢٢٥ — .

قوة ، واصحاب الجيش من معونة ، ودع له كورة فسَا وَدَرَا بِجَرْدٍ^(١)
وكورة إصْطَخَرَ .

فتركهما للمهلب ، فبعث المهلب عليهما عماله ، فكانت له قوة على
عدوه وما يصلحه . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٩)

١٨٦ - كتاب المهلب الى الحجاج

ولما وقع الاختلاف بين الأزارقة وخلصوا قَطَرِيَّ بن الفُجاءة ، ووَلَوْا
عبد ربَّه الكبير^(٢) ، كتب المهلب إلى الحجاج :
« أما بعدُ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَلْقَى بِأَسَ الْخَوَارِجِ بَيْنَهُمْ ، فَخَلَعَ عُظْمَهُمْ^(٣)
قَطَرِيًّا وبَايعُوا عبد ربَّه الكبير ، وَبَقِيَتْ عِصَابَةٌ مِنْهُمْ مَعَ قَطَرِيٍّ ، فَهُمْ
يُقَاتِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا غُدُوًّا وَعَشِيًّا^(٤) ، وَقَدْ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ أَمْرِهِمْ
سَبَبَ هَلَاكِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ » .

(١) درا مجرد : كورة بارس ، وفسا : أكبر مدن تلك الكورة .

(٢) هكذا في تاريخ الطبري ، وفي الكامل للبرد أنهم ولوا عبد ربَّه الصغير - ج ٢ : ص ٢٢٦ -
قال ابن أبي الحديد : « وكان عبد ربَّه الصغير معلم كتاب ، وكان عبد ربَّه الكبير بائع رمان ، وكلاهما
من موالى قاس بن ثعلبة » م ١ : ص ٤٠٣ .

ولما وهى أمر قطري توجه إلى طبرستان ، فوجه الحجاج إليه سقبان بن الأبرد في جيش من أهل
الأنام ، سار في طله حتى لحقوه في شعب من شعاب طبرستان ، فقاتلوه فتمزق عنه أصحابه ، ووقع عن
دابته في أسفل الشعب ، فتدهدى حتى خر إلى أسفله ، وأتاه حيث تدهدى علج من أهل البلد ، فحدر
عليه حجرا عظيما من فوقه ، فأصاب إحدى رجليه ، وصاح بالناس فجاءوا إليه فقتلوه سنة ٧٧ هـ .

(٣) عظم الأمر بالصم والفتح : معظمه .

(٤) أى أول النهار وآخره .

١٨٧ — رد الحجاج على المهلب

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعد ، فقد بلغنى كتابك تذكر فيه اختلاف الخوارج بينها ، فإذا أتاك كتابي هذا فناهضهم على حال اختلافهم واقتراحهم قبل أن يجتمعوا ، فتكون مؤثماً لهم ^(١) عليك أشدّ والسلام » :

١٨٨ — رد المهلب على الحجاج

فكتب إليه المهلب :

« أما بعد ، فقد بلغنى كتاب الأمير ، وكل ما فيه قد فهمت ، ولست أرى أن أقاتلهم ماداموا يقتل بعضهم بعضاً وينقص بعضهم عدد بعض ، فإن تمّوا ^(٢) على ذلك فهو الذى نريد ، وفيه هلاكهم ، وإن اجتمعوا لم يجتمعوا إلا وقد رقق ^(٣) بعضهم بعضاً ، فأناهضهم على تفتة ^(٤) ذلك ، وهم أهون ما كانوا ، وأضعفه شوكة إن شاء الله والسلام » ^(٥) فكف عنه الحجاج .

(تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧)

(١) المؤنة : الثمل ومنها لعات : مثونة فتتح الميم كركونة ، ومؤنة كفرقة ، ومونة كسورة .

(٢) يقال : تم على الأمر وتم عليه باظهار الإعدام : أى اسمر عليه .

(٣) رققه : جعله رققاً . والمعنى أضعف بعضهم بعضاً .

(٤) على نفثة ذلك : أى على إثره ، وحكى فيه الهمز والبدل .

(٥) وهالك كلمة عما شجر بين الأزارقة من الخلاف والشقاق ، وكان بعض ذلك من كيد المهلب وعظيم دهائه . قال أبو العباس : « وكان سبب اختلافهم أن رجلاً حدا من الأزارقة كان يعمل نصلاً مسموماً ، فبرى بها أصحاب المهلب ، فرجع ذلك إلى المهلب ، فقال : أنا أكفيكموه إن شاء الله فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب وألف درهم إلى عسكر قطرى ، فقال : ألق هذا الكتاب فى عسكر قطرى

واحذر على نفسك ، وكان الحداد يقال له « أنزى » فضى الرسول ، وكان في الكتاب : « أما بعد ، فإن نصالك قد وصلت إلى » ، وقد وجهت إليك بألف درهم ، فاقضها ، وزدنا من هذه النصال » فوقع الكتاب والدرهم إلى قطرى ، فدعا بأبزى ، فقال : ما هذا الكتاب ؟ قال : لا أدري ، قال : فهذه الدراهم ؟ قال : ما أعلم عليها ، فأمر به فقل ، فجاءه عبد ربه الصغير مولى بى قيس بن ثعلبة فقال له : أقات رجلا على غير ثقة ولا تبين ! فقال له : ما حال هذه الدراهم ؟ قال : يحوز أن يكون أمرها كذا ، ويجوز أن يكون حقا ، فقال له قطرى : قتل رجل في صلاح الناس غير منك ، وللإمام أن يحكم بما رآه صلاحا . وليس للرعة أن تعترض عليه ، فتنكر له عذره في جماعة ولم يفارقوه ، فبلغ ذلك المهلب فمدس إليه رجلا نصرانيا فقال له : إذا رأيت قطريا فاسجد له ، فاذا نهاك فقل : إنما سجدت لك ، ففعل النصراني ، فقال له قطرى : إنما السجود لله ، فقال : ما سجدت إلا لك ، فقال له رجل من الحوارج : قد عبدك من دون الله وبلا : « إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ

حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ » فقال قطرى : إن هؤلاء الصاري فد عبدوا عيسى بن مريم فاضر ذلك عيسى شيئا ، فقام رجل من الحوارج إلى الصراني فقله ، فأنكر ذلك عنه وقال : أقتلت ذميا ، (وكانوا يوصون بالنصراني خيرا ويقولون : احفظوا ذمة نبيكم) فاختلت الكلمة .

فبلغ ذلك المهلب ، فوجه إليهم رجلا يسألهم عن شيء ، فقدم به إليه ، فأتاهم الرجل فقال : أرايتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم ، فأتا أحدهما في الطريق ، وبلغكم الآخر ، فامتحنموه فلم يجر الحنة ماتقولون مهما ؟ فقال بعضهم : أما الملت مؤمن من أهل الحنة ، وأما الآخر الذي لم يجر الحنة فكافر حتى يحجزها ، وقال قوم آخرون : بل هما كافران حتى يحجزا الحنة ، ففكر الاختلاف ، فخرج قطرى إلى حدود لصطحر فأقام شهرا والفوم في أحلافهم . ثم أقبل ، فقال لهم صالح بن مخراق : يا قوم إنكم قد أفررتم أعين عدوكم ، وأطمعتموهم فيكم ، لما ظهر من اختلافكم ، فعودوا إلى سلامة الطلوب واجتمع الكلمة ، وخرج عمرو العاص فنادى : أيها المحلون ، هل لكم في الطراد فقد طال العهد به ؟ فتهايج القوم وأسرع مصهم إلى بعض » — الكامل للبرد ٢ : ٢٢١ — وقال أيضا :

« غاربهن المهلب حتى هاهم إلى حيرت (وهي مدسة كبيرة من أعان مدن كerman ، وكرمان إفايم بين فارس وسجستان) واتعمهم فنزل قريبا منهم واحتلفت كلمتهم . وكان سبب ذلك أن عبدة بن هلال اليشكري اهتم بامرأة رجل حداد ، وأوه مرارا لدخل منزله لغير إذن ، فأبوا قطريا فذكروا ذلك له ، فقال لهم : إن عبدة من الدين بحيث علمه ، ومن الجهاد بحيث رأيتهم ، فقالوا : إنما لا نأمره على الفاحشه ، فقال : اصرفوا ، ثم بعث إلى عبدة فأخبره وقال : إنما لا نقار على الفاحشه . فقال : بهتوني يا أمير المؤمنين (أى ادعوا على ما لم أفعل) فما ترى ؟ قال : إني جامع بينك وبينهم ، فلا تخضع حضوع اللدب ، ولا تتناول بطاول الرىء ، فجمع بينهم فتكلموا ، فقام عبدة فقال :

« سم الله الرحمن الرحيم ، إِنَّ الَّذِينَ حَادُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِنِّمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... الآيات » فكروا وقاموا إليه فاعسقوه ، وقالوا : استغفر لنا ، ففعل ، فقال لهم عبد ربه الصغير : والله لقد حدعكم ، فباع عبد ربه منهم ناس كثير لم يظهروا ولم يحدوا على عبدة في إفاة الحد ننتا .

١٨٩ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وكتب الحجاج إلى المهلب يستحثه مع عُيَيْدِينَ مَوْهَبَ، وفي الكتاب :
 « أما بعدُ ، فإنك تتراخى عن الحرب ، حتى يَأْتِيكَ رُسُلِي ، فيرجعون
 بِعُذْرِكَ ، وذلك أنك تُتَمَسِّكُ حتى تَبْرَأَ الجِراحَ ، وَتُنْسَى القَتْلَى ، وَيَجْمَعُ^(١)
 الناسُ ، ثم تلقاهم ، فتحتمل منهم مِثْلَ ما يَحْتَمِلُونَ منك من وَحْشَةِ القَتْلِ وَالْمَ...

وكان قطرى قد استعمل رجلا من الدهاقين (جمع دهقان تكسر الدال وضربها وهو رئيس الاقليم وزعيم فلاحى العجم) فظهرت له أموال كثيرة فأبوا فطريا فقالوا : إن عمر بن الخطاب لم يكن يقارَ عماله على مثل هذا ، فقال قطرى : لاني استعملته وله صياح وتجارا ، فأوغر ذلك صدورهم ، وبلغ ذلك المهلب فقال : إن اختلافهم أشتد عليهم مى .

وقالوا لقطرى : ألا تخرج بنا إلى عدونا ؟ فقال : لا ، ثم خرج ، فقالوا : قد كذب وارتد (وكانت الخوارج في جميع أوصافها براء من الكاذب ، ويرى بعضهم أن الكذبة الحفيضة على سبيل المزاح شرك بالله) فأنعوه يوما ، فأحس بالشعر ، فدخل دارا مع جماعه من أصحابه ، فصاحوا به : ياداة اخرج إلينا ، فخرج إليهم فقال : رجعتم بعدى كفارا ، فقالوا : أولست دابة ! قال الله عز وجل :
 « وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا » ولكك قد كبرت بقولك : إنا قد رجعنا كفارا ، فنب إلى الله عز وجل ، مساور عبدة فقال : إن ببت لم يبلوا منك ، ولكن قل : إنما استعهمت فعلت : أرجعتم بعدى كفارا ؟ فقال ذلك لهم ، فقلوه منه ورجع إلى منزله .

وعزم أن يبايع المقطر الصدى ، فكرهه القوم وأبوه فقال له صالح بن مخراق عنه وعن القوم : انبع لنا عبر المقطر ، فقال قطرى : أرى طول العهد قد عيركم ، وأنتم تصدد عدوكم ، فأنقوا الله وأقبلوا على شأكم واستعدوا للقاء القوم ، فقال له صالح بن مخراق : إن الناس هلبا ساموا عمان بن عفان أن يعزل عنهم سعد بن العاص (انظر الجزء الأول ص ٣٠٦) ففعل . وشب على الإمام أن يعفى الرعية مما كرهت ، فأبى قطرى أن يعرله ، فقال له القوم : إنا حاسناك ووليا عبد ربه الصغير ، فاصصل إلى عبد ربه أكبر من النظر وجلهم الموالى والعجم » الكامل ٢ : ٢٢٥ .

وفال الطرى :

« وخرج رجل منهم كان عاملا لقطرى على ناحية من كرمان في سرية لهم بدعى المقطر من بى ضبة فقبل رجلا قد كان ذا بأس من الخوارج ودخل منهم في ولاية فقتله المقطر ، فوثب الخوارج إلى قطرى فدكروا له ذلك ، وقالوا : أمكنا من الضبي نقله بصاحسا ، فقال لهم : ما أرى أن أفعل ، رجل تأول فأخطأ في التأويل ، ما أرى أن تقتلوه ، وهو من ذوى الفصل مسكم والساقفة فيكم ، قالوا : بلى قال لهم : لا ، فوقع الاحلاف بينهم فولوا عبد ربه الكبير وخلعوا قطريا ، ونابع قطريا منهم عصابة نحو من ريعهم أو حزمهم ، فقاتلهم نحو من سهر عدوة وعشيه » - تاريخ الطرى ٧ : ٢٧ - .

(١) أى استرخوا من نعمهم وعودوا إليهم بساطهم ، من حمّ الماء بحم الصم والكسر حموما : أى كبر واحتج ، والثر راحع مؤها ، والفرس حماما بالفتح : ترك الصراب فتجمع مأوه ، وحاما وحاما : ترك فلم يركب فعما من تعبته .

الجراح ، ولو كنت تلقاهم بذلك الجدِّ لكان الداء قد حُصِمَ ، والقَرْنُ^(١) قد قُصِمَ ، ولعمري ما أنت والقوم سَوَاءٌ ، لأن من ورائك رجالا ، وأمامك أموالا ، وليس للقوم إلا مامعهم ، ولا يُدْرِكُ الوَجِيفُ بِالذَّيِّبِ^(٢) ، ولا الظَّفَرُ بِالْتَّعْذِيرِ^(٣) .

١٩٠ - رد المهلِب على الحجاج

فكتب المهلِب إليه :

أما بعدُ ، فَإِنِّي لَمْ أُعْطِ رُسُلَكَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَجْرًا ، وَلَمْ أُخْتَجِ مِنْهُمْ مَعَ الْمَشَاهِدَةِ إِلَى تَلْقَيْنِي ، ذَكَرْتَ أَنِّي أَجْمُ^(٤) الْقَوْمَ ، وَلَا بَدَّ مِنْ رَاحَةٍ يَسْتَرِيحُ فِيهَا الْغَالِبُ ، وَيَحْتَالُ فِيهَا الْمَغْلُوبُ ، وَذَكَرْتَ أَنَّ فِي ذَلِكَ الْجَمَامِ مَا يُنْسِي الْقَتْلَى ، وَتَبَرَّأُ مِنْهُ الْجِرَاحُ ، وَهِيَّاتَ أَنْ يُنْسَى مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ، تَأْتِي ذَلِكَ قَتْلَى لَمْ تُجْنِ^(٥) ، وَفُرُوحٌ لَمْ تَتَقَرَّفْ ، وَنَحْنُ وَالْقَوْمُ عَلَى حَالَةٍ وَهُمْ

(١) يصبح أن يكون « القرن » مالفتح ، وهو الجاب الأعلى من الرأس : أى فصبت قرن الأعداء كما يقال كسر شوكتهم ، وأن يكون بالكسر وهو الكفء في الشجاعة أو عام وهو الأطهر لما يشير إليه كلام المهلِب الآتي .

(٢) الوحيف : صرب من سیر الخيل والإبل .

(٣) العذير : التقصير في الأمر .

فلما جاء المهلِب هذا الكتاب قال لأصحابه : إن الله عزَّ وجلَّ قد أراحكم من أقران أربعة : فطرى ابن الفجاءة وصالح بن مخراق وعبيدة بن هلال وسعد الطلائع ، ولأنما بين أيديكم عبد ربه في خشار من خشار الشيطان تقتلونهم إن شاء الله (والخشار والحشارة صم الحاء : الردىء من كل شيء ، وسفلة الناس) فكانوا يتعادون الفصال ويتراوحوون « فتصيبهم الجراح » ثم يتحاجزون ، كما أنما انصرفوا من مجلس كانوا يتحدثون فيه « فيضحك بعضهم إلى بعض » فقال عبيد بن موهب للمهلِب : قد بان عذرك وأنا محبر الأمير .

(٤) من أجم الماء : أى تركه يجمع .

(٥) أحه : كفه ، أى قتلى دفنت دون أن تكف ، وفي رواية « قتل من لم يحس » ، ونعرفت

يرقبون منا حالات ، إن طمعوا حاربوا ، وإن ملؤا وقفوا ، وإن يتسوا
انصرفوا ، وعلينا أن نقاتلهم إذا قاتلوا ، ونحترز إذا وقفوا ، ونطلب إذا
هربوا ، فإن تركتني والرأي ، كان القرن مقصوما ، والداء بإذن الله
محسوما ، وإن أعجلتني لم أطعك ولم أعص ، وجعلت وجهي إلى بابك ، وأنا
أعوذ بالله من سخط الله ومقت الناس .

(الكامل للبرد ٢ : ٢٢٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٠٣
ونهاية الأثر ٧ : ٢٤٨ ، وصبح الأعشى ٦ : ٥٥٩)

١٩١ — كتاب المهلب إلى الحجاج

ولما تمت الغلبة للمهلب على الأزارقة ، وقُتِل آخر زعمائهم عبْدُ ربه
الصغير سنة ٧٨ هـ أوفد المهلب إلى الحجاج كعب بن معدان الأشقرى ومُرَّة
أبن تليد الأزدي لينخبراه بالفتح ، وكتب إليه :

« بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الكافي بالإسلام فقد ما سواه ،
المعجل النعمة لمن بناه ، الذي حكم بأن لا ينقطع المزيد منه حتى ينقطع
الشكر من عبادِه^(١) ، أما بعدُ :

فقد كان من أمرنا ما قد بلغك^(٢) ، وكنا نحن وعدونا على حالين
مختلفين . يسرنا منهم أكثر مما يسوؤنا ، ويسوؤهم منا أكثر مما يسرهم ،

المرجة : تفشرت ، وذلك اذا يبست : أى وقروح لم تبرا ، وفى صبح الأعشى « لم يرق »
وهو تحرف .

(١) وفى أدب الكتاب : « الذى يريد من شكره ، ويرى من كفره » .

(٢) وفيه : « فقد كان من أمرنا ما أغت حملته عن تفصيله ، وكنا نحن وعدونا فى مدة هذا

التنازع على حالين ... » .

على اشتداد شوكتهم ، واجتماع كلمتهم ، وانزعاج القلوب لمخافتهم ، فقد كان
عَلَنَ^(١) أمرهم ، حتى ارتاعت له الفتاة ، وثوّم بذكرهم الرضيع ، وضمّ لخوفهم
السميع ، فانتهزت منهم الفرصة في وقت إمكانها ، وأدّيت السواد^(٢)
من السواد حتى تعارفت الوجوه ، فلم تزل كذلك حتى بلغ الكتاب^(٣)
أجله ، فَقُطِعَ دَايِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

(الكامل للبرد ٢ : ٢٣٢ وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤٠٧)
وشرح العيون ص ١٣٥ وأدب الكتاب ص ٢٣٥)

١٩٢ - رد الحجاج على المهلب

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ فإن الله عز وجل قد فعلَ بالمسلمين خيرا ، وأراحهم من حدِّ
الجهاد ، وكنت أعلم بما قبلك ، والحمد لله رب العالمين ، فإذا ورد عليك
كتابي هذا ، فافهم في المجاهدين فيهم ، ونقل^(١) الناس على قدر بلائهم ،
وفضّل من رأيت تفضيله ، وإن كانت بقيت من القوم بئمة خلف خيلا
تقوم بإرائهم ، واستعمل على كرمهم^(٢) من رأيت ، وولّ الخيل شهما من
ولئك ، ولا ترخص لأحد في الأحق بمنزله دون أن تقدّم بهم على ، وتجل
القدوم إن شاء الله . »

(١) على الأمر كصر وصر وكرم وفرح علما بالتحركات وعلاوة واعلى . طهر .

(٢) السواد : العدد الكثير ، ومن الناس علمهم .

(٣) وفي أدب الكتاب . « فانهرب منهم الفرصة عند إمكانها ، بعد أن تطرب وقت لإنها ،

واسدعى أهل عاله ، وبلغ الكتاب أحله ، مطع . . . » .

(٤) الفعل بالحرّك : العيمة ، وهما الفعل وهما بالشدّيد وأهلا : أعطاه إياه .

(٥) إعلم بين فارس وسجستان .

فولى المهلب ابنه يزيد كرماني ، وقَدِمَ على الحجاج فأجلسه إلى جانبه وأظهر له كرامه وبرّه ، وقال : يا أهل العراق أتم عبيد المهلب .
 وكان أُمَيَّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد حاملاً على خراسان وسجستان ، فعزله عبد الملك سنة ٧٨ هـ وجمع سلطانه للحجاج ، فبعث المهلب على خراسان ، وعُيِّد الله بن أبي بكرّة على سجستان .
 (الكامل للبرد ٢ : ٢٣٢ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤٠٧ ، وشرح العيون ص ١٣٥)

حروب الخوارج الشيبية

١٩٣ - كتاب شبيب بن يزيد إلى صالح بن مسرح

وفي سنة ٧٦ هـ تحرك صالح بن مُسَرِّح^(١) زعيم فرقة الصالحية - إحدى فرق الخوارج الصُفْرية^(٢) - وكان بِدَارًا^(٣) وأرضِ المُوَصِّل والجزيرة ، له أصحاب يُقْرِئهم القرآن ، ويمَقِّهم ، ويقصّ عليهم ، خَرَضهم على الخروج محتجاً بأن الجور قد فشا ، وأن العدل قد عفا ، وأن الولاية لا يزدادون إلا غُلُواً وعُتُوا ، وتبا عُدّاً عن الحق وجُرأةً على الرب ، ودعاهم أن يستعدوا ويبعثوا إلى إخوانهم ليأتوهم وينظروا فيهم صانعون ، فراسل أصحابه

(١) هو أحد بني امرئ القيس .

(٢) الصفرية : فرقة من الفرق الرئيسية للخوارج ، وهم أصحاب رِيَاد بن الأصغر ، وقيل نسوا إلى عبد الله بن صفار ، وقيل لأنهم بهكهم العاده فاصمرت وجوههم فسوا إلى صفره ألوانهم ، وقال الأصمعي : الصواب الصفرية بالكسر ، قال : وحاصم رحل منهم صاحبه في السجن فقال له : أنت والله صفر من الدين ، فسما الصفرية .

(٣) دارا : بلد بين نصيبين وماردين من أرض الحررة .

وتلاقوا ، فبيناهم في ذلك إذ قَدِم عليهم رسول بكتاب من شبيب بن يزيد الشيباني إلى صالح بن مُسَرَّح ، وفيه :

« أما بعدُ ، فقد علمتُ أنك كنت أردتَ الشُّحُوصَ ، وقد كنتَ دعوَتنِي إلى ذلك فاستجبتُ لك ، فإن كان ذلك اليومَ من شأنك فأنت شيخ المسلمين ، ولن نَعْدِلَ بك منا أحداً ، وإن أردتَ تأخير ذلك اليومَ أعلمتني ، فإن الآجال غادية ورائحة ، ولا آمن أن تحتَرِمَنِي ^(١) المنيةُ ولما أجاهد الظالمين ، فيآله غَبْنًا ، وآله فضلًا متروكا ! جعلنا الله وإياك ممن يريد بعمله اللهَ ورضوانه والنظرَ إلى وجهه ومرافقةَ الصالحين في دار السلام ، والسلام عليك » .

١٩٤ — رد صالح بن مسرح على شبيب

فكتب إليه صالح :

« أما بعدُ ، فقد كَانَ كتابك وخبرُك أبطأ عني حتى أَهَمَّنِي ^(٢) ذلك ، ثم إن امرأً من المسلمين نبأني بنبأ مخزجك ومَقْدَمك ، فنحمد الله على قضاء ربنا ، وقد قَدِم على رسولك بكتابك ، فكلَّ ما فيه قد فهمته ، ونحن في جَهَازٍ واستعداد للخروج ، ولم يمنعني من الخروج إلا انتظارُك ، فأقبلُ إلينا ثمَّ أخرجُ بنا متى ما أحببتَ ، فإنك ممن لا يُسْتَفَنَى عن رأيه ، ولا تُقْضَى دونه الأمورُ ، والسلام عليك » .

(١) اخترمته المدة : أحدثه .

(٢) ألقى .

وبلغ تَحْرِجُهُمُ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ وهو يومئذ أمير الجزيرة فبعث إليهم جيشاً بقيادة عَدِيِّ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عُثْمَةَ ، فهزمه صالح ونزل عسكره وحَوَى ما فيه ، فَبَعَثَ إليهم مُحَمَّدُ بْنُ مَرْوَانَ جيشاً آخر فقاتلهم فخرجوا من أرض الجزيرة إلى الموصل ، وبلغ ذلك الحجاجَ فسرَّحَ إليهم جيشاً يقوده الحرثُ بْنُ عُثْمَةَ بْنِ ذِي الْمِشْعَارِ ، فخاربههم وَقَتَلَ صالح في المعركة ، فباع أصحابه شَيْبَ بْنَ يَزِيدَ (فَسَمُّوا الشَّيْبِيَّةَ) فحمل على جيش الحرث فهزمه ، وضارب الحرث حتى صُرِعَ واحتمله أصحابه وانهزموا وخلَّوْا لهم العسكر وما فيه ومضَوْا حتى نزلوا المدائن . (تاريخ الطبري ٧ : ٢١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ ص : ٤٠٩)

١٩٥ - كتاب الحجاج إلى سفيان بن أبي العالية

وتجهَّزَ شَيْبٌ للخروج ، ومضى في أداني أرض الموصل ثم ارتفع نحو أذَرَ بِيحَانَ ، فكتب الحجاج إلى سُفْيَانَ بْنِ أَبِي الْعَالِيَةِ الْخَثْعَمِيِّ - وكان أقبل في خيلٍ أَمَرَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا طَبَرِ سَتَّانَ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَسِرْ حَتَّى تَنْزَلَ الدَّسْكَرَةَ ^(١) فِيمَنْ مَعَكَ ، ثُمَّ أَقِمْ حَتَّى يَأْتِيكَ جَيْشُ الْحَارِثِ بْنِ عُثْمَةَ الْهَمْدَانِيِّ بْنِ ذِي الْمِشْعَارِ وَخَيْلُ الْمَنَاظِرِ ^(٢) ، ثُمَّ سِرْ إِلَى شَيْبٍ حَتَّى تَنَاجِزَهُ . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٢٤ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ٤١١)

(١) قرية كبيرة عربى بغداد .

(٢) المناظر جمع مطرة بالفتح : وهى المرقبة (موضع فى رأس جبل يه رقيب بطر العدو)

١٩٦ - كتاب سفيان بن أبي العالية إلى الحجاج

فأقبل سفيان حتى نزل الدسكرة ، ووافاه بها جيش الحارث بن عميرة ، وكان على خيل المناظر سورة بن أبجر التميمي ، فسار إليه وبعث إليه أن لا تبرح العسكر حتى آتيك ، فمَجَلَّ سفيان فارتحل في طلب شبيب فلحقه بخائنين^(١) في سفح جبل ، وكاده شبيب^(٢) فأوقع بجيشه الهزيمة ، وقتله سفيان حتى خر بين القتلى ومَجَلَّ مَرْتَثًا^(٣) ، وأُتِيَ به بابل مَهْرُودًا^(٤) فنزل بها ، وكتب إلى الحجاج :

« أما بعد ، فإني أخبر الأمير - أصلحه الله - أني أتبعْتُ هذه المارقة حتى لحقْتُهُمْ بجائِقِينَ ، فقاتلتهم فضرب الله وجوههم ونَصَرْنَا عليهم ، فيينا نحن كذلك إذ أتاهم قوم كانوا غُيْبًا عنهم ، فحملوا على الناس فهزموهم ، فنزلت في رجال من أهل الدين والصبر فقاتلتُهُمْ حتى خررتُ بين القتلى فحُمِلْتُ مَرْتَثًا ، فأُتِيَ بي بابل مَهْرُودًا ، فهأنا بها ، والجندُ الدين وجههم إلى الأمير وافوا ، إلا سورة بن أبجر ، فإنه لم يأتني ولم يشهد معي ، حتى إذا ما نزلت بابل مَهْرُودًا أتاني يقول مالا أعرف ، ويعتذر بغير العذر ، والسلام . »
فلهذا فرأى الحجاج الكتاب قال : من صنع كما صنع هذا ، وأبلى كما أبلى ،

فقد أحسن . (نارح الطري : ٧ : ٢٢٥)

(١) بلد سواد بغداد .

(٢) وذلك أن شديداً أصغر لهم ثم ارتفع عنهم حتى كآه يكره لواءه ، وقد أكن له أخاه مصاد ابن برد في كمين معه ، فلما رأوه جمع أخوانه ثم مضى في سفع الحول مشرفاً ، فالوا : هرب عدو الله فابعوه ، فلما رأى شبيب أنهم قد حاروا الكمين عطف عليهم ، ولما رأى الكمين أن قد حاروه حرجوا إليهم ، فحمل عليهم سبب من أمامهم ، وصاح بهم الكمين من ورائهم ، وكانت الهزيمة .

(٣) ارتث : حمل من المعركة رسناً أي حرجاً ووه رمق (٤) بلد سواد بغداد .

١٩٧ - رد الحجاج على ابن أبي العالية

ثم كتب إليه :

« أما بعدُ ، فقد أحسنتَ البلاءَ ، وقضيتَ الذى عليك ، فإذا خَفَ عَنْكَ الِوَجَعُ فَأَقْبِلْ مَا جُورَا إِلَى أَهْلِكَ وَالسَّلَامَ » . (تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٥)

١٩٨ - كتاب الحجاج إلى سورة بن أبجر

وكتب إلى سَوْرَةَ بن أبجر :

« أما بعدُ ، فيأبْنَ أُمَّ سَوْرَةَ مَا كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَجْتَرِئَ عَلَى تَرْكِ عَهْدِي ، وَخِذْلَانِ جَنْدِي ، فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَابْعَثْ رَجُلًا مِّنْ مَّعَكَ صَلِيًّا ، إِلَى الْخَيْلِ الَّتِي بِالْمَدَائِنِ ، فَلْيَنْتَخِبْ مِنْهُمْ خَمْسَمِائَةَ رَجُلٍ ، ثُمَّ لِيَقْدَمْ بِهِمْ عَلَيْكَ ، ثُمَّ سِرِّ بِهِمْ حَتَّى تَلْقَى هَذِهِ الْمَارِفَةَ ، وَاحْزِمِ فِي أَمْرِكَ ، وَكِدْ عَدُوَّكَ ، فَإِنْ أَفْضَلَ أَمْرَ الْحَرْبِ حُسْنُ الْمَكِيدَةِ ، وَالسَّلَامَ » .

ففعل سوره ما أمر به ولقي سبيبا ، فحمل عليه شبيب ودخره

(تاريخ الطبرى ٧ : ٢٢٥ وشرح ابن أفي الحديم ١ : ص ٤١١)

١٩٩ - كتاب الحجاج إلى الجزل بن سعيد

وقدِمَ الْفَلُّ عَلَى الْحَجَّاجِ فَسَرَّحَ إِلَيْهِمُ الْجَزَلَ بْنَ سَعِيدٍ ،^(١) فجعل يتبعهم

(١) وكان من كلامه الحكمة أن قال له حين دعاه : « نسر للحروح إلى هذه المارقة » ، فإذا

لهم ولا محل محله الحرق ، ولا يحجم لإححام الوانى العرو .

فلا يسير إلا على تَعَبِيَّةٍ ، ولا ينزل إلا على خَنْدَقٍ ، وكان شبيب يدَعُّه
ويَضْرِبُ في أرض جُوخَى^(١) وغيرها يَكْسِرُ الخراج ، وطال ذلك على
الحجاج ، فكتب إليه :

« أما بعدُ ، فأني بعثتك في فُرْسان أهلِ المِصْرَ ووجوهِ الناس^(٢) ،
وأمرتك باتِّباع هذه المارقة الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ حتى تلقاها ، فلا تُقْلِعَ عنها حتى
تقتلها وتُفْنِيَهَا ، فوجدتَ التَّعْرِيسَ^(٣) في القرى ، والتَّخْيِمَ في الخنادق ، أهونَ
عليك من المضيِّ لِمَا أمرتك به من مناهضتهم ومناجزتهم والسلام .
فشقَّ ذلك على الجزل ، وأمر الناس بالسير ، فخرجوا في طلب
الخوارج جادِّين ،

وبعث الحجاج سعيد بن مجالد على ذلك الجيش وعهد إليه :
« إن لقيتَ المارقة فازحفْ إليهم ولا تُناظرهم ولا تُطاوَلهم ووافهم
واستعن بالله عليهم ، ولا تصنعْ صَنِيعَ الجزلِ ، واطلبهم طَلَبَ السبع ، وحِدْ
عنهم حَيْدَانِ الضَّبْعِ » . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٢٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ ص ٤١٣)

٢٠٠ - كتاب الجزل بن سعيد إلى الحجاج

وجاء سعيد بن مجالد ، فأخرج الناس معه وجمع إليه خيول أهل العسكر

(١) حوى ناصم والفصر ومد هج : كوره واسعة في سواد بغداد .

(٢) وذلك أن الحارث حين دعى للخروج قال لاحاح : أصلح الله الأمير ، لاسعن معي أحدا من
أهل هذا الحشد المفلول المهزوم ، فإن الرعب قد دخل قلوبهم ، وقد خشيت أن لاسنعتك والمسلمين
منهم أحد ، فقال له : فإن ذلك لك ولا أراك إلا قد أحسب الرأي ووقف ، وأمر فأحضره بعث آخر

(٣) عرس القوم وأعرسوا : نزلوا في آخر الليل للاستراحة .

ليقاتل شيبيا ، فنصح له الجزلُ ألاَّ يقاتله إلا في جماعة الناس عامّة ، فأبى ، فقال له : ليس لي فيما صنعت رأى ، أنا برىء من رأيك هذا ، سمع الله ومن حضر من المسلمين ، فقال : هو رأيي ، إن أصبتُ فالله وفَّقني له ، وإن يكن غير صواب فأنتم منه براء ، وخرج للقاء شبيب ، فحمل عليهم شبيب فهزمهم وشدَّ على سعيد فضربه نحرًا ميتا ، وانهزم ذلك الجيش وقتلوا كل قتلة حتى انتهوا إلى الجزل ، فقاتل الجزل قتالا شديداً حتى حُمِل من بين القتلى ، وتقل إلى المدائن مرّةً ، وفَدِم فلُ أهل ذلك العسكر الكوفة ، وكتب الجزل إلى الحجاج :

« أما بعدُ ، فإنني أُخبر الأمير - أصلحه الله - أني خرجتُ فيمن قبلي من الجند الذي وجَّهني فيه إلى عدوه ، وقد كنتُ حفِظتُ عهدَ الأمير إليَّ فيهم ورأيتُ ، فكنتُ أخرج إليهم إذا رأيتُ الفرصة ، وأَحْبِسُ الناس عنهم إذا خَشِيتُ الوَرْطَةَ ، فلم أزل كذلك أدبُر الأمر وأرفُق في التدبير ، واطدَّ أرادني العدوُّ بكل مكيدة ، فلم يُصِبْ مني غرّة ، حتى فَدِمَ عَلِيٌّ سعيد بن مجالد - رحمة الله عليه - ولقد أمرته بالتَّوَدُّعِ ونهيبته عن العَجَلَةِ ، وأمرته ألاَّ يقاتلهم إلا في جماعة الناس عامّة ، فعصاني وتعجَّل إليهم في الخيل ، فأشهدتُ عليه أهلَ المِصْرين أني برىء من رأيه الذي رأى ، وأنني لا أُنَوِّى ما صنع . فضى فأصيب ، تجاوز الله عنه ، ودَفَع^(١) الناسُ إليَّ فنزلتُ ودعوتهم إليَّ ، ورفعتُ لهم رايتي ، وقاتلت حتى صُرِغْتُ ، فحَمَّاني أصحابي من بين القتلى ، فما أَوَقَمْتُ إلا وأنا على أيديهم على رأس ميل من المعركة ، فأنا اليوم بالمدائن في جراحة

(١) أى اسهوا إلى .

قد يموت الرجل من دونها وَيُمَاقَى من مثلها ، فليسأل الأميرُ - أصلحه الله -
عن نصيحتي له ولجنده ، وعن مكایدتي عدوّه ، وعن موقفي يوم البأس ، فإنه
يستبين له عند ذلك أني قد صدّقته ونصحت له ، والسلام .
(تاريخ الطبری ٧ : ٢٣١ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٣)

٢٠١ - رد الحجاج على الجزل بن سعيد

فكتب إليه الحجاج :
« أما بعدُ ، فقد أتاني كتابك وقرأته وفهمتُ كلَّ ما ذكرت فيه ،
وقد صدّقتك في كل ما وصفتَ به نفسك ، من نصيحتك لأميرك ،
وحِيطنك على أهل مصرك ، وشدّتك على عدوك ، وقد فهمتُ ما ذكرت
من أمر سعيد وتجنّبه إلى عدوه ، فقد رصيتُ محبّته وتودّتك ، فأما محبّته
فإنها أفضتْ به إلى الجنة ، وأما تودّتك فإنها لم تدع الفرصة إذا أمكنت ،
وتركُ الفرصة إذا لم تُمكن حَزْمٌ ، وقد أصبت وأحسنْتَ البلاء وأجرت^(١) ،
وأنت عندي من أهل السمع والطاعة والنصيحة ، وقد أشخّصتُ إليك حيّان
ابنَ أبحر لينداويك ويعالج جراحك ، وبعثتُ إليك ألفي درهم فأنفقها في
حاجتك وما ينوبك ، والسلام .
(تاريخ الطبری ٧ : ٢٣١ وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٤)

٢٠٢ - كتاب ماذر واسب إلى عروة بن المغيرة بن شعبة

وخرج الحجاج إلى البصرة واستخلف على الكوفة عروة بن المغيرة

(١) أي لب الأحر ، أحره وآحره : حراه .

أبن شُعبة ، فما شَعَرَ الناس بشيء حتى جاء كتاب من « ماذر واسب » دِهقان
« بابل هَرُود » وعظيُمها إلى عروة بن المغيرة :

« إن تاجرا من تجار الأنبار من أهل بلادى أتانى فذكر أن شبيبا
يريد أن يدخل الكوفة فى أول هذا الشهر المستقبل ، فأحييتُ إعلامك
ذلك لترى رأيك » .

(تاريخ الطرى ٧ : ٢٣٢ وشرح ابن أبى الحديد ١ : ص ٤١٤)

٢٠٣ - كتاب عروة بن المغيرة بن شعبة إلى الحجاج

فكتب عروة إلى الحجاج :

« إن شبيبا قد أقبل مسرعا يريد الكوفة ، فالعَجَل العَجَل » .

فَطَوَى الحجاج المنازل ، واستبق هو وشبيب إلى الكوفة ، فنزلها
الحجاج صلاة الظهر ، ونزل شبيب السَّبَخَة صلاة المغرب ، ثم دخلَ
الكوفة حتى انتهى إلى السوق ، وتد حتى ضرب باب القصر بعموده ،
واقتحموا المسجد الأعظم . وقتلوا جماعة ممن صادفوه ثم خرجوا منها^(١) .

(تاريخ الطرى ٧ : ٢٣٢)

٢٠٤ - كتاب الحجاج إلى جند عبد الرحمن بن الأشعث

ودعا الحجاج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكِنْدَى فقال

(١) ووجه الحجاج رحى بن قيس وأمره أن يسع شبيبا حتى يوافقه حتما أدركه ، وبلغ
شبيبا مسيره إليه أقل محوه فالبها ، فقابل رحى حتى صرع وأهرم أصحابه ، وعأ الحجاج حشاه
سبعة أمراء ، كل أمر على أصحابه وأمر الجميع رائده بن فدامة ، ودارت رحى الحرب بينه وبين جيش
شبيب ، وانحلت عن هزيمة جيش زائده وقيله .

له : انتخب الناس وأخرج في طلب هذا العدو ، فانتخب فرسان الناس ووجوههم ، فلما أراد الحجاج إشخاصهم كتب إليهم :
 « أما بعد ، فقد اعتدتم عادة الأذلاء ، ووليتم الدُّبُرَ يوم الزحف ،
 وذلك دأب الكافرين ، وإنى قد صفحت عنكم مرةً بعد مرة ، ومرة بعد مرة ،
 وإنى أقسم لكم بالله قسماً صادقاً : لئن عُدتم لذلك لا وقعن بكم إيقاعاً يكون
 أشدَّ عليكم من هذا العدو الذي تهربون منه في بطون الأودية والشعاب^(١) ،
 وتستترون منه بأثناء^(٢) الأنهار وألواذ الجبال ، تخاف من له معقول^(٣) على
 نفسه ، ولم يجعل عليها سبيلاً ، وقد أعذر من أنذر^(٤) .

وقد أسمعت لو ناديت حياً ولكن لاحياة لمن تُنادى
 والسلام عليكم » .

نفرج ابن الأشعث في الناس نحو شبيب ، فلما دنا منه ارتفع عنه
 شبيب ، فسار ابن الأشعث في طلبه ، حتى إذا كان على التَّحُوم أقام وقال :
 إنما هو في أرض الموصل فليقاتلوا عن بلادهم أو ليدعوه .
 (تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٨ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤١٦)

(١) جمع شعب بالكسر : وهو الطرق في الحبل ، ومسيل الماء في بطن أرض ، أو ما امزج بين الجبالين

(٢) جمع نى بالكسر . ونب النهر والوادي : منعطه . والألواذ : جمع لود بالفتح وهو جانب الجبل

ومعطف الوادي .

(٣) معقول : عقل .

(٤) أعذر : نت له عذر .

٢٠٥ - كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ ، فاطلب شبيباً واسلك في أثره أين سلك حتى تدركه
فَتَقْتُلْهُ أَوْ تَنْفِيهِ ، فَإِنَّمَا السُّلْطَانُ سُلْطَانُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْجُنْدُ جُنْدُهُ ، وَالسَّلَامُ .
نَخْرُجُ فِي طَلَبِ شَبِيبٍ ، وَكَانَ شَبِيبٌ لَا يَصِيبُ لَهُ غِرَّةٌ وَلَا يَصِلُ
إِلَيْهِ لَشِدَّةِ حَذَرِهِ مِنْهُ ^(١) .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٨ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٤١٧)

٢٠٦ - كتاب عثمان بن قطن إلى الحجاج

وأرسل شبيب إلى عبد الرحمن يسأله المُوَادعةَ حتى تَمُضِيَ أيام العيد
(عيد الأضحى سنة ٧٦ هـ) فأجابه ، ولم يكن شئ أحبَّ إلى عبد الرحمن من
المُطَاوَلَةِ والمُوَادعةِ ، فكتب عثمان بن قطنَ حامل المدائن إلى الحجاج :
« أما بعدُ فَإِنِّي أَخْبَرُ الْأَمِيرَ - أَصْلَحَهُ اللَّهُ - أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ مُحَمَّدٍ قَدْ
حَفَرَ جُوعَى كُلَّهَا خَنْدَقًا وَاحِدًا ، وَخَلَّى شَبِيبًا وَكَثَرَ خَرَاجِهَا ، وَهُوَ يَأْكُلُ
أَهْلَهَا ، وَالسَّلَامُ » . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٣٩)

(١) كان شبيب يدعه حتى إذا دنا منه دنته فحده قد خندق على نفسه وحضر ، فيصبي ويدعه ،
فيتبعه عبد الرحمن فإذا بلعه أنه قد تحمل وأنه يسير أثقل في الحيل ، فإذا انتهى إليه وحده قد صف
الحبل والرجال وأدنى المرامية ، فلا يصيب له عزة ولا له علة ، فيصبي ويدعه .

٢٠٧ - رد الحجاج على ابن قطن

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعدُ ، فقد فهمتُ ما ذكرتَ لى عن عبد الرحمن ، وقد لَعَمْرَى فعل ما ذكرتَ ، فسر إلى الناس فأنت أميرهم ، وعاجِلِ المارقة حتى تلقاهم فإن الله - إن شاء الله - ناصرك عليهم ، والسلام . »
وبعث الحجاج إلى المدائن مُطَرِّفَ بن المغيرة بن شُعْبة ، وقَدِمَ عثمان ابن قَطَنَ على ابن الأشعث ومن معه ، فخرج بهم للقاء شبيب ، فقتله شبيب وهزم جنده . (تاريخ الطبرى ٧ - ٢٣٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ - ص ٤١٧)

٢٠٨ - كتاب مطرف بن المغيرة بن شعبة إلى الحجاج

وأقبل شبيب نحو المدائن ، فكتب مُطَرِّفٌ إلى الحجاج :
« أما بعدُ فأني أخبر الأمير - أكرمهُ الله - أن شبيباً قد أقبل نحونا ، فإن رأى الأمير أن يُعِدَّنِي رجالاً أُضَيِّطُ بهم المدائن فعل ، فإن المدائن باب الكوفة وحِصْنُهَا . »
وفي رواية أخرى للطبرى أيضاً أنه كتب إليه : « إن شبيباً قد أطل على ، فابعث إلى المدائن بعثاً » فأمدّه الحجاج بما طلب .

(تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٩ - ٢٤٩)

٢٠٩ - كتاب ماذرواسب إلى الحجاج

وجاء شبيب حتى نزل قناطر حُذَيْفَةَ بن اليمَانِ ، فكتب ماذرواسب
عظيم بابل مَهْرُودَ إلى الحجاج :
« أما بعدُ ، فأني أخبر الأمير - أصلحه الله - أن شبيباً قد أقبل حتى
نزل قناطر حُذَيْفَةَ ، ولا أدري أين يريد . »

فقام الحجاج في الناس فقال : « أيها الناس ، والله لَتُقَاتِلَنَّ عن بلادكم
وعن فيكم ، أو لَأَبْعَثَنَّ إلى قوم هم أطوعُ وأسمعُ وأصبرُ على اللأواءِ ^(١) والفيظِ
منكم ، فيقاتلون عدوكم ، ويأكلون فيكم . »

فقاموا إليه من كل جانب فقالوا : نحن نقاتلهم ، ونُعْتَبِ ^(٢) الأمير ،
فليَنْدُبْنَا إليهم فإننا حيث سَرَّه . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣)

٢١٠ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان :
« أما بعدُ فأني أخبر أمير المؤمنين - أكرمه الله - أن شبيباً قد
شارفَ المدائن ، وإنما يريد الكوفة ، وقد عجزَ أهل الكوفة عن قتاله في
مواطنٍ كثيرة ، في كلِّها يَقْتُلُ أمراءهم وَيَقْلُ جُنُودَهُمْ ، فإن رأى أمير
المؤمنين أن يبعثَ إلى أهل الشام ، فيقاتلوا عدوهم ، ويأكلوا بلادهم
فليفعل ، والسلام . »

(١) الندة . (٢) نرعى .

فبعث إليه عبد الملك سُفَيَّان بن الأبرد الكلبي في أربعة آلاف ،
وحبيب بن عبد الرحمن الحكمي في ألفين .
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٤٣ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤١٩)

٢١١ - كتاب الحجاج إلى جند الشام

وخاف الحجاج غارة شبيب على من أقبل إليه من أهل الشام ، فبعث
إليهم رسولا بكتاب فيه :

« أما بعدُ ، فإذا حاذيتم هَيْت^(١) فدعُوا طريقَ الفُرات والأنبار ،
وخذوا على عين التمر^(٢) حتى تَقْدَمُوا الكوفةَ إن شاء الله ، وخذوا
حِذْرَكُمْ ، ومجّلوا السير ، والسلام » .

وجهاز الحجاج جيشاً عظيماً من أهل الكوفة ، واستقدم عَتَّابَ
ابن وَرْقَاءَ الرِّياحى - وكان مع المهلب بن أبي سُفْرة على قتال الأزارقة -
فبعثه على ذلك الجيش ، فسار عتاب لقتال شبيب ، وحمل عليه شبيب
فتفرّق عنه كثير من أصحابه وخذلوه ، وثبت في عِصَابَةِ قَلِيلَةٍ صَبَرَتْ معه
وقاتل حتى قتل .

ثم قَدِمَ جيش الشام فَشَدُّوا للحجاج ظهره ، فاستغنى بهم عن
أهل الكوفة .

وجدَّ شبيب حتى دخل الكوفة دَخَلَتْهُ الثانية ، ومعه زوجته غَزَالَة^(٣)

(١) بلدة على الفرات فوق الأنبار . (٢) بلدة قريبة من الأنبار .

(٣) هكذا ذكر الطبري وكذا المسعودي في مروج الذهب ٢ : ١٤٠ فعلاً : إن عزالة زوجها ،
وذكر عبد القاهر البغدادي في الفرق بين الفرق ص ٩٠ أن عزالة أمه وأن أمراً به جبهة ، وقال

- وقد كانت نذرت أن تصلى في مسجد الكوفة ركعتين تقرأ فيهما البقرة وآل عمران ففعلت - وتحصن الحجاج في دار الإمارة ، ثم هبّ لمداغة شبيب ، وخرج إليه بنفسه ، فانهزم شبيب وقتلت زوجته وانصرف عن الكوفة . (تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٤ ، وشرح ابن أبي الحديد م ١ : ص ٤١٩)

٢١٢ - كتاب الحجاج إلى الحكم بن أيوب

وأتبعه الحجاج جيشا يقوده سُفيان بن الأبرد ، وكتب إلى الحكم ابن أيوب بن الحكم بن أبي عَقيّل - وهو زوج ابنة الحجاج ، وعامله على البصرة - :

« أما بعدُ فابعث رجلاً شجاعاً شريفاً من أهل البصرة في أربعة آلاف إلى شبيب ، ومُرّه فليتلحق بسفيان بن الأبرد ، وليسمع له وليطع . »
فبعث إليه زياد بن عمرو العتكيّ في أربعة آلاف ، فلم ينته إلى سفيان حتى التقى سفيان وشبيب على جسر دُجَيْل^(١) ، وحمى بينهما وطيس^(٢) القتال حتى جَنَّ الليل ، فقال شبيب لأصحابه : اعبروا معاشرَ المسلمين ، فإذا أصبحنا باكرناهم ، فعبروا أمامه ، وزل حافر فرسه عن حرف السفينة فسقط في الماء ، فقال : لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ، فارتس^(٣) في الماء ،

المروزي نادى في الغاموس : وجهيزة امرأه حماء أم شبيب الحارثي ، وكان أبوه اشتراها من السبي فواقعها فحمل فتحرك الولد فقال : في بطنى شيء سر ، فقالوا : أحق من جهيزة ، وكذلك ذكر صاحب اللسان والميداني في مجمع الأمثال .

(١) نهر بالأهواز . (٢) الوطيس : التنور . (٣) العمس .

ثم ارتفع فقال : ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْقَزِيرِ الْعَلِيمِ ، وكان هلاكه سنة ٧٧ هـ .
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٥٦)

٢١٣ — كتاب عمران بن حطان إلى الحجاج

وروى صاحب الأغاني قال :

« لما دخلت غزاة الحُرُورِيَّةُ^(١) على الحجاج هي وشبيب الكوفة ،
تحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان^(٢) - وقد
كان الحجاج لج في طلبه - قال :

أَسَدٌ عَلَى وَفَى الْحُرُوبِ نَعَامَةٌ رَبِّدَاءُ تَجِفُّلُ مِنْ صَفِيرِ الصَّافِرِ^(٣)
هَلَّا بَرَزْتَ إِلَى غَزَاةِ الْوَعَى بَلْ كَانَ قَلْبُكَ فِي جَنَاحِي طَائِرٍ
صَدَعَتْ غَزَاةُ قَلْبِهِ بِفَوَارِسَ تَرَكْتَ كِتَابَهُ كَأَمْسِ الدَّابِرِ^(٤)
ثم لحق بالشام فنزل على رَوْحِ بْنِ زُبَاعٍ » . (الأغاني ج ١٦ : ص ١٥٠)

(١) يسمى الحوارج بالحُرورية نسبة إلى حروراء ، وهي قرية بظاهر الكوفة ، سماها بذلك الامام على كرم الله وجهه ، وذلك أنه لما رجع من صمين إلى الكوفة اعتزله جماعة ممن رأوا التحكيم ضلالا ونزلوا حروراء ، سار إليهم وناظرهم فأخضعهم ، فرجع معه بعضهم ، فقال لهم عليّ : مانسيكم ؟ ثم قال أتم الحُرورية لاحتماكم بحروراء - المكمل ٢ : ١٢٩ - .

(٢) أحد رؤوس الحوارج الصفرية .

(٣) الربة كحمة : لون إلى الغرة ، وهو أريد ، وهي ربداء ، وحملت العامة : كضرب وقعد وأجفلت : أسرعته وذهبت في الأرس .

(٤) في الأغاني « تركت مدابره » وقد وردت هذه الأبيات في العقد الفريد ج ٣ : ص ١٧ ، وروايته للبيت الثالث :

صدعت عرالة جمعه نعاكر تركت كتائبه كأمس الدابر

فتنة مطرف بن المغيرة بن شعبة

٢١٤ - كتاب مطرف إلى أخيه حمزة

وفي سنة ٧٧ هـ خرج مُطَرِّفُ بن المغيرة بن شعبة على الحجاج ، وخلع
عبد الملك بن مروان ، ومضى فيمن بايعه من أصحابه حتى دنوا من همدان ،
وكان أخوه حمزة بن المغيرة على همدان - فكره أن يدخلها فيتهم أخوه
عند الحجاج ، فتركها وأخذ ذات اليسار إلى ماء دينار ، وكتب إلى
أخيه حمزة :

« أما بعد ، فإن النفقة قد كثرت ، والمؤنة قد اشتدت ، فأمدد أخاك
بما قدرت عليه من مال وسلاح » فسرّح إليه بمال وسلاح .
(تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٣)

٢١٥ - كتاب مطرف إلى سويد بن سرحان الثقفي

وبكير بن هرون البجلي

وكتب مطرف بن المغيرة إلى سويد بن سرحان الثقفي ، وإلى بُكَيْرِ
أبن هرون البَجَلِيِّ بالري :

« أما بعد ، فإننا ندعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه ، وإلى جهاد من
عند^(١) عن الحق ، واستأثر بالقيء ، وترك حكم الكتاب ، فإذا ظهر الحق

(١) عند عن الطريق كصر وسمع وكرم : مال .

وَدُمِغَ^(١) الْبَاطِلُ ، وَكَانَتْ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعِلْيَا ، جَعَلْنَا هَذَا الْأَمْرَ سُورَى بَيْنَ الْأُمَّةِ يَرْضَى الْمَسَامُونَ لِأَنْفُسِهِمُ الرِّضَا ، فَكُنْ قَبْلَ هَذَا مَنَا كَانَ أَخَانَا فِي دِينِنَا ، وَوَلَيْنَا^(٢) فِي حَيَاتِنَا وَنَمَاتِنَا ، وَمَنْ رَدَّ ذَلِكَ عَلَيْنَا جَاهِدْنَاهُ وَاسْتَنْصَرْنَا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَكَفَى بِنَا عَلَيْهِ حُجَّةً ، وَكَفَى بِتَرْكِهِ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ غَبْنًا ، وَبِعِدَاهِنَةِ الظَّالِمِينَ فِي أَمْرِ اللَّهِ وَهَذَا^(٣) ، إِنْ اللَّهُ كَتَبَ الْقِتَالَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ وَتَمَّاهُ كُرْهَا^(٤) ، وَلَنْ يُنَالَ رِضْوَانُ اللَّهِ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَجِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ ، فَأَجِيبُوا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - إِلَى الْحَقِّ ، وَادْعُوا إِلَيْهِ مَنْ تَرْجُونَ إِجَابَتَهُ ، وَعَرِّفُوهُ مَا لَا يَعْرِفُهُ ، وَلِيَقْبَلَ إِلَى كُلِّ مَنْ رَأَى رَأَيْنَا ، وَأَجَابَ دَعْوَتَنَا ، وَرَأَى عَدُوَّهُ عَدُونَا ، أَرْشَدَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ ، وَنَابَ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ ، وَالسَّلَامُ » .

فَلَمَّا قَدِمَ الْكِتَابُ عَلَى ذِيكَ الرَّجَائِينَ دَبَّ فِي رِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الرِّىِّ ، وَدَعَّوْا مِنْ تَابِعِهِمَا ، ثُمَّ خَرَجُوا سِرًّا لَا يُفْطَنُ بِهِمْ حَتَّى وَافَوْا مُطَرِّفًا .
(بَارِعُ الطَّرِيقِ ٧ : ٢٤٦)

٢١٦ - كِتَابُ الْبِرَاءِ بْنِ قَبِيصَةَ إِلَى الْحِجَابِ

وَكَتَبَ الْبِرَاءُ بْنُ قَبِيصَةَ ، وَهُوَ عَامِلُ الْحِجَابِ عَلَى أَصْبَهَانَ إِلَيْهِ :
« أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ كَانَ لِلْأَمِيرِ - أَصْلَحَهُ اللَّهُ - حَاجَةٌ فِي أَصْبَهَانَ ، وَغَيْرِ

(١) أَصْلُهُ مِنْ دَمِغَةٍ ، إِذَا كَسَرَ عَظْمَ دِمَاعِهِ ، فَالْسَّحَابُ دِمَاعُهُ . وَرَوَى ابْنُ أَبِي عَرِيفَةَ الدِّمَاقُ وَلَا حَيَاةَ مَعَهَا وَفَعَلَهُ كَمَعَ وَصَرَ . (٢) الْوَلِيُّ : الْحُبُّ وَالصِّدْقُ وَالنَّصْرُ .
(٣) الْوَهْشُ : الصَّعْبُ .

(٤) سَبَرٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ » .

أصبهان ، فليَبْعَثْ إلى مُطَرِّف جيشاً كثيراً يستأصله ومن معه ، فإنه لا تزال عصابة قد انتفجت^(١) له من بلدة من البلدان ، حتى توافيه بمكانه الذي هو به ، فإنه قد استكشف وكثر تبعه ، والسلام .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٤)

٢١٧ - رد الحجاج على البراء

فكتب إليه الحجاج :

« أما بعد ، إذا أتاك رسولي فعسكر بمن معك ، فإذا مرَّ بك عديُّ ابن وئاد فاخرج معه في أصحابك واسمع له وأطع والسلام . »

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٤)

٢١٨ - كتاب الحجاج إلى فيس بن سعد العجلي

وبلغ الحجاج ما أتاه حمزة بن المنيرة من إمداده أخاه بالمال والسلاح ، وكان قيس بن سعد العجلي يومئذ على شُرطة حمزة ، ولبنى عجل وريعة عدَد بهمدان ، فبعث الحجاج إلى فيس بمهده على همدان ، وكتب إليه أن : « أوثق حمزة بن المنيرة في الحديد ، واحبسَه فبَلَّاك حتى يَأْتِيكَ أَمْرِي » فأفراه قيس كتاب الحجاج إليه وأراه عهدَه ، فقال حمزة : سمعا وطاعة ، فأوثقه وجلسه في السجن ، وتولى أمر همدان وبعث عماله عليها .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٥)

(١) أي ثارت ووثب ، وفي الأصل « استعج » وهو تصحيف .

٢١٩ - كتاب قيس بن سعد إلى الحجاج

وكتب إلى الحجاج :

« أما بعد ، فإني أخبر الأمير - أصلحه الله - أنني قد شددت حمزة
ابن المغيرة في الحديد ، وحبسته في السجن ، وبعثت عمالي على الخراج ،
ووضعت يدي في الجباية ، فإن رأى الأمير - أبقاه الله - أن يأذن لي في
المسير إلى مطرف أذن لي ، حتى أجاهد في قومي ومن أطاعني من أهل
بلادى ، فإني أرجو أن يكون الجهاد أعظم أجراً من جباية الخراج ،
والسلام . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٥)

٢٢٠ - كتاب الحجاج إلى عدى بن وتاد

وكتب الحجاج إلى عدى بن وتاد الإيادى وهو على الرى :

« أما بعد ، فإذا قرأت كتابي هذا ، فانهض بثلاثة أرباع من معك
من أهل الرى ، ثم أقبل حتى تمر بالبراء بن قبيصة بجى ، ثم سيرا جميعا ، فإذا
التقيتما فأنت أمير الناس حتى يقتل الله مطرفا ، فإذا كفى الله المؤمنين
مؤنته ، فانصرف إلى عملك في كنف^(١) من الله وكلاءته^(٢) وستره .
وفعل عدى ما أمر به وسارا حتى انتهى إلى جى ، ووافاه بها قبيصة

(١) أى فى حرره وستره . (٢) أى حراسته .

وسارا إلى مطرف ، ثم نشب القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش مطرف فما زال يقاتل حتى قتل . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٧)

٢٢١ - كتاب الحجاج إلى عدي بن وتاد

وكان على ميمنة جيش مُطَرِّف الحجاج بن جارية ، فكتب الحجاج ابن يوسف إلى عدي بن وتاد :
« أما بعدُ ، فَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَتَلَ الْحَجَّاجَ بْنَ جَارِيَةَ فَبَعْدًا لَهُ ، فَذَاكَ مَا أَهْوَى وَأَحِبُّ ، وَإِنْ كَانَ حَيًّا فَاطْلُبْهُ قَبْلَكَ حَتَّى تُوثِقَهُ ، ثُمَّ سَرِّحْ بِهِ إِلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَالسَّلَامُ » .

فلم يزل الحجاج بن جارية خائفا حتى عُزل عدي بن وتاد ، وقَدِمَ خالد ابن عَتَّاب بن وَرْقَاء ، فَكَلَّمُ فِيهِ فَأَمَنَهُ . (تاريخ الطبري ٧ : ٢٦٨)

٢٢٢ - كتاب الحجاج إلى خالد بن عتاب

وروى أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني قال :
وكان الحجاج قد استعمل على الرمي خالد بن عَتَّاب الرِّياحِي ، وكانت أمه أُمُّ وَلَدٍ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ يُلَخِّنُ^(١) أُمَّهُ ، وَيَقُولُ : « يَا بَنَ اللَّحْنَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي هَرَبْتَ عَنْ أَيْيِكَ^(٢) حَتَّى قَتَلَ » .

(١) أى يسبها ويصفها باللعن بالحريك ، وهو قبح ربح الفرج ، وأمة لحناء ، ومن شتم العرب : يابن اللحناء ، كأنهم يقولون يادئء الأصل ، أو يالكلم الأم .

(٢) هو عتاب بن ورقاء الرياحي وقد قتل وهو على حرب الخوارج الشيبية - انظر ص ٢٠٢ .

٢٢٣ - رد خالد على الحجاج

وقد كان حلف أن لا يسبَّ أحد أمه إلا أجابه كائنا من كان ، فكتب إليه خالد :

« كتبتَ إلىّ تلخّنتي ، وترعُم أني فررتُ عن أبي حتى قتل ، ولعمري لقد فررتُ عنه ، ولكن بعد أن قُتِل ، وحين لم أجد مقاتلا ، ولكن أخبرني عنك يابن اللخناء المُستفْرِمة^(١) بعجم زيب الطائف ، حين فررت أنت وأبوك يوم « الحرّة »^(٢) على جمل ثقال^(٣) ، أيكما كان أمام صاحبه ؟ » .
فقرأ الحجاج الكتاب ، وقال : صدق :

أنا الذي فررتُ يوم الحرّة ثم ثنيتُ كَرّة بفرّة
* والشيخ لا يفرّ إلا مرّة^(٤) *

ثم طلبه ، وهرب خالد إلى الشام وسَلَمَ بيت المال ، ولم يأخذ منه شيئا ، وكتب الحجاج إلى عبد الملك بما كان منه ، واستجار خالد بزُفر بن الحرث الكلابي فأجاره ، فراجعه عبد الملك في أمره ، ثم أجاره .

(الأمان ١٦ : ٤١)

(١) الفرم كشمس والفرمة كوردة والفرام ككتاب : دواء تنضيق به المرأة ، فهي فرماء ومستفرمة ، والعجم كسب وغراب : نوى كل شيء .

(٢) انظر هامش ص ٩٧ . (٣) أي بطيء .

(٤) جاء في العقد الفريد (ج ٢ : ص ٢٥٧) أن الأنصار في وقعة الحرّة قدموا عبدالله بن حنظلة على أنفسهم ، وقدمت قريش عبد الله بن مطيع ، فلما هزمهم مسلم بن عقبة ودخل المدينة ، هرب عبدالله بن مطيع حتى لحق بمكة ، فكان بها حتى قتل مع عبدالله بن الربيع في أيام عبد الملك بن مروان ، وجعل يقاتل أهل الشام وهو يقول :

أنا الذي فررت يوم الحرّة والشيخ لا يفر إلا مرّة
فاليوم أجزى كَرّة بفرّة لأبأس بالكرة بعد الفرّة

فتنة ابن الأشعث

٢٢٤ - كتاب الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكر

قدّمنا أن الحجاج ولى عبيد الله بن أبي بكر سجستان سنة ٧٨ هـ ، وكان رتبيل ملك الترك مصالحا للعرب يدفع لهم خراجا ، وربما امتنع فلم يفعل ، فبعث الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكر أن :

« نأجزه بمن معك من المسلمين ، فلا ترجع حتى تستبيح أرضه ، وتهدم قلاع ، وتقتل مقاتلته ، وتسبي ذريته » .

فخرج بمن معه من المسلمين من أهل الكوفة وأهل البصرة ، وكان على أهل الكوفة شريح بن هانئ الحارثي ، وعلى أهل البصرة عبيد الله ، وهو أمير الجماعة ، فمضى حتى غل في بلاد رتبيل ، فأصاب من البقر والغنم والأموال ماشاء ، وهدم قلاعا وحصونا ، وغلب على أرض من أرضهم كثيرة ، وترك يخلون لهم عن أرض بعد أرض حتى أمعنوا في بلادهم ، فأخذوا عليهم العقاب والشعاب^(١) ، فسقط في أيدي المسلمين^(٢) ، وظنوا أن قد هلكوا .

(تأريخ الطبري ٧ : ٢٨٢)

(١) العقاب جمع عقبة كركمة ، وهي مرقى صعب من الجبال ، والشعاب جمع شعب بالكسر وهو الطريق في الحل وما اخرج بين الجبلين .

(٢) سقط في يده وأسقط : ندم وغير .

٢٢٥ - كتاب الحجاج الى عبد الملك

فبعث ابن أبي بكره إلى شريح بن هاني : إني مُصالح القوم على أن أعطيهم مالا ويَحْتَلُوا بيني وبين الخروج ، فأرسل إليهم فصالحهم على سبعمائة ألف درهم ، فقال له : إنك لاتصالحُ على شيء إلا حَسَبَهُ السلطان عليكم في أعطياتكم ، فقال : لو مَنَعَنَا العطاء ما حَيَّيْنَا ، كان أهونَ علينا من هلاكنا ، نخالفه شريح ، ونادى : يا أهل الإسلام من أرادَ منكم الشهادة فإِلَيَّ ، فاتبعه فُرسان الناس ، وأهل الحِفاظِ ، فقاتلوا حتى أصيبوا إلا قليلا ، وقاتل حتى قتل في ناس من أصحابه ، ونجا من نجا ، فخرجوا من بلاد رتيبل ، وبلغ ذلك الحجاج ، فكتب إلى عبد الملك :

« أما بعد ، فإن جندَ أمير المؤمنين الذين بسِجِسْتَانِ أصيبوا فلم ينج منهم إلا القليل ، وقد اجتراً العدو بالذي أصابه على أهل الإسلام ، فدخلوا بلادهم ، وغلبوا على كل حصونهم وقصورهم ، وقد أردتُ أن أُوجِّهَ إليهم جُنداً كثيفا من أهل المِصرين ، فأحييتُ أن أَسْتَطْلِعَ رأيَ أمير المؤمنين في ذلك ، فإن رأى لى بعثة ذلك الجند أمضيته ، وإن لم يَرَ ذلك فإن أمير المؤمنين أوَّلَى بجنده ، مع أني أُنْخَوْفُ إن لم يأت رتيبل ومن معه من المشركين جندٌ كثيفٌ عاجلا ، أن يستولوا على ذلك الفَرَجِ ^(١) كله » .

(تاريخ الطبري ٧ : ٢٨٢)

(١) المرج : الثغر وموضع الخافه .

٢٢٦ - رد عبد الملك على الحجاج

فكتب إليه عبد الملك :

« أما بعد ، فقد أتاني كتابك تذكُرُ فيه مُصابَ المسلمين بسجستان ، وأولئك قومٌ كتبَ اللهُ عليهم القتلَ فَبَرَزُوا إلى مضاجِعهم ، وعلى اللهُ ثوابهم ، وأما ما أردتَ أن يأتيتك فيه رأيي من توجيه الجنود وإمضائها إلى ذلك الفرج الذي أُصيبَ فيه المسلمون أو كَفَّها ، فإن رأيي في ذلك أن تُنْضِيَ رأيك راشداً موقفاً . »

فجهز الحجاج عشرين ألف رجل من أهل الكوفة ، ومثلهم من أهل البصرة ، وجدَّ في ذلك وشمر ، وبعث عليهم عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، فخرج بهم حتى قدِمَ سجستان سنة ٨٠ هـ . فجمع أهلها وخطبهم ، فقال : إن الأمير الحجاج ولأني تُغَرِّكم ، وأمرني بجهاد عدوكم الذي استباح بلادكم ، وأباد خياركم ، فإياكم أن يتخلفَ منكم رجل فيُحِلَّ بنفسه العقوبة ، اخرجوا إلى مُعَسِّركم فمعسكروا به مع الناس . فمعسكروا الناس كلهم في معسكركم .

فبلغ ذلك رتبيل ، فكتب إلى عبد الرحمن : يعتذر إليه من مُصاب المسلمين ، ويخبره أنه كان لذلك كارها ، وأنهم أُلْجِئوا إلى قتالهم ، وبسأله الصلح ، ويعرض عليه أن يقبل منه الخراج ، فلم يُجبه ، ولم يقبل منه . ولم ينشب عبد الرحمن أن سار في الجنود إليه حتى دَخَ أول بلاده ،

وأخذ رتبيل يضم إليه جنده ، ويدع له الأرض رُسْتاقا رُسْتاقا^(١) ، وحِصْنا حصنا ، وطفِقَ ابن الأشعث كلما حوى بلداً بعث إليه عاملاً ، وبعث معه أعواناً ، ووضع البرد^(٢) فيما بين كل بلد وبلد ، وجعل الأرصاد على العقاب والشُّعاب ، ووضع المسارح^(٣) بكل مكان مخوف ، حتى إذا حاز من أرضه أرضاً عظيمة ، وملأ يديه من البقر والغنم والغنائم العظيمة ، حبس الناس عن الوُغول في أرض رتبيل ، وقال : نكتفي بما أصبناه العام من بلادهم حتى نجيبها ونعرفها ، ويجترئ المسلمون على طرقها ، ثم تعاطى في العام المقبل ما وراءها ، ثم لم نزل ننتقصهم في كل عام طائفة من أرضهم حتى نقاتلهم آخر ذلك على كنوزهم وذرائعهم ، وفي أقصى بلادهم ومُمتنع حصونهم ، ثم لا نزائلُ بلادهم حتى يهلكهم الله ، ثم كتب إلى الحجاج بما فتح الله عليه من بلاد العدو ، وبما صنع الله للمسلمين ، وبهذا الرأي الذي رآه لهم .
(تاريخ الطبري ٨ : ٣)

٢٢٧ - كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث

فكتب إليه الحجاج جواب كتابه :

« أما بعد ، فإن كتابك أثناني ، وفهمتُ ما ذكرت فيه ، وكتابك كتابُ امرئ يحب الهدنة ، ويستريح إلى المودعة ، قد صانع عدوا قليلاً

(١) الرستاق : الناحية التي هي طرف الاقلام ، معرب .

(٢) جمع برد .

(٣) جمع مسلحة ، وهي الهم ذوو سلاح .

ذليلاً ، قد أصابوا من المسلمين جُنْدًا كَانَ بِلَاؤُهُمْ حَسَنًا ، وَغَنَاؤُهُمْ^(١) فِي
الإِسْلَامِ عَظِيمًا .

لَعَمْرُكَ يَا بَنَ أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، إِنَّكَ حَيْثُ تَكُفُّ عَنْ ذَلِكَ الْمَدْوِ بِجَنْدِي
وَحَدِّي ، لَسَخِيَّ النَّفْسِ عَمَّنْ أُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ! إِنْ لَمْ أُعْذِدْ رَأْيَكَ
الَّذِي زَعَمْتَ أَنَّكَ رَأَيْتَهُ رَأْيَ مَكِيدَةٍ ، وَلَكِنِّي رَأَيْتُ أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْكَ عَلَيْهِ
إِلَّا ضَعْفُكَ وَالْتِيَاثُ^(٢) رَأْيِكَ ، فَاْمُضْ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الْوُغُولِ فِي أَرْضِهِمْ ،
وَالْهَدْمِ لِحَصُونِهِمْ ، وَقِتَالِ مُقَاتِلَتِهِمْ ، وَسَبْيِ ذُرَارِيهِمْ » .

(تاريخ الطبري ٨ : ٨)

٢٢٨ - كتاب آخر من الحجاج إلى ابن الأشعث

ثم أردفه كتابا فيه :

« أَمَا بَعْدُ ، فَمُرْ مَنْ قَبْلَكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَخْرُثُوا وَلْيَقِيمُوا ، فَإِنَّهَا
دَارُهُمْ حَتَّى يَفْتَحَهَا اللَّهُ عَلَيْهِمْ » .

(تاريخ الطبري ٨ : ٨)

٢٢٩ - كتاب ثالث من الحجاج إليه

ثم أردفه كتابا آخر فيه :

« أَمَا بَعْدُ ، فَاْمُضْ لِمَا أَمَرْتُكَ بِهِ مِنَ الْوُغُولِ فِي أَرْضِهِمْ ، وَإِلَّا فَإِنْ
إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ أَخَاكَ أَمِيرُ النَّاسِ نَفَلَهُ وَمَا وَلِيْتُهُ » .

فَدَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ النَّاسَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُمْ : قَدْ كَانَ مِنْ رَأْيِي فِيمَا بَيْنَكُمْ

(١) كَمَا بَعْدُ . (٢) الْاِلْتِيَاثُ : الْاِخْتِلَاطُ وَالْاِتِّعَافُ .

وبين عدوكم رأيٌ استشرت فيه ذوى أحلامكم وأولى التجربة للحرب منكم ، فرضوه لكم رأيا ، ورأوه لكم في العاجل والآجل صلاحا ، وقد كتبتُ إلى أمركم الحجاج ، فجاءني منه كتابٌ يعجزني ، ويضعفني ، ويأمرني بتعجيل الوُغول بهم في أرض العدو ، وهى البلاد التى هلك إخوانكم فيها بالأمس ، وإنما أنا رجل منكم أمضى إذا مضيتُم ، وآبى إذا أبيتُم . فتأر إليه الناس ، فقالوا : لا ، بل نأتى على عدو الله ، ولا نسمع له ، ولا نطيع ، وقام خطباؤهم فسفّوها رأي الحجاج ، ونادوا بخلعه ، ومبايعة عبد الرحمن ، فأجابهم الناس ، ووثبوا إلى عبد الرحمن فبايعوه على النُصرة له ، والجهاد معه حتى ينقى الحجاج من أرض العراق ، وبعث عبد الرحمن إلى رتبيل فصالحه على أن ابن الأشعث إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ما بقى ، وإن هزم فأرادَه أُلجأه عنده ، وخرج من سجستان مقبلا إلى العراق ، فلما دخل الناس فارس اجتمع بعضهم إلى بعض ، فقالوا : إنا إذا خلعنا الحجاج عامل عبد الملك ، فقد خلعنا عبد الملك ، نخلعوه إلا قليلا منهم ، ووثبوا إلى عبد الرحمن فبايعوه على كتاب الله وسنة نبيه ، وخلع أئمة الضلالة ، وجهاد المُحلّين .

(تاريخ الطبرى ٨ : ٨)

٢٣٠ - كتب بين ابن الأشعث والحجاج

وصاحب اليمن وعبد الملك

قال الطبرى :

فلما بلغ الحجاج خلعه ، كتب إلى عبد الملك يُخبره خبر عبد الرحمن ،

ويسأله أن يُعَجِّلَ بعثة الجنود إليه ، وبعث كتابه (أى كتاب عبد الرحمن) إلى عبد الملك يتمثل في آخره بهذه الآيات - وهى للحارث ابن وَعْلَةَ (الجَزْمِيّ) - :

سائلٌ مُجَاوِرَ جَرَمٍ هل جَنَيْتُ لَهُمْ حَرَبًا تُثَرِّقُ بَيْنَ الْجَبَرَةِ الْخُلُطِ^(١)
 وهل سَمَوْتُ بِجِرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ جَمَّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرْطِ^(٢)
 وهل تَرَكْتُ نِسَاءَ الْحَيِّ صَاحِبَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوِفِدْنَ بِالْفُطِ^(٣)
 وقال أبو العباس المبرِّد في الكامل :

وكتب صاحبُ اليمن إلى عبد الملك بن مَرْوَانَ في ومث محاربتِهِ
 أَبْنَ الْأَشْعَثِ : « إِنِّي قَدْ وَجَّهْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِجَارِيَةِ اشْتَرَيْتَهَا بِمَالٍ
 عَظِيمٍ ، وَلَمْ يُزَ مِثْلُهَا قَطُّ » .

فَلَمَّا دُخِلَ بِهَا عَلَيْهِ رَأَى وَجْهَهَا جَمِيلًا ، وَخَلَقًا نَبِيلًا ، فَأَتَى إِلَيْهَا قَضِييَا
 كَانَ فِي يَدِهِ ، فَكَسَتْ لَتَأْخُذَهُ ، فَرَأَى مِنْهَا جَسْمًا يَهْرَهُ ، فَلَمَّا هَمَّ بِهَا
 أَعْلَمَهُ الْآذِنُ أَنَّ رَسُولَ الْحَجَّاجِ بِالْبَابِ فَأَذِنَ لَهُ ، وَنَحَّى الْجَارِيَةَ ، فَأَعْطَاهُ
 كِتَابًا مِنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيهِ سَطُورٌ أَرْبَعَةٌ يَقُولُ فِيهَا :

(١) حرم : نطاش ، نطش في قصاعه ، والآحر في طى . والحالط : جمع حلط ، وهو الشريك واليوم
 الدين أمرم واحد ، والحالط .

(٢) حرار : أى محس حرار . والاحب : الحلة والصباح ، حم الصواهل : أى حم الحول الصواهل
 أى كبيرها . الحم والسرط : موصان .

(٣) صاحبة : ناررة للشمس ، وربما كان « صاحبه » والسط جمع عبط . والسط : الرجل وهو
 للنساء يسد عليه اليهودح وقوله : في ساحة الدار يسوقدن العط ، قال المبرد : يقال فيه قولان متقاربان :
 أحدهما أنه قد يئس من الرجل فحلق مراكبه خطأ ، وهذا قول الأصمى ، وقال غيره : بل قد
 مسهن الخوف من الاحتطاب .

سَائِلٌ مُجَاوِرَ جَزْمٍ هَلْ جَنَيْتُ لَهَا حَرْبًا تُزِيلُ بَيْنَ الْجِيَرَةِ الْخُلُطِ^(١)
 وهل سموتُ بِجَرَّارٍ لَهُ لَجَبٌ جَمُّ الصَّوَاهِلِ بَيْنَ الْجَمِّ وَالْفُرُطِ
 وهل تركتُ نِسَاءَ الْحَيِّ ضَاحِيَةً فِي سَاحَةِ الدَّارِ يَسْتَوْقِدْنَ بِالْعُبُطِ
 وتحتها (بيت آخر على غير الروى من الأبيات الأول ، وهو :

قَتَلَ الْمُلُوكَ ، وَصَارَتْ تَحْتَ لَوَائِهِ شَجَرُ الْعُرَا وَعَرَايُ الْأَقْوَامِ^(٢)
 فكتب إليه عبد الملك كتابا ، وجعل في طيه جوابا لابن الأشعث :

مَا بَالُ مَنْ أَسْعَى لِأَجْبُرٍ عَظْمَةٍ حِفَاظًا وَيُنَوِي مِنْ سَفَاهَتِهِ كَسْرِي^(٣)
 أَظُنُّ خُطُوبَ الدَّهْرِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ سَتَحْمِلُهُمْ مِنِّي عَلَى مَرَكَبٍ وَغَيْرِ
 وَإِنِّي وَإِيَّاهُمْ كُنْتُ نَبَّاهُ الْقَطَا وَلَوْلَمْ تُثَبِّتْ بَاتِ الطَّيْرِ لَا تَسْرِي
 أَنَا وَحِلْمًا وَانتظارًا بِهِمْ غَدًا فَمَا أَنَا بِالْوَانِي وَلَا الضَّرِيعُ الْغَمْرِ^(٤)
 ثم بات يقلب كف الجارية ، ويقول : مَا أَفَدْتُ فَائِدَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكَ ،
 فتقول : فَمَا لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَا يَنْمَعُكَ ؟ فَقَالَ : يَنْعَنِي مَا قَالَهُ الْأَخْطَلُ ،
 لِأَنِّي إِنْ خَرَجْتُ مِنْهُ كُنْتُ الْأَمَّ الْعَرَبُ :

قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارٍ

(١) تزل : تفرق

(٢) العرا ضم العين مقصورا : نبت ، والعراء بفتح العين ممدودا : وحة الأرض ، وعراعر الأقوام رءوسهم ، جمع عرعة ضم العينين ، وعرعة كل شيء أعلاه ، والبيت لمهلل .

(٣) دخل الحرم هذا البيت - على رواية صاحب الكامل - وسيرد عليك في باب التوقيعات « فَمَا نَال ... »

(٤) صرع إليه وثلك : خضع ودل واستكان فهو ضارع ، وضرع ككف وصروع كصبور وصرعة محركة ، وككرم : صعف فهو صرع محركة ، والغمر : كشمس وقمل وسبب وكف ومعظم : من لم يحرب الأعداء

فما إليك سبيل ، أَوْ يَحْكُمُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَدُوِّي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ ،
فَلَمْ يَقْرَبْهَا حَتَّى قُتِلَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ .

(تاريخ الطبري ٨ : ١٠ ، والكامل للبرد ١ : ١٢٠)

٢٣١ - كتاب من ابن الأشعث إلى الحجاج

(كتبه ابن القرية)

وروى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة قال :

فلما أجمعَ عبد الرحمن على إظهار خلع الحجاج ، كتب إلى أيوب
ابن القرية التيمي ، وهو مع الحجاج في عسكره خاصّ المنزلة منه ، يسأله
أن يُصَدِّرَ إليه رسالة إلى الحجاج ، يخلع فيها طاعة الحجاج ، فكتب له
ابن القرية رسالة فيها :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث إلى
الحجاج بن يوسف ، سلام على أهل طاعة الله وأوليائه الذين يَحْكُمُونَ
بَعْدَهُ ، وَيُؤْفُونَ بِمَهْدِهِ ، وَيُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِهِ ، وَيَتَوَرَّعُونَ لِذِكْرِهِ ،
وَلَا يَسْفِكُونَ دَمًا حَرَامًا ، وَلَا يَمْطُلُونَ لِلرَّبِّ أَحْكَامًا ، وَلَا يَذْرُسُونَ^(١) لَهُ
أَعْلَامًا ، وَلَا يَتَنَكَّبُونَ النَّهْجَ^(٢) ، وَلَا يُبْرِمُونَ السَّيِّئَ ، وَلَا يَسَارِعُونَ فِي
الْفُتَى ، وَلَا يَدُلُّونَ الْفَجْرَةَ ، وَلَا يَتَرَاوَنَ الْجَوْرَةَ ، بَلْ يَتِمَكَّنُونَ عِنْدَ
الْإِشْتِبَاهِ ، وَيَتَرَاوِعُونَ عَنِ الْإِسَاءَةِ .

(١) درس الرسم كدخل : عفا ، ودرسته الرخ ، لازم ومتعد .

(٢) النهج : الطريق الواضح ، وتتكبه : يدل عنه وتجنبه .

أما بعد ، فَإِنِّي أَتَحَمَدُ اللَّهَ سَمَحْدًا بِالْعَافِي رِضَاهُ ، مُنْتَهِيًا إِلَى الْحَقِّ فِي الْأُمُورِ الْحَقِيقَةِ لِلَّهِ عَلَيْنَا ، وَبَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ أَنْهَضَنِي لِمُصَاوَلَتِكَ ، وَبَعَثَنِي لِمُنَاضَلَتِكَ ، حِينَ تَحَيَّرْتُ أُمُورَكَ ، وَتَهَيَّئْتُ سُبُورَكَ ، فَأَصْبَحْتُ غُرِيَّانَ حَيْرَانَ مَهِينًا لَا تُوَافِقُ وَفَقًا ، وَلَا تَرَافِقُ رِفَقًا ، وَلَا تَلْزِمُ صِدْقًا ، أَوْ مَلَّ مِنْ اللَّهِ الَّذِي أَلْهَمَنِي ذَلِكَ أَنْ يُصَيِّرَكَ فِي حَبَالِكَ ، وَأَنْ يَحْيِيَ بِكَ فِي الْقَرْنِ ^(١) ، وَيَسَحِّبَكَ لِلذَّفَنِ ، وَيُنْصِفَ مِنْكَ مَنْ لَمْ تُنْصِفْهُ مِنْ نَفْسِكَ ، وَيَكُونَ هَلَاكُكَ بِيَدَيْ مَنْ اتَّهَمْتَهُ وَمَادِيَّتَهُ ، فَلَعَمْرِي لَقَدْ طَالَمَا تَطَاوَلْتَ وَتَمَكَّنْتَ وَأَخْطَأْتَ ، وَخِلْتَ أَنْ لَنْ تَبُورَ ^(٢) ، وَأَنْتِ فِي فَلَكِ الْمُلْكِ تَدُورُ ، وَأُظِنُّ مِصْدَاقَ مَا أَقُولُ سَتَجْبُرُهُ عَنْ قَرِيبٍ ، فَسِرْ لِأَمْرِكَ ، وَلَا قِ عِصَابَةً خَلَعْتَكَ مِنْ حَبَالِهَا ^(٣) خَلَعَهَا نِعَالُهَا ، وَتَدَرَّعَتْ حَلَالُهَا ، تَدَرَّعَهَا مِطَاطُهَا ^(٤) ، لَا يَحْذَرُونَ مِنْكَ جَهْدًا ، وَلَا يَرْهَبُونَ مِنْكَ وَعِيدًا ، يَتَأَمَّلُونَ خَزَائِكَ ، وَيَتَجَرَّعُونَ إِمَارَتَكَ ، عِطَاشًا إِلَى دَمِكَ ، يَسْتَطْعِمُونَ اللَّهَ لَحْمَكَ ^(٥) ، وَايْمُ اللَّهِ لَيُنَافِقَنَّكَ ^(٦) مِنْهُمْ الْأَبْطَالُ الَّذِينَ بَيَّتَهُمْ ^(٧) فِيمَا يَحَاوِلُونَكَ بِهِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، شَرَّوْا ^(٨) أَنْفُسَهُمْ تَقَرُّبًا إِلَى اللَّهِ ، فَأَغْضِ ^(٩) عَنْ ذَلِكَ يَا بَنَ أُمِّ الْحِجَابِ ، فَسَتَجْمَلُ عَلَيْكَ إِنْ

(١) القرن : الحبل يربط به العيران . (٢) هلاك .

(٣) الحبال ، جمع حبل : وهو العهد والدمه والواصل ، والمعنى : حاملك من الحكم الذي عهد به لك وهذه العذارة في الأصل « ولاق عصاة حاكم من حبالها خلعه ناعلها » وأراها محرومة .

(٤) المطل : مد الحديد وسكبه وطعنه وصوبه بضه ، والمطاط اسم الحديد إلى غطل من البعجة ومن الردة وجمعها مطال . (٥) أى يسأله أن يطعمهم لحمة .

(٦) الماقيه والمغاف : المصاراة بالسوف على الرؤوس ، وفي الأصل « ليامات » وهو بصحف

(٧) يريد يبيت لهم : أى درب وكذب ، قال رب الأمر : دره ليلاء ، وبات العدو : أوقع بهم ليلاء

(٨) أى ناعوا . (٩) أعصى به طرفه : سده أو صدّه .

شاء الله ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، والسلام على أهل طاعة الله .
(الإمامة والسياسة ٢ : ٢٦)

٢٣٢ - رد الحجاج على ابن الأشعث

فلما قدم الكتاب على الحجاج قال : اكتب يا نافع ، وكان نافع مولاه وكاتباً بين يديه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من الحجاج بن يوسف إلى عبد الرحمن ابن الأشعث ، سلام على أهل النزوع عن الزيغ وأسباب الردى^(١) ، لا إلى معادن السيئ ، والتفحيم^(٢) في النقي ، فإني أحمّد الله الذي خلّك في حيرتك ، إذ بهتك^(٣) في السيرة ، وهلك للضرورة ، حتى أفضحك أموراً أخرجك بها عن طاعته ، وجانبت ولايته ، وعسكرت بها في الكفر ، وذهلت بها عن الشكر ، فلا تشكر في السراء ، ولا تصبر في الضراء ، أقبلت مستنناً^(٤) بحريم الحرّة ، تستوقد الفتنة لتضلي بجرها ، وجلبت لغيرك ضرها ، وقلت : وثاق^(٥) الاحتجاج ، ومبارزة الحجاج ، ألا بلى لأممك

(١) نزع عن الأمر : كف واسعى عنه ، وهذه العارضة في الأصل « من التربع وأسباب الرداء » وأرى أنها محرفة وصوابها ما ذكرت .

(٢) تفحيم الأمر وفيه : رمى بهمه فيه من غير روية .

(٣) بهته : حيره ، قال تعالى « لَلْ تَأْتِيهِمْ نَفْتَةٌ فَمِنْهُمْ » . أي تحيرهم حين تمحوهم عنه ، وقال أيضاً « فَمِيتَ الَّذِي كَفَرَ » . أي : اقطع وسك متعباً ، وبهته أيضاً : أخذه بعتة ، ووهل كفرح : فرح وحس ، ووهله : أفرعه .

(٤) استن ستنه : سار سيرته ، والحرم : الحرم ، أي إنك قد اتبعت سلة أهل الحره فخرحت على ولي الأمر وقضت عهد طاعته كما شقوا عصا الطاعة ليزيد (انظر ص ٩٥) .

(٥) الوثاق : ما يشده ويكسر ، والمعنى : شدة الاحتجاج .

المُهَلَّبُ^(١) ، وَعِزَّةُ رَبِّكَ لَشَكَبَنَّ لِنَحْرِكَ ، وَلَتَقْلَبَنَّ لظَهْرِكَ ، وَلَتَخَبَّطَنَّ
فَرِيصَتُكَ^(٢) وَلَتُدْحَضَنَّ حُجَّتَكَ ، وَلَيُذَمَّنَنَّ مَقَامَكَ ، وَلَتُشَلَّنَنَّ^(٣) سِهَامَكَ ،
كَأَنِّي بِكَ تَصِيرُ إِلَى غَيْرِ مَقْبُولٍ مِنْكَ إِلَّا السَّيْفُ ، هَوَّجَا هَوَّجَا عِنْدَ كَشْفِ
الْحَرْبِ عَنْ سَافِيهَا ، وَمُبَارَزَةِ أَبْطَالِهَا ، وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ أُنَابَ إِلَى اللَّهِ ،
وَسَمِعَ وَأَجَابَ . (الإمامه والسياسة ٢ : ٢٨)

٢٣٣ - كتاب المهلب إلى عبد الرحمن بن الأشعث

وقد كان بلغ المهلبَ (وكان على خراسان) شِقَاقُ عبد الرحمن ، وهو
بِسَجِسْتَانَ فكتب إليه :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ وَضَعْتَ رَجْلَكَ يَابْنَ مُحَمَّدٍ فِي غَرَزٍ^(٤) طَوِيلِ النَّيِّ
عَلَى أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، اللَّهُ اللَّهُ فَانْظُرْ لِنَفْسِكَ لَا تُهْلِكْهَا ، وَدِمَاءُ
الْمُسْلِمِينَ فَلَا تَسْفِكْهَا ، وَالْجَمَاعَةُ فَلَا تُقَرِّفْهَا ، وَالْبَيْعَةُ فَلَا تَنْكُثْهَا ، فَإِنْ
قُلْتَ : أَخَافُ النَّاسَ عَلَى نَفْسِي ، فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخَافَهُ عَلَيْهَا مِنَ النَّاسِ ،
فَلَا تَعْرِضْهَا لِلَّهِ فِي سَفْكِ دَمٍ ، وَلَا اسْتِحْلَالَ مُحَرَّمٍ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ » .
(تاريخ الطبري ٨ : ١٠)

(١) هَلَّتْهُ أُمُّهُ كَمَرَحٍ : ثَكَلَتْهُ وَفَقَدَتْهُ . (٢) الْفَرِيصَةُ : اللَّحْمَةُ بَيْنَ الْحَنْتِ وَالْكَتْفِ .
(٣) فِي الْأَصْلِ « وَلَتُشَلَّنَنَّ » وَأَرَاهُ مُحَرَّمًا .
(٤) الْغَرَزُ : رِكَابٌ مِنْ حُلْدٍ .

٢٣٤ - كتاب المهلب الى الحجاج

قال الطبرى : وكتب المهلب إلى الحجاج :

« أما بعدُ ، فإنَّ أهلَ العراق قد أقبلوا إليك ، وهم مثلُ السَّيلِ المُتَحَدِرِ من علٍّ ، ليس شيءٌ يردُّه حتى ينتهى إلى قرارِهِ ، وإنَّ لأهلَ العراق شِرَّةً^(١) في أوَّلِ مَخْرَجِهِمْ ، وَصَبَابَةً إلى أبنائِهِمْ ونسائِهِمْ ، فليس شيءٌ يردُّهم حتى يستقوا إلى أهليهِمْ ، وَيَشْمُوا أولادَهُمْ ، ثم واقِفُهُمْ عندها ، فإنَّ اللهَ ناصرُكَ عليهم إن شاء الله » .

فلما قرأ كتابه ، قال : فعل الله به وفعل ، لا والله ، مَالِي نَظَرٌ ، ولكن لابن عمِّه^(٢) نَصَحَ . (تاريخ الطبرى ٨ : ١٠)

وروى ابنُ ثُبَّاتة هذا الكتاب في سَرَحِ العيون بصورة أطول ، قال : وَحُكِيَ أن عبد الرحمن بن الأشعث لما خرج على الحجاج بالجيش الذى كان بعثه معه إلى قتال رتبيل ، كَاتَبَ المهلبَ ، وهو بخراسان يدعوهُ إلى خلع الحجاج ، فقال المهلب : لا عَدْرَ بعد سبعين سنة ، ثم كتب إلى الحجاج :

« أما بعدُ ، فإنَّ أهلَ العراق مع ابنِ الأشعث قد أقبلوا إليك ، وهم مثلُ السَّيلِ المنحطِّ من أعلى إلى أسفل ، لبس يردُّه شيء حتى ينتهى إلى قرارِهِ ، ولأهلَ العراق شِدَّةٌ في أوَّلِ حَرْبِهِمْ ، وبِهِمْ صَبَابَةٌ إلى نسائِهِمْ

(١) أى نشاطا وحدة . (٢) وذلك أن المهلب أُرْدِيَ ، وعبد الرحمن كسدى ، والأزد وكعدة قبيلتان من كهلاء بن سبأ من الفسطاطيين .

وَأَبْنَاهُمْ ، فَلَا شَيْءَ يَرُدُّهُمْ دُونَ أَهْلِهِمْ ، فَلَا تَسْتَقْبِلُهُمْ وَخَلِّ لَهُمُ السَّبِيلَ حَتَّى يَأْتُوا الْبَصْرَةَ ، فَيُضَاجِعُوا نِسَاءَهُمْ ، وَيَتَشَهَّوْا أَبْنَاءَهُمْ ، فَتَرِقَ قُلُوبُهُمْ ، وَيُخْلَدُوا إِلَى الْمَقَامِ فِي مَنَازِلِهِمْ ، وَيَتَفَرَّقُوا عَنْ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَأَوْقِعْ بَيْنَ حَارِبِكَ مِنْهُمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ نَاصِرُكَ عَلَيْهِمْ » .

فَلَمَّا قَرَأَ الْحُجَّاجُ كِتَابَهُ قَالَ : وَيَلَى عَلَى ابْنِ الْمَزُونِيِّ ، وَاللَّهِ مَالِي نَظَرَ ، وَإِنَّمَا نَظَرْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّهِ ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ ذَلِكَ . (سرح العيون ١٣٧)

٢٣٥ - كِتَابُ الْحُجَّاجِ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ

وَتَجَهَّزَ الْحُجَّاجُ لِلِقَاءِ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، وَتَتَابَعَتْ إِلَيْهِ جُنُودُ الشَّامِ ، فَسَارِبُهُمْ حَتَّى نَزَلَ « تُسْتَرَّ » ^(١) ، وَحَمَلَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَلَيْهِمْ فَهَزَمَهُمْ ، فَارْتَحَلَ الْحُجَّاجُ إِلَى الْبَصْرَةِ وَنَزَلَ « الزَّأْوِيَّة » ^(٢) وَخَلَّى الْبَصْرَةَ لِأَهْلِ الْعِرَاقِ فَنَزَلُوهَا ، وَبَايَعَ ابْنُ الْأَشْعَثِ عَلَى حَرْبِ الْحُجَّاجِ وَخَلَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ ، جَمِيعُ أَهْلِهَا ، وَدَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ ، فَانْهَزَمَ أَهْلُ الشَّامِ فَصَبَّرُوا وَصَدَّقُوا الْقِتَالَ حَتَّى انْتَصَرُوا ، وَانْهَزَمَ جَيْشُ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، فَأَقْبَلَ نَحْوَ الْكُوفَةِ حَتَّى دَخَلَهَا فَبَايَعَهُ أَهْلُهَا ، وَأَقْبَلَ الْحُجَّاجُ بِجِيوشِهِ نَحْوَهَا فَنَزَلَ دَيْرَ قُرَّةَ ، فَحَرَجَ ابْنُ الْأَشْعَثِ إِلَى دَيْرِ الْجَمَاجِمِ ^(٣) ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُ الْعِرَاقِ جَمِيعًا عَلَى حَرْبِ الْحُجَّاجِ ، فَجَمَعَهُمْ عَلَيْهِ بُغْضُهُمْ وَكَرَاهِيَتُهُمْ لَهُ ، وَاشْتَدَّ الْقِتَالُ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ ، وَأَرَادَ عَبْدُ الْمَلِكِ أَنْ يَتَرَضَّى أَهْلَ الْعِرَاقِ ، فَبَعَثَ يَعْزِضُ عَلَيْهِمْ عَزْلَ الْحُجَّاجِ

(١) مَدِينَةُ بِالْأَهْوَازِ . (٢) مَوْضِعٌ قَرِبَ الْبَصْرَةِ .

(٣) نَظَاهِرُ الْكُوفَةِ ، وَدَبْرَقَةُ بَرَاثَةِ .

عنهم ، وأن ينزل ابن الأشعث أيّ بلد من العراق شاء ، يكون عليه واليا مادام حيا ، وكان عبد الملك واليا ، فلم يأت الحجاج أمر قطّ كان أشدّ عليه ، ولا أغيظ له ، ولا أوجع لقلبه منه ، مخافة أن يقبلوا فيُعزّل عنهم ، فكتب إلى عبد الملك :

« يا أمير المؤمنين ، والله لئن أعطيت أهل العراق نزعِي ، لا يلبثون إلا قليلا حتى يخالفوك ويسيروا إليك ، ولا يزيدكم ذلك إلا جُرأةً عليك ، ألم تَرَ وتسمع بوثوب أهل العراق مع الأشتر على ابن عَفَّان ؟ فلما سألتهم : ما يريدون ؟ قالوا : نزع سعيد بن العاص^(١) ، فلما نزع لم تتمّ لهم السنة حتى ساروا إليه فقتلوه ، إن الحديد بالحديد يُفلح^(٢) ، خَارَ^(٣) الله لك فيما ارتأيت ، والسلام عليك . »

فأبى عبد الملك إلا عَرَضَ ذلك على أهل العراق إرادة العافية من الحرب ، فجمعهم عبد الرحمن ، وحثّهم أن ينتهزوا تلك الفرصة ، ويقبلوا ما عَرَضَ عليهم ، فأبوا وركبوا رءوسهم ، وقالوا : لا والله لا نقبل ، وأعادوا خلع عبد الملك ثانية ، وبرّزوا للقتال ، ف وقعت بينهم وبين الحجاج بدير الجماجم مواقع هائلة استمرت مائة يوم ، وانتهت بهزيمة ابن الأشعث وجنده (في ١٤ من جمادى الآخرة سنة ٨٣) . (تاريخ الطبري ٨ : ١٦)

(١) انظر ص ٣٠٦ من الجزء الأول .

(٢) أي ينشئ وهطع . (٣) أي جعل لك فيه الخير .

٢٣٦ - كتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم

ولما انهزم الناس يوم دير الجماجم ، قال الحجاج : اتركوهم فليتبددوا ولا تتبعوهم ، ونادى مناديه : مَنْ رَجَعَ فهو آمن ، ومن لحق بقتيبة ابن مُسلم بالرّئي فهو أمانه ، فَلَحق ناس كثير بقتيبة ، وكان فيمن لحق به عامرُ الشَّعبي^(١) ، فذكرَ الحجاجُ الشَّعبيَّ يوما ، فقال : أين هو ؟ وما فعل ؟ فقليل له : إنه لحق بقتيبة بالرّئي ، فكتب الحجاج إلى قتيبة :
 « أما بعدُ ، فابعث إلىَّ بالشَّعبيِّ حين ننظر في كتابي هذا ، والسلام عليك » فسُرَّح إليه ، فلما دخل عليه اعتذر إليه ، فقبل منه الحجاج وعفا عنه .
 (تاريخ الطبري ٨ : ٣١)

٢٣٧ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

ودخل الحجاج الكوفة بعد وفعة دير الجماجم ، وأقبل الناس يبايعونه ، وكان عبد الملك كتب إليه في أسرى دير الجماجم : « أن يعرضهم على السيف ، فن أقرّهمهم بالكفر بخروجه علينا نخلّ سبيله ، ومن زعم أنه مؤمن فاضرب عقه » فكان الحجاج لا يبايعه أحد إلا قال له : أسهد أنك قد كفرت ؟ فإذا قل « نعم » بايعة وإلا فله^(٢)

(العهد الجديد ١ : ١٥١ و ٢٠٣ ، تاريخ الطبري ٨ : ٢٥)

(١) هو أبو عمرو عامر بن سرحل (دمج السين) السعي - منه إل شعب وهو بطن من همدان - وهو كوفي ناس حليل القدر وافر العلم توفي سنة ١٠٥ هـ . وكانت أمه من سبي حلولا .

(٢) وأن سعيد بن جابر (أحد كبار التابعين) قال له : أت ساعد بن جابر ؟ قال : نعم ، قال : لا ، بل سبي بن كبير ، قال : أمي أعلم باسمي منك ، قال : شئت وسمعت أمك ، قال : السقاء لأهل

٢٣٨ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

ولما أسرف الحجاجُ في قتل أُسارى دير الجماجم وأعطى الأموال ،
بلغ ذلك عبد الملك ، فكتب إليه :

« أما بعدُ ، فقد بلغَ أمير المؤمنين سَرَفُكَ في سَفْكَ الدماء ، وتبذيرُكَ
في الأموال ، في الباطل ، ومنعُكَ الحقَّ ، ولا يَحْتَمِلُ أمير المؤمنين هاتين
الْخَصْلَتَيْنِ لأحد من الناس ، وقد حَكَمَ عليك أمير المؤمنين : في الدماء ، في
الْخَطَا الدِّينِيَّةِ ، وفي الْعَمْدِ الْقَوْدِ^(١) ، وفي الأموال رَدَّهَا إلى مواضعها ، ثم الْعَمَلُ
فيها برأيه ، فَإِنما أمير المؤمنين أَمْرٌ مِنْ اللَّهِ ، وَسَيَّانٌ عِنْدَهُ مَنَعُ حَقٍّ وَإِعْطَاءُ
باطلٍ ، فَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَ النَّاسَ لَهُ فَمَا أَغْنَاهُمْ عَنْكَ ، وَإِنْ كُنْتَ أَرَدْتَهُمْ
لنفسِكَ فَمَا أَغْنَاكَ عَنْهُمْ ، وسيأتيك من أمير المؤمنين أَمْرَانِ : لَيْنٌ وَشِدَّةٌ ،
فَلَا يُؤْنِسُكَ إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَلَا يُوحِشُكَ إِلَّا الْمَعْصِيَةُ ، وَظُنُّ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ

النار ، قال : أ كافر أت أم مؤمن ؟ قال : ما كهرت بالله مدآمت به ، قال : اصرروا عقه .
وحاء اليه رجل من خنعم كان معبراً للناس جميعاً من وراء الفرات ، فسأله عن حاله ، فقال : مازلت
معتزلاً مسطراً أمر الناس حتى طهرت (أى عاب) فأنتك لأناك مع الناس ، فقال : أمتريس ؟
أنشده أنك كافر ؟ قال : نئس الرجل أما إن كنت عدت الله بماين سه ثم أشهد على نفسي بالكفر ،
فان : لادن أنلاك ، وصر عقه .

وأنى تتبيح وساب فقال للشاب : أ مؤمن أب أم كافر ؟ قال : بل كافر ، قال : انك الشيع
لارصى بالكفر ، فهل له الشيع : أعن نفسي بخاذعي بإحاح ، والله لو كان سى أعظم من الكفر
لرصدت به ، فصحك الحجاج وحلى سليلهما . وفي رواية أخرى أنه أنى رجل فعان الحجاج : لاني أرى
رحلا ما أظنه يشهد على نفسه بالكفر ، فقال : أخادعي عن نفسي ، أنا أ كهر أهل الأرض وأ كهر
من فرعون دى الأواند ، مصحك الحجاج وحلى سليله .

كلّ شيء إلا احتيالك على الخطأ ، وإذا أعطاك الظفر على قوم فلا تقتل
جانحا ولا أسيرا » وكتب في أسفل كتابه :

إذا أنت لم تطلب أمورا كرهتها وتطلب رضائي بالذي أنت طالبة
وتخشى الذي يخشاه مثلي هارباً إلى الله منه ، ضيع الدرّ حاله^(١)
فإن تر منى غلة قرشيّة فياربما قد غصّ بالماء شاربهُ
وإن تر منى وثبة أمويّة فهذا وهذا كلُّ ذا أنا صاحبه
فلا تلحني والحوادث جمة^(٢) فإنك مجزئ بما أنت كاسبه^(٣)
ولا تعدّ ما يأتيك منى ، وإن تعدّ يقوم بها يوما عليك نوادبه
ولا تدفعن للناس حقاً عامته ولا تعطين ما ليس لله جانبهُ

(مروج الذهب ٢ : ١٣٦ ، وأدب الكاتب ص ٢٣٦)

٢٣٩ — رد الحجاج على عبد الملك

فلهذا قرأ الحجاج كتابه كنب إليه :

« أما بعد ، فقد أتاني كتابُ أهير المؤمنين بدكر فيه سرفي في الدماء ،
وتبذيري في الأموال ، ولعمري ما بانمت في عقوبة أهل المعصية ما هم
أهلُهُ ، وما فضيتُ حقَّ أهل الطاعة بما استحقّوه ، فإن كان قتلى أولئك
العصاة سرفاً ، وإعطائي أولئك المطعنين تبذيراً ، فليُسَوِّغْني^(٣) أهير المؤمنين

(١) الدر : اللب .

(٢) في الأصل « ملاهي » واكتبه سل بورن اللب ، وأرى أنه محرف عن « ما ياتي »

وهو بماء

(٣) يقال : سَوَّغَهُ ما أصاب أي ركّله حالصاً ، والمعنى : فلم يرفقني على ما فعله ، وفي أدب

ما سَلَفَ ، وَلِيُحَدِّثَ فِيهِ حَدًّا أَنْتَهَى إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ ،
وَوَاللَّهِ مَا عَلَىَّ مِنْ عَقْلٍ^(١) وَلَا قُوَّةٍ ، مَا أَصَبْتُ الْقَوْمَ خَطَأً فَأَفْدِيَهُمْ ، وَلَا
أَعْطِيَهُمْ إِلَّا لَكَ ، وَلَا قَتَلْتُ إِلَّا فِيكَ ، وَأَمَّا مَا أَنَا مُنْظَرُهُ مِنْ أَمْرِيكَ ،
فَأَلَيْسَ لِي عِدَّةٌ ، وَأَعْظَمُهُمَا مِحْنَةٌ ، فَقَدْ عَبَّاتِ لِلْعِدَّةِ الْجِلَادَ ، وَلِلْمِحْنَةِ الصَّبْرَ ،
وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

إِذَا أَنَا لَمْ أَتَّبِعْ رِضَاكَ وَأَتَّبَقِ	أَذَاكَ ، فَيَوْمِي لَا تَزُولُ كَوَاكِبُهُ
وَمَا لِأَمْرِي بَعْدَ الْخَلِيفَةِ جُنَّةٌ	تَقِيهِ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَالسَّيْبَةِ ^(٢)
أَسَالِمُ مَنْ سَالَمْتَ مِنْ ذِي فِرَاقَةٍ	وَمَنْ لَمْ تُسَالِمِهِ فَإِنِّي مُحَارِبُهُ
إِذَا قَارَفَ الْحِجَابُ مِنْكَ خَطِيئَةً	فَقَامَتْ عَلَيْهِ فِي الصَّبَاحِ نَوَادِيهُ ^(٣)
إِذَا أَنَا لَمْ أَذِنِ الشَّفِيقَ لِنُصْحِهِ	وَأُقْصِيَ الَّذِي سَرَى إِلَى عِقَارِبِهِ
فَمَنْ ذَا الَّذِي يَرْجُو نَوَالِي ، وَيَتَّقِي	مُصَاوَلَتِي ؟ وَالدهرُ جَمٌّ نَوَائِبُهُ
فَقِفْ بِي عَلَى حَدِّ الرِّصَالِ أَجُوزُهُ	مَدَى الدهرِ حَتَّى يَرْجِعَ الدَّرَّ حَالِيهِ ^(٤)
وِلَّا فِدْعَنِي وَالْأُمُورَ ، فَإِنِّي	شَفِيقٌ رَفِيقٌ أَحْكَمْتَنِي تَجَارِبُهُ

فَلَمَّا أَنْتَهَى كِتَابَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : خَافَ أَبُو مُحَمَّدٍ صَوْلَتِي ، وَلَنْ

أَعُودَ لِنَسْيِ يَكْرِهَهُ (روح الذهب ٢ : ١٢٧ ، وأدب الكاتب ص ٢٣٦)

الكاتب : « فَإِنْ رَأَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ تَصَحَّى لِي سَالِي ، وَأَمَرَنِي مِمَّا أَسْبَغُ فِي مَسَافِي ، فَعَمِلَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

(١) العقل - الدعة . (٢) الحية - لوفاة .

(٣) عارف - لذب . اقتبره ، وحمله - ذب دعائمه .

(٤) رجع - رد ، والدر : اللاب ، أى حتى يرد الحالب الدر في الصرع وهو مستحيل ، والمعنى :

لَا أَحُورُهُ أَبَدًا ، وَبِالْأَمْثَالِ « حَتَّى رَجَعَ الدَّرُّ فِي الصَّرَعِ » صَحَبَ لِمَا سَتَجَلَّ كَوْنُهُ .

٢٤٠ - كتب الحجاج إلى رتبيل

وما زال ابن الأشعث ينهزم من بلد إلى بلد حتى دخل بلاد رتبيل ،
فأنزله عنده وأكرمه وعظّمه ، فكتب الحجاج إلى رتبيل :
« أما بعدُ : فإنّي قد بعثتُ إليك عُمارَةَ بنَ تميم^(١) في ثلاثين ألفاً من
أهل الشام ، لم يخالفوا طاعةً ، ولم يخلعوا خليفةً ، ولم يتبعوا إمام ضلالةً ،
يَجْرِي على كل رجل منهم في كل شهر مائةُ درهم ، يستطيعون الحرب
استطعاما ، يطلبون ابن الأشعث » .

فأبى رتبيل أن يسامه ، وتتابعتْ كُتُبُ الحجاج إليه في ابن الأشعث أن :
« أبعث به إليّ ، وإلاّ فوالذي لا إله إلا هو لأوطئنّ أرضك ألف
ألف مقاتل »

ثم عاهده الحجاج ليَكْفَنَ الخراجَ عن أرضه سبع سنين على أن يدفع
إليه ابن الأشعث ، فوجّه به إليه ، فألقى ابن الأشعث نفسه من فوق قصر
فُتات ، فاحتزّ رتبيل رأسه ، وبعث به إلى الحجاج ، وكتب إليه : « أنه أخذ
ثمانية عشر رجلاً من أهل بيت عبد الرحمن » . فكتب إليه :

« أن أضرب رقابهم وابعث إليّ براء وسهم » .

وكره أن يؤتّى بهم إليه أحياء فيطاب فيهم إلى عبد الملك ، فترك منهم
أحداً ، وكان ذلك سنة ٨٥ هـ . (تاريخ الطبري ٨ : ٤٠)

(١) كان على سبيل ان .

٢٤١ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

وروى أنه لما هَزَمَ الحَجَّاجُ ابْنَ الْأَشْعَثِ ، كَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ :
« أَمَا بَعْدُ : فَمَا لَكَ عِنْدِي مِثْلُ إِلَّا قِدْحُ ابْنِ مُقْبِلٍ ^(١) » .

٢٤٢ - كتاب الحجاج إلى قتيبة بن مسلم

فَلَمْ يَذَرِ الْحَجَّاجُ مَا أَرَادَ ، فَكَتَبَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهِلِيِّ - وَكَانَ عَالِمًا
بِرَوَايَةِ الشَّعْرِ - :
« إِنْ ابْنُ مُقْبِلٍ مِنْ أَهْلِكَ ، وَوَدَّ كِتَابَ إِلَيَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكَذَا ،
فَعَرَّفْنِي قِدْحَهُ » .

٢٤٣ - رد قتيبة على الحجاج

فَكَتَبَ إِلَيْهِ قُتَيْبَةُ :

« إِنْ هَذَا الْقِدْحُ فَازَ تَسْعِينَ مَرَّةً ^(٢) . لَمْ يَخِبْ فِيهَا مَرَّةً وَاحِدَةً ، حَتَّى
ضُرِبَ بِهِ الْمَشَّ ^(٣) ، فَقَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ يَنْعَتُهُ :
خَرُوجٌ مِنَ الْعُمَى إِذَا صُكَّ صَكَّةٌ بَدَأَ وَالْعَيُونُ الْمُسْتَكِفَّةُ نَافِخٌ ^(٤) »

(١) هُوَ عِيْنٌ مِمَّنْ ، شَاسِرٌ مَحْصَرُهُ ، وَانْدَحَ : السَّهْمُ الَّذِي يَسْقُطُ بِهِ ، عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي الْمَسْرِ .

(٢) وَفِي سِرْحِ الْعَيُونِ « سَعِينَ مَرَّةً » . (٣) مِمَّنْ : « قِدْحُ ابْنِ مُقْبِلٍ » .

(٤) الْعُمَى : الشَّدِيدَةُ مِنَ الشَّدَائِدِ الدَّهْرِ لَا يَنْجُو لَهَا ، وَقَالَ : لِيَسْمُ أَيُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِمْ : إِذَا كَانُوا فِي أَمْرٍ مَلِيسٍ ، وَفِي الْأَصْلِ « جَهْرُهُ الْأَمَالِ » الْعُمَى نَالِعِينَ الْمَهْمَلَةَ وَهُوَ تَصْحُفٌ ، وَصَكَّةٌ : صَرَهُ .

مُفَدَّى ، مُؤَدَّى بِالْيَدَيْنِ ، مُنْعَمٌ خَلِيْعٌ قِدَاحٌ فَائِزٌ مَتَمَنِّحٌ^(١)
 غَدَاً وَهُوَ تَجْدُولٌ فَرَاخٌ كَأَنَّهُ مِنْ الْمَسِّ وَالتَّقْلِيْبِ بِالْكَفِّ أَفْطَحٌ^(٢)
 إِذَا امْتَنَحَتْهُ مِنْ مَعَدٍّ فَيَسْلَةُ غَدَا رَبُّهُ فَبَلَ الْمُفِيضِينَ يَقْدَحُ^(٣)
 « جمهرة الأمثال ٢ : ١٩ ، وشرح العيون ص ١٢٨ »

٢٤٤ - كتاب الحجاج إلى المهلب

وَوَلَّى الْحَجَّاجُ الْمُهَلَّبَ خُرَاسَانَ سَنَةَ ٧٨ هـ كَمَا قَدَمْنَا ، فَلَمَّا كَانَتْ
 سَنَةَ ٨٠ هـ قَطَعَ الْمُهَلَّبُ نَهْرَ بَلَخٍ فَنَزَلَ عَلَى « كَشَّ » وَأَقَامَ بِهَا سَنَتَيْنِ ، ثُمَّ
 صَالَحَ أَهْلَهَا عَلَى فِدْيَةٍ ، وَاتَّهَمَ وَهُوَ بِكَشٍ قَوْمًا مِنْ مُضَرٍّ فَبَجَسَهُمْ بِهَا ، فَلَمَّا
 فَقَلَ وَصَارَ صُلْحٌ خِلَافَهُمْ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ الْحَجَّاجُ :

« إِنْ كُنْتَ أَصَبْتَ بِجَبَسِهِمْ فَفَدَّ أَخْطَاءَ فِي تَخْلِبَتِهِمْ ، وَإِنْ كُنْتَ
 أَصَبْتَ بِتَخْلِبَتِهِمْ فَقَدْ ظَاهَمْتَهُمْ إِذْ جَبَسْتَهُمْ »

فَقَالَ الْمُهَلَّبُ : « خَفَّتْهُمْ فَبَجَسْتَهُمْ ، فَمَا أَمَنْتُ خَلِبَتَهُمْ » .

(تاريخ الطبري ٨ : ٣)

وَاسْتَكْفَمَهُ : اسْوَحَمَهُ أَنْ تَضَعَ يَدَكَ عَلَى حَنْكِكَ كَمَا سَطَلَ مِنَ الْمَسِّ ، وَاسْكَمُوا حَوْلَهُ : أَحَاطُوا
 بِهِ وَاحْتَمَوْا حَوْلَهُ ، طَرَوْا إِلَيْهِ .

(١) مُؤَدَّى بِالْيَدَيْنِ . أَيْ شَمَلَ الْيَدَيْنِ كَمَا هُمَا لَا يَدَا وَاحِدَةٍ ، اَعْرَارًا بِهِ وَمَسَدًا أَمْوَرَهُ ، وَالْخَالِصُ
 الْفَدْحُ الْفَائِزُ أَوْ لَا (وَهُوَ أَحْسَنُ لَاسُورٍ) وَتَمَحُّبُ الْمَالِ : أَطْعَمَهُ حَيْرَى ، وَفِي حَدِيثٍ أُمُّ زُرْعٍ
 « وَآكَلْنَا مَتَحَّجَّ » أَيْ أَطْعَمَهُ حَيْرَى ، وَهُوَ يَفْعَلُ مِنَ الْحَا : أَيْ الْعَطَا ، فَلَمَّا أَهْلُ الْفَدْحِ وَنَعَطَى مِنْ
 يَسْعَرِهِ مِمَّا بِهِ .

(٢) الْأَفْطَحُ : الْعَرِيسُ .

(٣) أَمَنَّهُ : طَابَ أَنْ يَمْسَحَ أَيْ اسْمَارًا بِهِ ، وَفِي جَهْرَةِ الْأَمْثَالِ وَشَرْحِ الْعُرُونِ « أَمَنَّهُ » وَهُوَ
 سَرَفٌ ، وَالْمَصْدَرُ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ حَبَّاءَ « وَالْبَيْعُ (كَكَمْ) : قَدَحٌ مِنَ فِدَاحِ الْمَالِ . يُؤَرِّ
 نُهُورَهُ . فَاسْتَعَارَ مِنْ هَوْرِهِ ، وَقَالَ : الْمَالُ مِنْهَا : الَّذِي لَا يَجِبُ لَهُ ، وَفَدَّ ذَكَرَ أَنَّ الْمَالُ الْفَدْحُ

٢٤٥ - كتاب المهلب إلى حريث بن قُطبة

وقَفَلَ المهلبُ من « كَشَّ » وخَلَّفَ حُرَيْثَ بنَ قُطْبَةَ وقال له : إذا استوفيتَ الفِديةَ فردَّ عليهم الرُّهْنَ ، وقطعَ النهرَ فلما صارَ يبلغُ أقامَ بها وكتبَ إلى حريثَ : « إني لست آمنُ إن رَدَدْتَ عليهم الرُّهْنَ أن يُغيروا عليك ، فإذا قبضتَ الفِديةَ فلا تُخلِ الرُّهْنَ حتى تقدّمَ أرضَ بلخِ » .
(تاريخ الطرى ٨ : ١٨)

٢٤٦ - كتاب يزيد بن المهلب إلى الحجاج

وتوفى المهلب سنة ٨٢ هـ فولّى الحجاج خراسانَ أبنه يزيد ، وفي سنة ٨٤ هـ غزا يزيدُ « بَاذَغِيسَ ^(١) » فصالحه ملكها « نيزك » على أن يدفع إليه مافي قلعته من الخزائن ، ويرتحل عنها بعياله ^(٢) ، وكتب يزيد إلى الحجاج بالفتح - وكانت كتب يزيد إلى الحجاج يكتبها يحيى بن يَعْمَرُ العدواني - فكتب :

« إِنَّا لَقَيْنَا العدوَّ ، فَنَحْنُ اللَّهُ أَكْتَافَهُمْ ، فَقَتَلْنَا طَائِفَةً ، وَأَسْرَنَّا طَائِفَةً ، وَلَحِقَتْ طَائِفَةٌ بَرَاءُ وَسُ الْجِبَالِ ، وَعَرَاعِرِ ^(٣) الْأُودِيَةِ ، وَأَهْضَامِ الْغَيْطَانِ ، وَأَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ » .

المستعار: الذى تترك بعوره إذا امسحه النبى « وأقام الفداح وسها : صرف بها ، والمعنى : أنهم إذا اسعاروا هذا الفدح عدا صاحبه فمدح البار لعمل الاحم قبل حروجه لثمة بعوره .

(١) ماحه تستمل على قرى من أعمال هراة .

(٢) وفى ذلك يقول كعب بن معدان الأشعري من قصده :

بني يركا عن ناد عيس ، وبرك بمنزله أيا الملوك اعصابها

(٣) عراعر: جمع عرعره صم العينين ، وعرعره كل شئ : أعلاه ، وأهضام: جمع هضم بالفتح وكسر

وقال أبو العباس المبرّد في الكامل عقب شرحه : « وعراصر الأقسام »
الواردة في كتاب ابن الأشعث السابق :

ومن ذلك كتاب يزيد بن المهلب إلى الحجاج بن يوسف :
« وإن العدو نزل بعُرْغرة الجبل ، ونزلنا بالحَضِيض ^(١) » .

ورواية الجاحظ في البيان والتبيين :

« إنا لقينا العدو . فقتلنا طائفةً ، وأسَرنا طائفةً ، وحَققت طائفةً بعَرائِر ^(٢) »

الأودية ، وأهضام الغيطان ، وبتنا بعُرْغرة الجبل ، وبات العدو بمَحْضِيضه » .
فقال الحجاج : ما يزيدُ بأبي عُذرة هذا الكلام ^(٣) ، فَن هناك ؟ قيل :
يحيى بن يَعْمَر ، فكتب إلى يزيد أن تُشَخِّصه إليه ^(٤) .

(مارج الطبري ٨ : ٣٩ ، والكامل للمبرّد ١ : ١٣٣ ، والبيان والبيان ١ : ٢٠١)

وهو المَطْمَن من الأرض ، وطمن الوادي وأسفله ، والعيطان جمع عائط : وهو المَطْمَن الواسع من
الأرض ، وأماء جمع نبي بالكسر ، ونبي النهر : معطيه .

(١) المحصص : الفرار من الأرض عند مقطع الحبل .

(٢) فسره الجاحظ فقال : « عرائر الأودية : أسامها » ولم أحده في كتاب الله ، والذي في أسان
العرب : « وعرا الوادي شاطئاه » مبي « عر » كعمل ، ولاحظ أنه لا يجمع قاسما على عرائر .

(٣) المدرة : الكثرة ، وأهضام الحارث ، قال : فلان أبو عدر ماله وأبو عدرها : إذا كان
أفدعها وأهضها ، وما أتى بأبي عدره هذا الكلام : أي أسب أول من أفدعه .

(٤) شمله يريد على البرد فقدم عليه أمصيح الناس ، فقال له : أس ولدت ، قال : بالأنوار ، قال
فأنى لك هذه الفصاحة ؟ قال : حفظت كلام أبي وكان فصحا ، قال : من هالك ؟ فأجبتني : هل
لحن عاينه من سعد ؟ قال : نعم كثيرا ، قال : فملان ، قال : نعم ، قال : أسمعي الحن ؟ قال :
الأمير أفصح من ذلك ، فأعاد عليه القول وأقسم عليه ، فقال يحيى : نعم احسن لهما جميعا تريد حرفا
وبنقص حرفا ، ومعمل أن في موضع إن ، وإن في موضع أن ، قال : قد أحججتك الآن ، فإن أحججتك
بعد ثلاث بأرض العراق فملكك ، فرجع إلى حراسان .

ومما تصل بذلك ما أورده ابن حلكان في رجه الشعبي في وفيات الأعيان ١ : ٢٤٤ قال :
« ويقال إن الحجاج قال له يوما . كم عطاءك في السنة ؟ قال : أمان ، قال : ومحل لكم عطاؤك ؟
فقال : أمان ، قال : كم لحب أولا ، قال : لحن الأمير ولجنت ، فها أعرب أعرب ، وما أمكن
أن نأخذ الأمر وأعرب أنا ، فاستحسن ذلك . وأحاره » .

٢٤٧ - كتب بين الحجاج وعبد الملك وزيد والمفضل ابني المهلب

وظهرت مناب يزيد وعظمت آثاره ، فحسده الحجاج وعمل على عزله ، ولم يكن يخوف بعد ابن الأشعث غيره ، وأتفق أن وفد الحجاج إلى عبد الملك ، ثم عاد إلى العراق فرّ في مُنْصَرَفِهِ بِدَيْرِ فزله ، فقيل له : إن في هذا الدير شيخاً من أهل الكُتُبِ عالماً ، فدعا به وسأله : أتعلم ما إلى ؟ قال : نعم ، قال : فمن يليه بعدى ؟ قال : رجل يقال له يزيد ، فوقع في نفسه أنه يزيد بن المهلب ، وارتحل وهو وجِل من قول الشيخ ، وقَدِم فكتب إلى عبد الملك يستعفيه من العراق ، فكتب إليه :

« بَابَنِّ امَّ الحجاج قد عَلِمْتُ الذی تَغْزُو^(١) ، وإياك تريد أن نعلم رأيي فيك ، ولَعَمْرِي إِنِّي لَأَرَى مَكَانَ نَافِعِ بْنِ عُلْقَمَةَ ، فَالَهُ عَنْ هَذَا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِمَا هُوَ آتٍ » .

وَأُتِّجَعَ الحجاج على عزل يزيد ، فلم يجد له سائلاً ، حتى قَدِمَ الخِيارُ ابنَ سَبْرَةَ - وكان من فُرْسَانَ المهلب - وكان مع يزيد - فقال له الحجاج : أَخْبِرْنِي عَنْ بَرِيدٍ ، قال : حَسَنُ الطَّاعَةِ ، لَيْسَ السَّيْرَةِ ، قال : كَذَبْتَ ، أَصْدَقْنِي عَنْهُ ، قال : اللَّهُ أَجَلٌ وَأَعْظَمُ ، قَدْ أُسْرِجَ وَلَمْ يُلْجَمَ ، قال : صدقت ، ثم كتب إلى عبد الملك : اشتر عليه بعزل يزيد بن المهلب ، ويخبره بطاعة آل المهلب لابن الزبير ، وأنه لا وفاء لهم .

(١) عراه عروا . أرادوا وطلاه وقصدوه ، ومعنى السكاه : أي مقصده .

فكتب إليه عبد الملك :

« إني لأرى نقصًا بآل المهلب طاعتهم لآل الزبير ، بل أراه وفاء منهم لهم ، وإن وفاءهم لهم يدعوهم إلى الوفاء لي » .

فكتب إليه الحجاج يخوفه غدراً لما أخبره به الشيخ .

فكتب إليه عبد الملك « قد أكرت في يزيد وآل المهلب ، فسمي لي رجلاً يصلح خراسان » .

فسمي له مجاعة بن سمر^(١) السعدي - ولم يكن يصلح ، وإنما جعل ذلك دهاء منه حتى لا يعرف ميله إلى فتية بن مسلم - .

فكتب إليه عبد الملك : « إن رأيك الذي دعاك إلى استفساد آل المهلب ، هو الذي دعاك إلى مجاعة بن سمر ، فانظر لي رجلاً صارما ماضيا لأمرك » .

فسمي له وثيبة بن مسلم ، فكتب إليه « وله » .

وبلغ يزيد أن الحجاج عزله ، فقال لأهل بيته : من تروون الحجاج يؤتي خراسان ؟ قالوا : رجلاً من نقف ، فال كلا ، ولكنه يكتب إلى رجل منكم بعهد ، فإذا قدمت عليه عركه وولّى رجلاً من فاس ، وأخلى بقتبته

فأما أذن عبد الملك للحجاج في عزل يزيد كره أن يكتب إليه بعزله . فكتب إليه : « أن استحيي المفضل وأقبل » .

(١) وفي سرح العمون « سمر » .

فاستسار يزيد حُضَيْنَ بن المنذر ، فقال له : أقيم واعتلّ ، فإن أمير المؤمنين حسن الرأي فيك ، وإنما أتيت من الحجاج ، فإن أقيمت ولم تعجل رجوت أن يكتب إليه أن يُقرّ يزيد ، قال : إنا أهل بيت بُورك لنا في الطاعة ، وأنا أكره المعصية والخلاف ، فأخذ في الجهاز ، وأبطأ ذلك على الحجاج ، فكتب إلى الفضل « إني قد وليت خراسان » .

فجعل الفضل يستحث يزيد ، فقال له يزيد : إن الحجاج لا يُقرّك بعدى ، وإنما دعاه إلى ماصنع مخافة أن أمتنع عليه ، قال : بل حسدنى ، قال يزيد : بآبن بهله^(١) : أنا أحسدك استعلم ، وخرج يزيد في ربيع الآخر سنة ٨٥ ، فعزل الحجاج الفضل ، وولى قُنبَةَ بن مُسلم .

وفي رواية أخرى أن الحجاج كتب إلى يزيد « أن اغز خوارزم » . فكتب إليه : « أيها الأبهر إنها قليلة السلب^(٢) ، ندبدة الكلب » . فكتب إليه الحجاج : « اسنخاف وأقدم » . فكتب إليه : « إني أريد أن أغزو خوارزم » . فكتب إليه : « لاتغزها فإنها كما وصفت » .

فغزا ولم يبطعه ، فصالحه أهل خوارزم وأصاب سببا مما صالحوه ، ووقل في النساء فاستدّ عليهم البرد ، فأخذ الناس باب الأسرى فلبسوها ، فمات ذلك السبي من البرد ، فكتب إليه الحجاج أن « أقدم » فقدم .
(تاريخ الطبرى ٨ : ٤٢ ، وشرح العرب ص ١٢٤)

(١) هي أم المصل وأمه عد الملك وهي هامة ، — انظر درخ الطبرى ٨ : ٧٢ — وأما يزيد فإنه « رحمة » — انظر البيان والدين ٢ : ٦٧ والعقد العريد ٢ : ١٥٥ .

(٢) السلب : ما سلب ، والسلب في الأصل سعاد وداء شبه الجوى صلب السلب ، وما ل : ديمت عنه سلب فلان أى سره وأداه ، ومعناه ما ، اب المحاربين من الماعب والشائند .

٢٤٨ - كتاب الحجاج إلى أعراب قطعوا الطريق

وبلغ الحجاج أن قومًا من الأعراب من عمرو بن تميم وحنظلة يفسدون الطريق ، فكتب إليهم :

« من الحجاج بن يوسف ، أما بعد فإنكم قد استخلصتم^(١) الفتنة ، فلا عن حقٍ تُقاتلون ، ولا عن منكر تنهون ، وأيم الله إني لأهمل أن يكون أول ما يرد عليكم من قبلى ، خيلٌ تذيب الطارف والتالد^(٢) ، وتدع النساء أياي^(٣) ، والأبناء يتامى ، والديار خراباً ، والسواد يابساً ، فأيماً رقيقة^(٤) مرّت بأهل ماء ، فأهل ذلك الماء ضامنون لها ، حتى تصير إلى الماء الذى يليه ، تقدمة منى إليكم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والسلام » :

فاما بلغهم كتابه كفوا عن الطريق .

(١) السان والديين ١ : ٢١٢ ، والعقد المفرد ١ : ١٧)

٢٤٩ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان :

« وبلغنى أن أهب المؤمنين عطس عطسة^(٥) ، فذهبتهم^(٥) قوم ، فقال :

(١) استخلصه امه . استحصه ، وفي رواية العقد المفرد « قد اسحكم الغته » .

(٢) الطارف : المال المسحوت ، والتالد : المال القديم الأصلى الذى ولد عندك .

(٣) الأياي : من لا أرواح لهم من الرجال والنساء ، الواحد منهما أم كطيب ، سواء كان روح

من قبل أو لم يروح ، وامرأة أم نكرا كات أو نكرا .

(٤) الرقة مثله . الجماعة راءهم فى سرك ، والجمع روق .

(٥) الشمت والسميت : الدعاء للعاطس .

« يغفر الله لنا ولكم » ، ف « يَايْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا » .
(السكامل المرد ١ : ٢٤٨ ، والعقد الفريد ٣ : ٢٠)

٢٥٠ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان :
« أما بعدُ : فَإِنَّا نُخْبِرُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ لَمْ يُصِْبْ أَرْضَنَا وَابِلٌ ^(١) مِنْذُ
كَتَبْتُ أَخْبِرُهُ عَنْ سُقْيَا اللَّهِ إِيَّانَا ، إِلَّا مَا بَلَ وَجَهَ الْأَرْضِ مِنَ الطَّشِّ ^(٢)
وَالرَّشِّ وَالرَّدَازِ ، حَتَّى دَقِيعَتِ ^(٣) الْأَرْضِ وَاقْشَعَرَّتْ وَاغْبَرَّتْ ، وَثَارَتْ فِي
نَوَاحِيهَا أَعَاصِيرٌ ^(٤) تَذَرُو دُقَاقَ الْأَرْضِ مِنْ تَرَابِهَا ، وَأَمْسَكَ الْفَلَاحُونَ بِأَيْدِيهِمْ ،
مِنْ شِدَّةِ الْأَرْضِ وَاعْتِرَازِهَا ^(٥) ، وَامْتِنَاعِهَا ، وَأَرْضُنَا أَرْضٌ سَرِيعٌ تَغْيَرُهَا ،
وَشِيكَ ^(٦) تَنْكَرُهَا ، سَيِّئٌ ظَنُّ أَهْلِهَا عِنْدَ قُحُوطِ الْمَطَرِ ، حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ
بِالْقَبُولِ ^(٧) يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، فَأَثَارَتْ زَبْرَجًا مَتَقَطَّمًا مَتَمَصِّرًا ، ثُمَّ أَعْقَبَتْهُ الشَّمَالُ
يَوْمَ السَّبْتِ ، فَطَحَّطَحَتْ ^(٨) عَنْهُ جَهَامَهُ ، وَأَلْفَتْ مَتَقَطَّعَهُ ، وَجَمَعَتْ مَتَمَصِّرَهُ ،

(١) الوابل والوبل : المطر السديد الصبحم الفطر .

(٢) الطس والطشيش : المطر الصبيغ ، وهو فوق الرداد .

(٣) الدتعاء كحمراء : الأرض لاسات بها ، والتراب ، ويقال : دفع الرجل كعرج وأدفع إذا لصق
بالدتعاء ففرا ، والمعنى : قد صارت الأرض دتعاء حرداء حاله من الررع . وادسعت الأرض : تقبضت
وصحمت من الحبل والحذب .

(٤) الأعاصير : جمع لعصار ، الكسر ، وهو الرع التي تهت من الأرض كالعمود نحو السماء ، ودرت
الرع التراب تدروه : أطاره وأدهمه ، والدقاق ، ناصم ، فتات كل شيء .

(٥) أى شدتها وصلابها ، والذى فى كتب اللغة عرر الشيء واستعمر : استند وصلب وعلط ،
وعرر عليه واستعمر ، استصعب . (٦) أى سريع .

(٧) القبول : ريع الصبا . والبرج : السحاب الرقيق منه حمرة . وتمعصرا : أى قليلا معصرا ،
والشمال : الرع تهت من ناحية القطب .

(٨) طحطحط : فرق وبدد ، والحمام : السحاب الذى لاماء فيه ، أو الذى قد هراق ماءه .

حتى انتضد^(١) فاستوى ، وطأى وطأى ، وكان جونا مرثعنا فريبا رواعيده ،
واعتدت عوائده بوابل منهل منسجل ، يردف^(٢) بعضه بعضا ، كلما
أردف شوبوب ارتدفته سآيب ، لشدة وقعه في العرض .
وكتبت^(٣) إلى أمير المؤمنين ، وهى ترمى بمنل قطع القطن ، فد ملأ
البياب^(٤) ، وسد الشعاب ، وسقى منها كل ساق ، فالحمد لله الذى أنزل غيثه ،
ونشر رحمته من بعد ما فنطوا ، وهو الولي الحميد ، والسلام .
(السان والدين ٣ : ٢٣٥)

٢٥١ - كتاب الحجاج إلى عبد الملك

وكتب الحجاج إلى عبد الملك يشبر عليه أن يستكتب محمد بن يزيد
الأنصارى ، وكتب إليه :
« إن أردت رجلا مؤونا ، فاضلا ، عافلا ، ودبعا ، مسلما ، كثروما ،
تتخذ لنفسك ، وتضع عنده سرك ، وما لا تحب أن يظهر ، فاتخذ محمد
ابن يزيد . »

فكتب إليه عبد الملك « ائجه إلى » فجهه فاتخذ عبد الملك كاتباً :

(١) من تصد الباع : إذا جعل بعضه موى ، وأضاد السحاب : ماراكم وراكب . وطأى
البحر كرمى وعلا : املا ، وطأى كسى : انسط ، والحو : الأسود (والأسس أيضا) وار من
المطر : لب وحد ، وعوائده : رواجه ، وسجل الماء فانسجل : منه فاصب .
(٢) رده كسمعه ونصره : سعه كأرده ، واليؤوب : الدعا من المطر ، وأرده : رده ،
والعرض بالكسر . الوادى ، وفي الأصل « فى العراض » جمعا ، والكن صاحب الامان قال : « وجهه
أعراس ، لا تاور » .
(٣) البياب : الحراب ، والامات : جمع شعب بالكسر ، وهو الطريق فى الجبل ، ومسل الماء فى
طن أرض ، أو ما مرح بين الحايين .

عبد الملك ، وعَاذَ به تَخَوُّفاً من الحجاج ، واستَدَفَا لِضَرَرِهِ وَشَرِّهِ ، فلما بلغ ذلك الحجاج كتب إلى عبد الملك بن مَرْوان :

« أما بعدُ : فَإِنْ لَوَاذٌ^(١) الْمُعْتَرِضِينَ بِكَ ، وَحُلُولَ الْجَانِحِينَ إِلَى الْمُكْتَسَبِ بِسَاحَتِكَ ، وَاسْتِلاَنَتِهِمْ دَمَتِ^(٢) أَخْلَاقُكَ ، وَسَعَةَ عَفْوِكَ ، كَالْعَارِضِ^(٣) الْمُبْرِقِ لِأَعْدَائِهِ لَا يَعْتَدِمُ لَهُ شَائِئٌ^(٤) ، رَجَاءُ اسْتِمَالَةِ عَفْوِكَ ، وَإِذَا أُدِنِيَ النَّاسُ بِالصَّفْحِ عَنِ الْجَرَائِمِ ، كَانَ ذَلِكَ تَمَرِينًا لَهُمْ عَلَى إِضَاعَةِ الْحَقُوقِ مَعَ كُلِّ ضَالٍّ ، وَالنَّاسُ عَبِيدُ الْعَصَا ، هُمْ عَلَى الشَّدَةِ أَشَدَّ اسْتِبَاقًا مِنْهُمْ عَلَى اللَّيْنِ ، وَلَنَا قَبْلَ عُرْوَةِ بْنِ الزُّبَيْرِ مَالٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ ، وَفِي اسْتِخْرَاجِهِ مِنْهُ قَطْعٌ لِيَطْمَعِ غَيْرُهُ ، فَلْيَبْعَثْ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِنْ رَأَى ذَلِكَ ، وَالسَّلَامُ . »

فلما قرأ الكتاب ، بَعَثَ إِلَى عُرْوَةَ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : إِنْ كَتَابَ الْحَجَّاجُ قَدْ وَرَدَ فِيكَ ، وَقَدْ أَبَى إِلَّا إِشْخَاصَكَ^(٥) إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ الْحَجَّاجِ : شَأْنُكَ بِهِ ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ عُرْوَةُ مُقْبِلًا عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَمَّا وَاللَّهِ مَا ذَلَّ وَخَزَى مَنْ مَاتَ ، وَلَكِنْ ذَلَّ وَخَزَى مَنْ مَلَكَتْهُ ! وَاللَّهِ لَنْ كَانَ الْمُلْكُ بِجَوَازِ الْأَمْرِ وَنَفَازِ النَّهْيِ ، إِنْ الْحَجَّاجُ لَسُلْطَانٌ عَلَيْكَ ، يُنْفِذُ أُمُورَهُ دُونَ أُمُورِكَ ، إِنَّكَ لَتُرِيدُ الْأَمْرَ يَزِيْرُكَ حَاجِلُهُ ، وَيَبْقَى لَكَ أَكْرُومَةٌ^(٦) آجِلُهُ ، فَيَجْذِبُكَ

(١) لَازِئُهُ لَوْدَا وَلَوَادَا وَإِيَادَا ، لَأَ إِلَيْهِ وَعَادِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « لَوْدَان » وَلَمْ أَحَدُهُ فِي كِتَابِ اللَّعْمِ مُصَدِّرًا ، وَلَمَّا الَّذِي فِيهَا ، « وَيُقَالُ هُوَ لَوْدَانُ كَذَا يَفْتَحُ اللَّامَ وَسُكُونُ الْوَاوِ أَيْ بِحَاجَةِ كَذَا » وَمَعْنَاهَا عَيْرٌ مَنَاسِبٌ وَلَدَا حَمَلَتْهُ (لَوَادَا) .

(٢) دَمَتُ دَمَتَا كَعَرَحَ فَهُوَ دَمَتُ : لَانَ وَسَهَلَ . وَالْهَامَةُ : سَهُولَةُ الْحَقِ .

(٣) الْعَارِضُ : السَّحَابُ الْمُعْتَرِضُ فِي الْأَفْقِ .

(٤) شَامَ الرِّقَ : طَرِ إِلَيْهِ أَيْنُ نَقْصِدُ وَأَنْ يَمْطُرَ ؟ . (٥) لِإِسْرَافِكَ .

(٦) الْأَكْرُومَةُ : فِعْلُ الْكَرَمِ ، أَعْمَالُهُ مِنَ الْكَرَمِ كَأَعْجُوبَةٍ مِنَ الْعَجَبِ .

عنه ، ويلقاه دونك ، ليتولى من ذلك الحكم فيه ، فيحظى بشرف عفوٍ إن كان ، أو يجزّم عقوبة إن كانت ، وما حاربك من حاربك إلا على أمرٍ هذا بعضُهُ .

فنظر في كتاب الحجاج مرةً ، ورفع بصره إلى غرزة تارةً ، ثم دعا بدواة وقرطاس ، فكتب إليه :

٢٥٧ - رد عبد الملك على الحجاج

« أما بعدُ : فإن أمير المؤمنين رآك - مع ثقته بنصيحتك - خاطبًا في السياسة خبطَ عشواء^(١) الليل ، فإن رأيك الذي يُسوّل لك أن الناس عبيدُ العصا ، هو الذي أخرج رجالَ العرب إلى الوثوب عليك ، وإذا أحرّجت العامة بعنفِ السياسة ، كانوا أوشك^(٢) وثوبًا عليك عند الفرصة ، ثم لا يلتفتون إلى ضلال الداعي ولا هُدهاء ، إذا رجّوا بذلك إدراك الثأر منك ، وقد وليت العراق فبك ساسةً ، وهم يومئذ أحمى أنوفاً ، وأقرب من عمياء الجاهلية ، وكانوا عليهم أصلح منك عليهم ، وللشدة واللين أهلون ، والإفراط في العفو أفضل من الإفراط في العقوبة ، والسلام . »

(العدد المردد ٣ : ١٧)

(١) العشواء : الناقة التي لا تبصر أمامها ، وهي تحبط يديها كل شيء . (٢) أسرع ،

٢٥٨ - كتاب عبد الملك إلى الحجاج

وروى صاحب العقد الفريد قال :

حَدَّث سَعِيدُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ قَالَ : أَخْرَجْتُ خَارِجَةً عَلَى الْحَجَّاجِ
أَبْنِ يَوْسُفَ ، فَأَرْسَلَنِي إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنْ يُخْرِجَ مَعَهُ فَأَتَنِي ، فَكَتَبَ إِلَيَّ
يَشْتُمُهُ ، فَكَتَبَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ يَشْكُوهُ ، وَأَدْرَجَ
كِتَابَ الْحَجَّاجِ فِي جَوْفِ كِتَابِهِ .

قال إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر : بعث إلى عبد الملك بن مروان
في ساعة لم يكن يبعث إلي في مثلها ، فدخلت عليه ، وهو أشد ما كان
حنقا وغيظا ، فقال : يا إسماعيل ، ما أشد علي أن تقول الرعية : ضُفَّ أَمْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ، وَضَاقَ ذَرْعُهُ فِي رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَا يَقْبَلُ
لَهُ حَسَنَةً ، وَلَا يَتَجَاوَزُ لَهُ عَنْ سَيِّئَةٍ . فقلت : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟ قال :
أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ خَادِمُ رَسُولِ اللَّهِ كَتَبَ إِلَيَّ يَدْكُرُ أَنَّ الْحَجَّاجَ فَدَّ أَصْرَبَهُ ،
وَأَسَاءَ جَوَارِهِ ، وَقَدْ كَتَبْتُ فِي ذَلِكَ كِتَابَيْنِ : كِتَابَا إِلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ
وَالْآخَرَ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَاقْبِضْهُمَا ثُمَّ أَخْرِجْ عَلَى الْبَرِيدِ ، فَإِذَا وَرَدْتَ الْعِرَاقَ
فَلَبِّدْ بِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، فَادْفَعْ لَهُ كِتَابِي ، وَفُلْ لَهُ : اشْتَدَّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مَا كَانَ مِنَ الْحَجَّاجِ إِلَيْكَ ، وَلَنْ يَأْتِيَ إِلَيْكَ أَمْرٌ تَكْرَهُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَتَى
الْحَجَّاجَ فَادْفَعَ إِلَيْهِ كِتَابَهُ وَفُلْ لَهُ : فَدَاغَتْ رَأْسُهُ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ عِرَّةً لَا أَظُنُّهُ
يُخْطِئُكَ شَرُّهَا ، نَمِ افْهَمْ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ ، وَمَا يَكُونُ مِنْهُ ، حَتَّى تَفْهَمَنِي إِيَّاهُ إِذَا
قَدِمْتَ عَلَيَّ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

قال إسماعيل : فقبضت الكتابين وخرجت على البريد ، حتى قَدِمْتُ العراقَ فبدأتُ بأنس بن مالك في منزله ، فدفعْتُ إليه كتابَ أمير المؤمنين ، وأبلغته رسالته ، فدعاه وجرّاه خيراً ، فلما فرغ من قراءة الكتاب ، قلت له : أبا حمزة ، إن الحجاجَ عاملٌ ، ولو وُضِعَ لك في جامعةٍ^(١) لَقَدَرْتُ أَنْ يَضُرَّكَ وينفعك . فأنا أريدُ أَنْ تصالحه ، قال : ذَلِكَ إِلَيْكَ ، لَا أَخْرِجُ عَنْ رَأْيِكَ ، ثُمَّ أَتَيْتُ الحجاجَ ، فلما رَأَى رَحَّبَ بِي وقال : وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ فِي بَلَدِي هَذَا ، قلت : وَأَنَا وَاللَّهِ قَدْ كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَرَاكَ ، وَأَقْدَمَ عَلَيْكَ بَغِيرَ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكَ ، قال : وَمَا ذَاكَ ؟ قلتُ : فَارَفْتُ الْخَلِيفَةَ وَهُوَ أَغْضَبُ النَّاسِ عَلَيْكَ ، قال : وَلِمَ ؟ قال : فدفعْتُ إليه الكتابَ ، فجعل يقرؤه وَجَبِينَهُ يَغْرَقُ ، فمسحه يمينه ، ثُمَّ قال : اركب بنا إلى أنس بن مالك ، قلت له : لَا تَفْعَلْ ، فَإِنِّي سَأَتَلَطَّفُ بِهِ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ - وَذَلِكَ لِلَّذِي أَشَرْتُ عَلَيْهِ مِنْ مَصَالِحِهِ - قال : فَأَلْقَى كِتَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِذَا فِيهِ :



« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : مَنْ عَبْدُ اللَّهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحِجَابِ بْنِ يَوْسُفَ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ عَبْدٌ طَمَعْتُ^(٢) بِكَ الْأَمْرَ وَرُفِطْعَيْتَ ، وَتَأَوَّتَ فِيهَا حَتَّى جُزِّتَ قَدْرُكَ ، وَعَدَوْتَ طَوْرَكَ^(٣) ، وَابْتِغَى اللَّهُ يَابْنَ الْمُسْتَفْرَمِ^(٤) بِعَجْمِ زَيْبِ الطَّائِفِ ، لَا تَغْمِزَنَّكَ كَبْعُضُ غَمَزَاتِ اللَّيْثِ

(١) الجامعة : الصد .

(٢) ورواية صريح الأعمى « علب » وهي عماها ، من طلى الماء إذا علا ، واللب إذا طال : أى ارى معسك في الدولة وطعب ، وفي عرر الحوائس « طعت » أى علت أيضا .

(٣) أى وحاورت حدك . (٤) انظرها من ص ٢١٠ .

الْتَعَالِبَ ، وَلَا زَكُفَنَكَ زَكُفَةً تَدْخُلُ مِنْهَا فِي وَجَارِكَ^(١) ، اذْكَرَ مَكَاسِبَ
آبَائِكَ بِالطَّائِفِ ، إِذْ كَانُوا يَنْقُلُونَ الْحَجَارَةَ عَلَى أَكْتَافِهِمْ ، وَيَحْفَرُونَ الْآبَارَ
وَالْمَنَاهِلَ^(٢) بِأَيْدِيهِمْ ، فَقَدْ نَسِيتَ مَا كُنْتَ عَلَيْهِ أَنْتَ وَآبَاؤُكَ مِنَ الدَّنَاءَةِ
وَاللُّؤْمِ وَالضَّرَاعَةِ^(٣) ، وَقَدْ بَلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ اسْتِطَالَةُ مَنْكَ عَلَى أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ
خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، جُرْأَةً مِنْكَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَغِرَّةً
بِعَمْرِفَةِ غَيْرِهِ وَتَقَمَّاتِهِ وَسَطَوَاتِهِ عَلَى مَنْ خَالَفَ سَبِيلَهُ ، وَعَمَدَ إِلَى غَيْرِ
تَحَجَّتِهِ^(٤) ، وَنَزَلَ عِنْدَ سَخَطِهِ .

وَأَظْنُكَ أَرَدْتَ أَنْ تَرْوِزَهُ^(٥) بِهَا ؛ لِتَعْلَمَ مَا عِنْدَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالنَّكِيرِ
فِيهَا ، فَإِنْ سَوَّغْتَهَا^(٦) مَضَيْتَ قُدُّمًا ، وَإِنْ غَصَصْتَ بِهَا وَلَيْتَ دُبْرًا ، فَعَلَيْكَ
لَعْنَةُ اللَّهِ مِنْ عَبْدٍ أَخْفَشِ^(٧) الْعَيْنِينَ ، أَصَاكَ الرَّجُلَيْنِ ، مَمْسُوحِ الْجَاعِرَتَيْنِ ،
وَايْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِمَ أَنَّكَ اجْتَرَمْتَ مِنْهُ جُرْمًا ، وَانْتَهَكَتَ لَهُ
عَرَضًا فِيمَا كَتَبَ بِهِ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لَبَعَثَ إِلَيْكَ مِنْ يَسْحَابِكَ ظَهْرًا

(١) الوحار في الأصل : ححر الصنع وغيرها ، وفي صبح الأعشى « في وحاء أمك » والوحاء
كحراء : الدبر .

(٢) المناهل : جمع مهبل كقعد وهو المشرب ، وفي صبح الأعشى « والمناهل » جمع مهبل كقعد أيضا
وهو موضع الهر .

(٣) الدل . (٤) المحبة : حاده الطريق ، وفي العمدة الفريد « محته » .

(٥) راره رورا : حرَّبه ، وفي عرر الحصائص : « وركبت داهية دهاء أردت أن روروني بها ،
فإن سَوَّغْتُهَا مصيبت قدما ، وإن لم أفعل رحب المهقري » .

(٦) يقال : سَوَّغَهُ مَا أَصَابَ : أَي رَكَهُ لَهُ خَالِصًا ، وَالْمَعْنَى : فَإِنْ أَرَاكَ عَلَى مَا قَدِ فَعَلْتَ .

(٧) وصف من الخفش بالحرك : وهو صيق في العين وصعب في الصر حلقه ، والأصك : وصف
من الصكك بالتحرك : وهو أن تصر ب إحدى الركبتين الأخرى عند العدو فتؤثر فيها أثرا ، ومصك
أيضا كقص ، والجاعرتان : لمتان كتفان أصل الدب ، وهما من الإنسان في موضع رفق الحمار
(وقال للسكتين السوداءين على عمر الحمار : الرقتان) .

لِبَطْنٍ ، حتى ينتهي بك إلى أنس بن مالك ، فيحكّم فيك بما أحب ، ولن يخفى على أمير المؤمنين نبؤك^(١) ، ولكلّ نبيّ مستقرّ وسوف تعلمون .

قال إسماعيل : فانطلقتُ إلى أنس فلم أزل به حتى انطلق معي إلى الحجاج ، فلما دخلنا عليه قال : يغفر الله لك أبا حمزة ، عجلت باللائمة ، وأغضبت علينا أمير المؤمنين ! ثم أخذ بيده ، فأجلسه معه على السرير ، فقال أنس : إنك كنت تزعم أنا الأشرار ! والله سمّانا الأنصار ، وقلت : إننا من أنجل الناس ! والله يقولُ فينا : « وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ^(٢) » وزعمت أنا أهلُ نفاق ! والله تعالى يقول فينا : « وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْجِثُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا » . فكان المخرجُ والمشتكى في ذلك إلى الله وإلى أمير المؤمنين ، فتولّى من ذلك ما ولّاه الله ، وعرف من حقنا ما جهلنا ، وحفظ منا ما ضيعت ، وسيحكّم في ذلك ربُّ هو أرضي للمرضي ، وأسخط للمُسخط ، وأقدر على الغير في يوم لا يشوبُ الحقَّ عنده الباطلُ ، ولا النور الظلمة ، ولا الهدى الضلالة ، والله لو أن اليهود أو النصارى رأَت مَنْ خَدَمَ موسى بن عمرانَ أو عيسى بن مريم يوما واحدا ، لرأت له ما لم ترُوا لي في خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرَ سنين .

قال : فاعتذر إليه الحجاج وترضاه حتى قبل عُذره ، ورضى عنه ، وكتب برضاه وببوله عُذره ، ولم يزل الحجاج له معظما هائبا له ، حتى هلك رضى الله عنه .

(١) وفي عرر الحقائق : « فإذا أناك كمانى هذا فكأن لَأَسْ أطلع من عند لسده ، وإلا أصانك مى سهم مسكل ، ولكل نأ ... الخ » . (٢) الخصاصة : الحاجة والفقر .

٢٥٩ — رد الحجاج على عبد الملك

وكتب الحجاج إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لعبد الله عبد الملك بن مروان ، أما بعد :
أصلح الله أمير المؤمنين وأبقاه ، وسَهَّلَ حَظَّهُ وَحَاطَ^(١) ، ولا أعدَمَنَاهُ ، فإن
إسماعيل بن أبي المهاجر رسول أمير المؤمنين - أعزَّ الله نصره - قدِمَ على
بكتاب أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه ، وجعلني من كل مكروهٍ فِدَاءُهُ -
يَذْكُرُ شَتْمِي وتوبيخِي بآبائي ، وتعييري بما كان قبلَ نُزُولِ النعمةِ بي من
عند أمير المؤمنين - أتمَّ الله نعمته عليه ، وإحسانه إليهِ - ويذكر أمير
المؤمنين - جعلني الله فِدَاءَهُ - استطالةً مني على أنس بن مالك خادم
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جُرْأَةً على أمير المؤمنين ، وَغِرَّةً بمعرفة غيره
وتقِمَاتِهِ وَسَطَوَاتِهِ على من خالف سبيله ، وَهَمْدًا إلى غير مَحَبَّتِهِ ، ونزل عند
مَسْخَطَتِهِ ، وأمير المؤمنين - أصلحه الله - في فراسته من محمد رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - إمام الهدى وخاتم الأنبياء ، أحقَّ من أقال عترتي ،
وعفا عن ذنبي ، وأمهَلَنِي ولم يُعْجِلْنِي عند هَفْوَتِي ، لِلَّذِي جُبِلَ عليه من
كريم طبائعه ، وما قلَّده الله من أمور عباده ، فرأى أمير المؤمنين - أصلحه
الله - في تسكين رَوْعَتِي ، وإفراج كُرْبَتِي ، فقد مُلِثْتُ رُغْبًا وَفَرَفًا^(٢) من
سَطَوَتِهِ ، وفُجَاءَةً نِقْمَتِهِ^(٣) ، وأمير المؤمنين - أقاله الله العنرات ، وتجاوز

(١) صانه وحفظه . (٢) حوا .

(٣) وفي صبح الأعشى « وتحمات نقماه » جمع قحمة بالصم وهي المهلكة .

له عن السيئات ، وضاعف له الحسنات ، وأعلى له الدرجات - أحق من صفح وعفا ، وتعمد^(١) وأبقى ، ولم يُشمت بى عدواً مكباً^(٢) ، ولا حسوداً مُضنباً^(٣) ، ولم يُجرّغنى غصصاً ، والذي وصف أمير المؤمنين من صنيعته إلى ، وتنويهه^(٤) بى بما أسند إلى من عمله ، وأوطأنى من رقاب رعيته ، فصديق فيه ، تجزى بالشكر عليه ، والتوسل منى إليه بالولاية ، والتقرب له بالكفاية .

وقد عاين إسماعيل بن أبى المهاجر رسول أمير المؤمنين وحامل كتابه ، من نزولى عند مسرة أنس بن مالك ، وخضوعى عند كتاب أمير المؤمنين ، وإفلاقه إياى ، ودخوله بالمصيبة على ، ماسيغله أمير المؤمنين ويشهد إليه ، فإن رأى أمير المؤمنين - طوَّفنى الله بشكره ، وأعاننى على تأدية حقه ، وبلغنى إلى ما فيه موافقة مرّضاته ، ومدّلى فى أجله - أن يأمر لى بكتاب من رضا وسلامة صدره ، يؤمّنتى به من سفك دى ، ويردّ ما شرد من نوى ، ويطمئن به فلبى ، فعَل ، فقد ورد على أمر جليل خطبه ، عظيم أمره ، شديد على كربه ، أسأل الله أن لا يُسخط أمير المؤمنين على ، وأن يُنيله فى حزمه ، وعزمه ، وسياسته ، وفراسته ، ومواليه ، وحشمه ، وعَمّاله ، وصنائه ، ما يحمّد به حُسن رأيه ، ويُعدهمته ، إنه ولّى أمير المؤمنين ، والذاب عن سلطانه ، والصانع له فى أمره ، والسلام»

(١) بعد فلانا وعمده بالشديد : سر ما كان منه .

(٢) مكأ : أى على النفس عن سثنائى وارقات ماسوى من الخطوب ، من أك عامه إذا أقل ولم . (٣) الضب بالفتح وكسر : العط والحقد ، وأصب : حمل الصب .

(٤) بوه هلا هلا : إذا رعبه وطيره وقواه ، ومه قوله :

وبوهت لى ذكرى وما كان حاملا ولكن بعن الذكر أنه من بعن

فحدث إسماعيل أنه لما قرأ أمير المؤمنين الكتاب ، قال : يا كاتبُ
أفرخ روع^(١) أبي محمد ، فكتب إليه بالرضا عنه .
(العقد الفريد ٣ : ١٤ ، وصح الأعشى ٦ : ٣٨٩ و ٤٧٨ ، وعرر الحوائص الواضحة ص ٧٣)

٢٦٠ - رواية أخرى لكتاب عبد الملك

وروى أن الحجاج قال لأنس بن مالك حين دخل عليه في شأن أبنه
عبد الله - وكان خرج مع ابن الأشعث - : « لا مَرَجَبَا بك ولا أهلا ،
لَعْنَةُ اللَّهِ عليك من شيخ جَوَالٍ في الفتنة ، مَرَّةً مع أبي ثُرَاب^(٢) ، ومَرَّةً
مع ابن الأشعث ، وَاللَّهِ لَأَفْلَعَنَّكَ قَلْعَ الصَّمْغَةِ^(٣) ، وَلَأَجْزُرَنَّكَ جَزَرَ
الْهَرَبِ^(٤) ، وَلَأَعْصِبَنَّكَ عَصَبَ السَّامَةِ^(٥) ، وَلَأَجْرِدَنَّكَ تَجْرِيدَ الضَّبِّ^(٦) » .
قال أنس : مَنْ يَعْغِي الْأَمِيرُ ، أَبْقَاهُ اللَّهُ ؟ قال : إِيَّاكَ أَعْنِي ، أَصَمَّ اللَّهُ صَدَاكَ^(٧) .
قال : فكتب أنس بذلك إلى عبد الملك ، فكتب عبد الملك
إلى الحجاج :

-
- (١) الروع : القاب أو موضع العرع منه ، وأفرخ روعه : أى هدى الله وسكنه وأمه .
(٢) كمية الإمام على كرم الله وجهه .
(٣) قال الحافظ في موضع آخر (ج ١ : ص ٢٠٠) : لأن الصمغ الناسة إذا فرقت عن الشجرة
انقلعت اهلاع الحلة » (والحالة فالصم : القشرة تعلو الحرح عند الرء) .
(٤) الهرب فالصم : ثرب الطل بالفتح ، وهو سحرم رقيق يعسى الكرش والأمعاء .
(٥) السامة : واحدة السلم ، وهو شجر كثير الشوك ، قال الحافظ أيضا (ج ٣ : ص ٢١) : « وذلك
لأن الأشجار تعصب أعصابها ثم تحيط بالعصى لسقوط الورق وهسم العيدين » .
(٦) قال صاحب اللسان في مادة حرد : « أى لأسلحك سلاح الصب ، لأنه إذا شوى حرد من
خلده ، وروى : لأحردك تنحيف الرء وصمها » .
(٧) أصم الله صده أى أهلكه ، الصدى : الصوت الذى يسمعه المصوت عقب صياحه يردّه
عليه الحل أو المكان المرتفع العالى ، ثم استعر للهلاك ، لأنه لما غاب الحى ، فاداه هلاك الرجل صم
صده كأنه لا يسمع شيئا فيجب عنه .

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، يَا بَنِي الْمُسْتَفْرِمَةِ بِعَجَمِ الزَّيْبِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْكُوكَ^(١) بِرَجُلِي رَكْلَةً تَهْوِي بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ، وَأَضَعَمَكَ^(٢) ضَنْعَةً كَبَعْضِ ضَنْعَاتِ اللَّيْثِ الثَّعَالِبِ ، وَأَخْبَطَكَ خَبْطَةً تَوَدُّ أَنْكَ زَاخَمْتَ تَحْرَجَكَ مِنْ بطن أُمِّكَ ، قَاتَلَكَ اللَّهُ^(٣) أَخْيَفِشَ^(٤) الْعَيْنِينَ ، أَصَكَ^(٥) الرَّجْلَيْنِ ، أَسْوَدَ الْجَاغِرَتَيْنِ ، وَالسَّلَامَ . »
(البیان والتبيين ١ : ٢٠٥ ، ومجمع الأمثال ٢ : ٨٩)

٢٦٠ - كتاب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج

وروى صاحب العقد قال :

قال أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ : كان عبد الملك بن مروان سِنَانِ قَرِيشٍ وَسَيْفِهَا رَأْيَا وَحَزْمًا ، وَصَابِدَهَا قَبْلَ أَنْ يُسْتَخْلَفَ وَرَعًا وَزُهْدًا ، فجلس يوماً في خاصته فقبضَ على لحيته فشَمَّهَا مَلِيًّا ، ثُمَّ اجْتَرَّ نَفْسَهُ ، وَنَفَخَ نَفْخَةً أَطَالَهَا ، ثُمَّ نظَرَ في وجوه القوم فقال : « مَا أَقُولُ يَوْمَ ذِي الْمَسْأَلَةِ عَنْ أَمْرِ الْحِجَابِ ، وَأُدْجِضَ الْمُحْتَجِّ عَلَى الْعَلِيمِ^(٥) بِمَا طَوَّعَهُ الْحُجُبُ ؟ أَمَا إِنَّ تَمْلِكُنِي لَهُ فَرَنْ بِي لَوْعَةً يُحْشِيهَا التَّدْكَارُ ! كَيْفَ وَفَدَ عِلْمْتُ فِتْعَامِيَّتُ ، وَسَمِعْتُ فِتْصَامِيَّتُ ، وَحَمَلَهُ الْكَرَامُ الْكَانِبُونَ ! وَاللَّهِ اكْتَأْنَى آلُفَ ذَا الطَّعْنِ عَلَى نَفْسِي ، بَعْدَ أَنْ نَعَتِ الْأَيَّامُ بِتَصْرِفِهَا أَنْفُسًا حَقًّا لَهَا الْوَعِيدُ

(١) ركله : صر به برحله . (٢) ضعمه كعم ، عصه .

(٣) قاتله الله : قلاه ، وقتل الله ، وقيل عاداه .

(٤) بصغر أحدهن . وقد دمدم معاء .

(٥) أدحض حبسه . أطلها . على العام : أى على الله العام .

بِتَصَرُّمِ الزَّوَالِ ، وَمَا أَبْقَتِ الشُّبُهَةُ لِلْبَاقِي مُتَعَلِّقًا ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْغِلُّ الْكَامِنُ ،
وَالْعِشُّ الْمُنْدَمِلُ مِنْ ذِي النَفْسِ بِحَوْبِهَا^(١) ، اللَّهُمَّ أَنْتَ لِي أَوْسَعُ ، غَيْرَ مُتَصَرِّ
وَلَا مُعْتَذِرٍ « يَا كَاتِبُ ، هَاتِ الدَّوَاةَ وَالْقِرَطَاسَ ، فَقَعْدِ كَاتِبَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ
وَأْمَلِي عَلَيْهِ :

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحُجَّاجِ
أَبْنِ يَوْسُفَ ، أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ أَصْبَحْتُ بِأَمْرِكَ بِرِمًا^(٢) ، يَقْعِدُنِي الْإِشْقَاقُ ،
وَيُقِيمُنِي الرَّجَاءُ ، عَجَزْتُ فِي دَارِ السَّعَةِ ، وَتَوَسَّطِ الْمَلِكِ ، وَحِينَ الْمَهْلِ ، وَاجْتِمَاعِ
الْفِكْرِ ، أُلْتَمِسُ الْعَذَرَ فِي أَمْرِكَ ، فَأَنَا لَعَمْرُ اللَّهِ فِي دَارِ الْجَزَاءِ ، وَعَدَمِ السُّلْطَانِ
وَاشْتِغَالِ النَّفْسِ ، وَالرَّكُونِ إِلَى أُلْدَلَةٍ مِنْ نَفْسِي ، وَالتَّوَقُّعِ لِمَا طُوِيَتْ عَلَيْهِ
الصُّحُفُ ، أَعْجَزُ ، وَقَدْ كُنْتُ أَشْرَكَكَتُكُ فِيمَا طَوَّقَنِي اللَّهُ سَحْلَهُ ، وَلَا تَبَحْتَوَى^(٣)
مِنْ أَمَانَةِ اللَّهِ فِي هَذَا الْخَلْقِ الْمَرْعَى ، فَذُلْتُ مِنْهُ عَلَى الْحَزْمِ وَالْجِدِّ فِي إِمَاتَةِ
بِدْعَةٍ ، وَإِنْعَاشِ سُنَّةٍ ، فَقَعَدْتُ عَنْ تِلْكَ ، وَنَهَضْتُ بِمَا عَانَدَهَا^(٤) ، حَتَّى
صِرْتُ حُجَّةَ الْغَائِبِ ، وَعَذَرَ اللَّاعِنِ وَالشَّاهِدِ الْقَائِمِ .

فَلَعَنَ اللَّهُ أَبَا عَقِيلٍ^(٥) وَمَا نَجَلَ ، فَأَلَامَ وَالِدِي ، وَأَخْبَثَ نَسْلِي ، فَلَعِمَرِي .
مَا ظَلَمَكُمْ الزَّمَانُ ، وَلَا قَعَدْتُ بِكُمْ الْمَرَاتِبُ ، لَقَدْ أَلْبَسْتُكُمْ مَلْبَسَكُمْ ، وَأَفْعَدْتُكُمْ

(١) الحوَاء : روع القلب بهم الرأى أى سواده ، قال الشاعر : « وهس تمود بجوانبها والحواء
أيضا : النفس .

(٢) برم به كمرح : محمر . (٣) الحقو بالصح ويكسر : السكشج ومقد الإزار ، ولان
بحموى : أى لف وعصب ، لان الشيء لوئا : أداره مرتين كما تدار العصامة والإزار ، قال الناصب :
تلوث بعد امضال البرد مئزرها لوئا على مثل دعس الرملة المصارى

(٤) خالها وحابها . (٥) هو جد الحجاج ، ذكر ابن حنبلان في وفيات الأعيان - ج ١ :
ص ١٢٣ - في نسبه أنه الحجاج بن يوسف بن الحكم بن عقيل بن مسعود بن عامر ... - انظر
أيضاً سرح البيون ص ١١٢ - ، ونحله : ولده .

على رَوَائِي خِطَطِكُمْ^(١) ، وَأَحَلَّتْكُمْ عَلَى مَنَعَتِكُمْ ، فَمَنْ حَافِرٍ وَنَاقِلٍ وَمَا يَحْمِلُ^(٢) ،
لِلْفَلَوَاتِ الْقَفَرَةِ الْمُتَفَيِّهَةِ^(٣) ، مَا تَقَدَّمَ فِيكُمْ الْإِسْلَامُ ، وَلَقَدْ تَأَخَّرْتُمْ^(٤) ،
وَمَا الطَّائِفُ مِنَّا يَبْعِدُ يُجْهَلُ أَهْلُهُ ، ثُمَّ قَتَ بِنَفْسِكَ ، وَطَمَحْتَ بِهَيْمَتِكَ ،
وَسَرَّكَ اتِّصَاءُ^(٥) سَيْفِكَ ، فَاسْتَخَرَجَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَعْوَانِ رَوْحِ
أَبْنِ زُبَاعٍ وَشُرَطِهِ^(٦) ، وَأَنْتَ عَلَى مَعَاوَنَتِهِ يَوْمَئِذٍ مُحْصُودٌ ، فَهَفَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) الخطط جمع خطة بالكسر : وهي الأرض التي تنزلها ولم ينزلها نارل قبلك .

(٢) متح الماء : تزرعه .

(٣) هكذا في الأصل ، يريد المنسعة ، وتفيق في الكلام : توسع فيه ، مأخوذ من التفهق وهو الامتلاء ،
كأنه ملأ به فقه ، وأرى أن صوابه « المنهفة » من انهق الشيء إذا اتسع ، ويقال أيضاً مفازة
فبهق أى واسعة ، واليهيق : الواسع من كل شيء .

(٤) كانت تقيف من القبائل التي تأخرت في إجابة دعوة الإسلام ، وكان ممن أذى النبي عليه السلام
أبلغ الإيذاء ، وذلك أنه لما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم يمكنها بيله في حياته ،
ففرج عليه السلام إلى نيف الطائف يرحو منهم أن يسلموا ويناصروه على قومه ، لأنهم أقرب الناس
إلى مكة وله فيهم خثولة ، وكلهم رؤساءهم وساداتهم فيما هم به ، فردوا عليه ردا قبيحا ولم ير منهم
خيرا ، فطلب لإيهم ألا يشيعوا ذلك عنه لئلا تعلم قريش فيفسد أدايم له ، فلم يعملوا بل أرسلوا سفهاءهم
وعلمائهم وراءه يرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه ، وكان مولاه زيد بن حارثة يدرأ عنه ، وما زالوا
على جاهليتهم حتى فتح رسول الله مكة سنة ٨ هـ ودخل العرب في دين الله أفواجا ، فوفدت عليه نيف
في رمضان سنة ٩ هـ وأسلمت مع من أسلم .

(٥) اتصى السيف : سله .

(٦) الشرط : أعوان الولاية واحدها سرطه كغرف وغرفة ، وكان أول ما ظهر من أمر الحجاج أنه
أصل بروح بن رناع الحناني ، وكان في عديد شرطته (وكان روح وزير عبد الملك ، وبمنزلة
نائه) ثم إن عبد الملك ، توجه إلى الحررة لقتال رور بن الحرث الكلاني عند ماعصى
عليه قريفيساء كما قدما ، فشكا ما رأى من انحلال العسكر وأن الناس لا يرحلون
برحيله ولا ينزلون ببروله ، فقال له روح بن رناع : يا أمير المؤمنين ، إن في شرطتي رجلا لو قلده
أمير المؤمنين أمر عسكره لأرحلهم برحيله ، وأنزلهم بنزوله ، قال له الحجاج بن يوسف ، قال : فإننا
قد قلده ذلك ، فكان لا يقدر أحد أن يتخلف عن الرحيل والبرول إلا أعوان روح بن رناع ، فر
يوما بعد رحيل العسكر بجماعه من خواص علمان روح في حيمه يأكلون ، فقال لهم : ما معكم أن
ترحلوا برحيل أمير المؤمنين ؟ فسحروا منه إمدالا بمحلهم ومحل سيدهم . وقالوا له : انزل يا ابن اللخناء
فكل معنا (واللحن بالتحريك : دج ريع المرح ، وامرأة لحناء ، والي لم تخنن ، وهي
من شتم العرب ، كأنهم يقولون : ياذن الأصل ، أو يالقيم الأم) . فقال : هيهات ! ذهب ما هالك ،
وصرب بيسه أطناب الحيمة فسقطت عليهم ، وأطلق فيها نارا فأحرقت أنائمهم عليهم ، وأمر بهم فجلدوا

- وألله يُصْلِحُ بالتوبة والغُفران زَلَّتْهُ - وَكَانَ مَا لَوْلَمْ يَكُنْ لَكَ خَيْرًا
مما كان ، كلُّ ذلك من تجاسُركَ وتحمُلكَ على المخالفة لرأى أمير المؤمنين ،
فصدَّعتَ صَفَاتِنَا^(١) ، وَهَتَكْتَ حُجُبَنَا ، وَبَسَطْتَ يَدَيْكَ تَحْفِنُ بِهِمَا مِنْ
كِرَائِمِ^(٢) ذَوِي الْحَقُوقِ الْإِلَازِمَةِ ، وَالْأَرْحَامِ الْوَاشِحَةِ ، فِي أَوْعِيَةِ ثَقِيفٍ ،
فَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ لَذَنْبِ مَالِهِ عُذْرٌ ، فَلَنْ اسْتَقَالَ^(٣) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيكَ الرَّأْيَ ،
لَقَدْ جَالَتِ الْبَصِيرَةُ فِي ثَقِيفِ بَصَالِحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ ائْتَمَنَهُ عَلَى
الْصَّدَقَاتِ وَكَانَ عَبْدَهُ ، فَهَرَبَ بِهَا عَنْهُ^(٤) ، وَمَا هُوَ إِلَّا اخْتِيَارٌ لِلثَّقَةِ ،

بالسياط وطوفهم في العسكر ، فدخل روح بن رناع على عبد الملك با كيا ، فقال له : مالكَ ؟ فقال :
يا أمير المؤمنين ، الحجاج بن يوسف الذي كان في عديد شرطي صرب عسدي ، وأحرق فساطيطي ،
قال : علىَّ به ، فلما دخل عليه ، قال : ما حملك على ما فعلت ؟ قال : ماأنا فعلته يا أمير المؤمنين ، قال :
ومن فعله ؟ قال : أنت والله فعلت ، إنما يدي يدك ، وسوطي سوطك ، أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا
بالاحتجاج فيما ولينا ففعلنا ما أمرت ، وهذه الفعلة رتدع من بني من أهل العسكر ، وما على أمير
المؤمنين أن يخلف على روح بن رناع للفسطاط فسطاطين وللغلام علامين ، ولا تكسرني فيما قدمي له ؟
فأعجب عبد الملك وقال : إن شرطكم لخلد ، ثم أقره على ما هو عليه ، وتقدم الحجاج في مبرلته ، وكان
ذلك أول ما عرف من كفايته .

ولما طال القتال والحصار بينه وبين رفرن الحرث ، أرسل عبد الملك رجاء بن حيوة وجاعة مهم الحجاج
إلى رفرن بكتاب يدعوهُ إلى الصلح ، فأتوه بالكاتب وقد حصرت الصلاة ، فقام رجاء وصلى مع زفر ،
وصلى الحجاج وحده ، فمثل عن ذلك ، فقال : لا أصلي مع منافق خارج على أمير المؤمنين وعن
طاعته ، فسمع عبد الملك بذلك فراد محمًا بالحجاج ورفع قدره ، وولاه بلدة تسمى « تنالة » - كسجاية ،
بلد باليمن - وهي أول ما ولي ، فخرج إليها فلما قرب سأل عنها ، فعيل : لها وراء هذه الأكمة ،
فقال : أف للدة تسترها أكمة فرجع عنها ، فعيل في المل : أهون من سالة على الحجاج - انظر العقد
الفريد ٣ : ٦ ، وشرح العيون ص ١١٣ - .

(١) الصفاة : الحجير الصلد الضخم .

(٢) كرائم الأموال : خيارها التي بكرم عليك ، والواشحة : الرحم المشبكة ، وقد وشجت بك
قربانه تشج كوعد .

(٣) أقال عثرته : رفعه من سقوطه ، واستقاله : طلب لإليه أن يقيله ، والمعنى فلن طاب
أمر المؤمنين إلى رأيه أن يقيلك من سقطتك ، أي أحسن بك الطل وألمس لك العذر فيما فعلت .

(٤) انظر هامش ص ١٦٦ .

والمَطْلَبُ لمواضع الكِفاية ، فَعَمَدَ فيه الرِجاءُ ، كما قعد بأمر المؤمنين فيما نَصَبَكَ له ، فَكَانَ هذا أَلْبَسَ أمير المؤمنين ثوبَ العِزِّاءِ ، ونَهَضَ بِمُذْرِهِ إلى استنشاق نَسِيمِ الرُّوحِ^(١) ، فاعتَزَلَ عَمَلَ أمير المؤمنين ، واطْعَنَ^(٢) عنه باللعنة اللازِمة ، والعقوبة النَّاهِكة^(٣) إن شاء الله ، إذ استَحْكَمَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ما يَحاولُ من رأيه ، والسلام .

ودعا عبد الملك مَوْلى له يقال له : بُبَاةُ ، له لِسَانٌ وَفَضْلٌ^(٤) رَأى ، فناولَه الكتابَ ، ثم قال له يا بُبَاةُ : المَجَلَّ ثم العَجَل ، حتى تَأْتِيَ العراقَ ، فضع هذا الكتابَ في يد الحِجَابِ ، وترقَّبْ ما يكونُ منه ، فإذا جَبُنَ عند قِراءَتِهِ واستيعابِ ما فيه ، فاقْلَعْهُ عن عمله وانقلعْ معه حتى تَأْتِيَ بِهِ ، وَهَدِّئِ النَّاسَ حتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي ، بما تَصِفُنِي بِهِ في حين انقِلاعِكَ ، من حُبِّي لَهُمُ والسلامة ، وَإِنْ هَشَّ للجواب ولم تَكْشِفْهُ أَرْبَبَةُ^(٥) الْحَبِيرَةِ ، فَخُذْ مِنْهُ ما يُجِيبُ بِهِ وَأَقْرِره على عمله ، ثم اَعْمَلْ على بِجوابِهِ .

قال بُبَاةُ : فخرَجْتُ قاصداً إلى العراق ، فوضَعْتَنِي الصَّحَارَى والفَيَافِي^(٦) ، واحتَوَانِي القُرُ^(٧) ، وأخذ مني السَّفَرُ ، حتى وصاتُ ، فلما وَرَدْتَهُ ، أُدْخِلْتُ

(١) الروح : الراحة . (٢) أى ارحل .

(٣) مهكة السلطان كسعه : نال في عقوبته . وهالك مهكة عقوبة : أى املع في عقوبته .

(٤) الفصل : الريادة .

(٥) الأربة : طرف الأمت ، وإصابتها إلى الحيرة : لأنها تنحلج ويهتر وقت الحيرة والدهش ، أو لأن من عادة بعض الناس عند الحيرة أن يطرق رأسه ويبرأصاعه على أربته ، وربما كان الأصل « أربة » فتحسكون : أى شدة ، أو « أربة » هم فسكون ، والأربة : العقدة التي لا تحل حتى تحل حلا .

(٦) الفياحي جمع فياحة بفتح الفاء : وهي المفاو . (٧) الفرمثلث القاف : الرد .

عليه في يومٍ ما يُحْطَرُ^(١) فيه الخلقُ ، وعلى شُحوبٍ مُضْنَى ، وقد توسَّطَ خَدَمَتَهُ من نواحيه ، وتَدَثَّرَ بِمُطَرَفٍ^(٢) خَزٍّ أَذْكَنَ ، ولَاثٍ^(٣) به الناسُ من بين قائم وقاعد ، فلما نظر إلى - وكان لى عارفاً - قعد ثم تبسَّم تبسُّمَ الوجَلِ ، ثم قال : أهلاً بك يا نباتةُ ، أهلاً بَمَوْلَى أمير المؤمنين ، لقد أترُفِكِ سفركَ ، وأعرفُ أمير المؤمنين بك صَنِينَا ، فليت شعري ما دِهَمَكَ أودَهِنِي عنده ؟ قال : فسَلَّمْتُ وفعدتُ ، فسأل : ما حَالُ أمير المؤمنين وخَوَلِهِ؟^(٤) ، فلما هدأ أخرجتُ له الكتابَ فناولته إياه ، فأخذه مني مسرعاً ، ويده تُرْعَدُ ، ثم نظر في وجوه الناس فما شَعَرَتْهُ إلا وأنا معه ، ليس معنا ثالث ، وصار كل من يُخْلِفُ به من خدمه يلقاه خالياً ، لا يسمعون منا إلا الصوتَ ، فقكَّ الكتابَ فقرأه ، وجعل يتنأَّب ويردُّ تناوُبه ، ويسيل العرق على جبينه وصُدْغِيه - على شدة البرد - من تحت فلَنَسُوتِهِ من شدة العَرَقِ ، وعلى رأسه عمامة خَزٍّ خضراء ، وجعل بشَخَصٍ إلىَّ يبصره ساعة كالمثوهم ، ثم يعود إلى قراءة الكتاب ، ويلاحظُنِي النظرَ كالمثفهم إلا أنه وَاجِمٌ^(٥) ، ثم يعاود الكتابَ ، وإني لأقول : ما أراه يُثَبِّت حروفُهُ من سدة اضطراب يده ، حتى استقصى قراءتَهُ ، ثم مالت يده حتى وقع الكتاب على الفراش ، ورجع إليه ذهنه ، فَمَسَحَ العرق عن جبينه ، ثم قال متملاً :

(١) أى ما يع ، وفي الأصل « يحطر » وأراه مصحفاً .

(٢) دثر بالثوب : اشتمل به ، والمطرف : رداء من حرمرع ذو أعلام . وأدكن : وصف من الدكة كحبرة : وهى لون إلى السواد . (٣) أى التما واسدأروا .

(٤) الحول : الحدم والحقم . (٥) الواجم : العوس المطرق لشدة الحرى « وحكم كوعد وحما لموحوما : سكت على عبط .

وَإِذَا النِّيَّةُ انْشَبَتْ أَظْفَارَهَا^(١) أَلْفَيْتَ كُلَّ تَيْمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٢)
 قَبِيحَ وَاللَّهِ مِنَّا الْحَسَنُ يَا نَبَاتَةَ ! وَتَوَا كَلَّتْنَا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْأَلْسُنُ ،
 وَمَا هَذَا إِلَّا سَانِحُ فِكْرَةٍ نَحَقَّهَا مُرْصِدٌ^(٣) يَكَلِّبُ بِقَصَّتِنَا ، مَعَ حُسْنِ رَأْيِ
 أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِينَا ، يَا غِلَامُ ، فَتَبَادَرَ الْغِلَامُ الصَّيِّحَةَ ، فُلِيَ عَلَيْنَا مِنْهُمْ الْمَجْلِسُ ،
 حَتَّى دَفَّأَتْنِي مِنْهُمْ الْأَنْفَاسُ ، فَقَالَ : الدَّوَاءَ وَالْقُرْطَاسَ ، فَأَتَى بِدَوَائِهِ^(٤)
 وَقُرْطَاسٍ ، فَكَتَبَ بِيَدِهِ ، وَمَا رَفَعَ الْقَلَمَ إِلَّا مُسْتَمِدًّا حَتَّى سَطَّرَ مِثْلَ خَدِّ^(٥)
 الْفَرَسِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ قَالَ لِي : يَا نَبَاتَةَ ، هَلْ عَامَتَ مَا جِئْتَ بِهِ فَتُسْمِعَكَ
 مَا كَتَبْنَا ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالَ : إِذَنْ حَسْبُكَ مِنَّا مِثْلُهُ ، ثُمَّ نَاوَلَنِي الْجَوَابَ ،
 وَأَمَرَنِي بِجَائِزَةٍ فَأَجْزَلُ ، وَجَرَّدَ لِي كِسَاءً ، وَدَعَا لِي بِطَعَامٍ فَأَكَلْتُ ، ثُمَّ قَالَ :
 نَكِلْكَ إِلَى مَا أَمَرْتُ بِهِ مِنْ سَجَلَةٍ أَوْ تَوَانٍ ، وَإِنِّي لِأَحَبُّ مَقَارَنَتِكَ وَالْأَنْسَ
 بِرُؤْيَيْكَ ، فَقُلْتُ : كَانَ مَعِيَ قُلٌّ مِفْتَاحُهُ عِنْدَكَ ، وَمِفْتَاحُ قُلِّكَ عِنْدِي ،
 فَأَجَدْتُ لَكَ الْوَافِيَةَ بِالْأَمْرَيْنِ ، فَأَقْفَلْتُ الْمَكْرُوءَ وَفَتَحْتُ الْعَافِيَةَ ،
 وَمَا سَاءَ نِي ذَلِكَ ، وَمَا أَحَبُّ أَنْ أَزِيدَكَ يَانَا ، وَحَسْبُكَ مِنِّي اسْتِعْجَالُ
 الْقِيَامِ ، ثُمَّ نَهَضْتُ وَقَامَ مُودِّعًا لِي ، فَالزَّمَنِي وَقَالَ : يَا بَنِي أَنْتَ وَأُمِّي ، رَبُّ
 لَفْظَةٍ مَسْمُوعَةٍ^(٦) ، وَمَحْتَقِرٍ نَافِعٍ ، فَكُنْ كَمَا أَظُنُّ ، فَخَرَجْتُ مُسْتَقْبِلًا
 وَجْهِي ، حَتَّى وَرَدْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَوَجَدْتَهُ مُنْصَرَفًا مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ ،

(١) التيمه : العوده تملق على الإنسان .

(٢) يقال أرصده إذا قعد له على طريقه يرقه ، وأرصد له بالخير والفر : كافاه ، وأرصد له الأمر :

أعدّه ، وكلب كهرح : سفه فأشبه الكلب الكلب .

(٣) في الأصل « مسمومة » وأرى أنها محرفة ، والصواب « مسموعة » كما يدل عليه ما بعده وهو

قوله « فكن كما أظن » يطلب إليه أن يذكره عند عبد الملك بكلمة طيبة رجاء أن يسمع لها .

فلما رآني ، قال : ما احتواك المضجعُ يا نباتة ! فقلت : مَنْ خاف مِنْ وَجْهِه
الصباح أَدْجَ (١) ، فسأمتُ وانتبذتُ (٢) عنه ، فتركتني حتى سَكَنَ جَأْشِي ،
ثم قال : مَهَيْم (٣) ، فدفعتُ إليه الكتابَ ، فقرأه متبسماً ، فلما مضى فيه
ضحك حتى بَدَتْ له سِنَّ سوداءَ ، ثم استقصاه فانصرف إلىَّ ، فقال : كيف
رأيتَ إشفاقه ؟ قال : فقَصَصْتُ عليه ما رأيتُ منه ، فقال : صلواتُ الله
على الصادق الأمين « إن من البيان لسِحْرًا » ثم قذف الكتاب إلىَّ فقال :
اقرأ ، فقرأته فإذا فيه .

٣٦١ - رد الحجاج على عبد الملك

« بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، لعبدُ الله أمير المؤمنين ، وخليفة ربِّ
العالمين ، المؤيَّد بالولاية ، المعصوم من خَطَل (٤) القول ، وزَلَل الفعل ،
بكفالة الله الواجبة لذوي أمره ، من عبدٍ اكَتَفَتْهُ الزَّلَّةُ ، ومدَّ به الصَّغَارُ (٥)
إلى وَخِيمِ المَرْتَعِ ، ووَيْلِ المَكْرَعِ (٦) ، من جائل قَادِح ، ومعتزٍّ فَادِح (٧) ،
والسلام عليك ورحمة الله التي اتَّسَعَتْ فَوْسَعَت ، وكان بها التَّوَيُّ إلى أهله
قائداً ، فَإِنِّي أَحمَدُ إِيكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ راجياً لعطفك بعطفه (٨)

(١) أَدْجَ : سار من أول الليل . (٢) أي تحيت .

(٣) أي ما الأمر وما الخير . (٤) الخطل : المطق العاسد المضطرب ، وقد خطل في كلامه كفرح

(٥) الصغار : الدل . (٦) المكراع اسم مكان من كرع في الماء كعب : إذا تناوله بفيه من موضعه من غير أن يضر بكفه ولا يلباء ، كما تفعل البهائم لأنها تدخل أكارعها فيه ، كى بهذا وبما قبله عن سوء العاقبة .

(٧) من حائل ، أي من عدو يحول وبدور بمنذقي ، قادح : أي طاعن ذام ، ومعتز أي بنجاهه ومنزلته لدى أمير المؤمنين . فادح : من فدحه إذا أبعده ، أي يقلب بما يعثره على من الأباطيل .

(٨) في الأصل « فَإِنِّي أَحمَدُ الله إِيكَ - راجياً لعطفك بعطفه - الذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وقد أصلحه كما ترى وهو الأظهر عندى .

أما بعد ، كان الله لك بالدعة^(١) في دار الزوال ، والأمن في دار الزوال ، فإنه من عنت^(٢) به ففكرتُك يا أمير المؤمنين مخصوصاً ، فما هو إلا سعيدٌ يؤثّر ، أو شقيّ يؤثّر^(٣) ، وقد حجّبتني عن نواظر السعد لسانُ مُرْصِد ، ونافس^(٤) حقد ، انتهز^(٥) به الشيطانُ حين الفكرة ، فافتتح به أبواب^(٦) الوسواس بما تحتويه الصدور ، فواغوثاه ! باستعاذة أمير المؤمنين من رجيم ، إنما سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ ، واعتصاما بالتوكل على من خصّه بما أجزل له من قسم^(٧) الإيمان وصادق السنّة ، فقد أراد اللعينُ أن يفتق لأوليائه فتقاً ، نبأ عنه كيده ، وكثر عليه تحشّره ، بليّة قرّع بها فكرَ أمير المؤمنين ملبساً^(٨) وكادحاً ومؤرّثاً ، ليفلّ من غرّبه^(٩) الذي نصبني ، ويصيب ثاراً لم يزل به مؤثّراً^(١٠) ، وأذكره مامت^(١١) به الأوائل قديماً حتى لحقت بمثله منهم ، ممّا كنتُ أبلوه^(١٢) من خسة أقدار ، ومزاولة أعمال ، إلى أن وصلتُ ذلك بالتشرّط لروح بن زنباع ، وقد علّم أمير المؤمنين - بفضل

(١) الدعة : الحفض والسعة في العيش ، ودار الزوال : الدنيا ، ودار الزوال : الآخرة .

(٢) عنت : عرص ، والمراد : عنت بفكرتُك ، قلب .

(٣) آثر إثارة : فضله وقدمه . ووتره : أفزعه وأدركه بمكرهه ، (٤) نفس عليه بحير كفرح : حسد ، ونفس عليه الشيء نفاسة : لم يره أهلاً له .

(٥) المراد : اخلى به ، والوسواس مصدر وسوس كالوسوسة .

(٦) القسم : العطاء . (٧) التلبس : التحليط والتدليس ، وفي الأصل « ملبساً » وأراه محرفاً ، إذ الملبس هو المتحير واليائس والساكث عند انقطاع حخته ، والساكث من الحزن أو الخوف ، وذلك غير مناسب هنا . كادحاً : حادّاً ساعياً . والتأريش : النحرش والإفساد ، أَرَش بين قوم : أفسد بينهم وحمل بعضهم على بعض . (٨) العرب : الحدّ

(٩) من اثنت العدر : إذا اشتد عليها ، وفي الأصل « موتراً » وأراه محرفاً .

(١٠) أي ماتوسل ، وفي الأصل « وأذكره قديماً مامت به الأوائل » وقد أصلحته كما ترى .

(١١) أي أراوله وأمارسه ، وفي الأصل « حتى لحقت بمثله منهم ومن كنت أبلوه » وهو تحريف

ما اختار الله له تبارك وتعالى من العلم المأثور الماضي - بأن الذي عيّره القوم مصانعهم^(١) ، من أشد ما كان يزاوله أهل القدمة^(٢) الذين اجتبي الله منهم ، وقد اعتصموا وامتعضوا^(٣) من ذكر ما كان ، وارتفعوا بما يكون ، وما جهل أمير المؤمنين - والبيان موقعه غير محتج ولا متعدي^(٤) - أن متابعة روح بن زنباع طريقاً إلى الوسيلة لمن أراد من فوقه ، وأن روحاً لم يلبسنى العزم الذى به رفعت أمير المؤمنين عن خوله ، وقد الصقتنى بروح ابن زنباع همة لم تزل نواظرها ترمى إلى البعيد ، وتطالع الأعلام ، وقد أخذت من أمير المؤمنين نصيباً اقتسمه الإشفاق من سخطه ، والمواظبة على موافقته ، فابقي لنا بعد الإصباة^(٥) وإرث به تجول النفس ، وتطرف^(٦) النواظر ، ولقد سرت بعين^(٧) أمير المؤمنين سيرة المشبطين من يتلوه ، المتناول لمن يقدمه ، غير مثبت موجب^(٨) ، ولا متناقل مجحف ،

(١) المصانع: جمع مصنعة: ما يصنعه الناس من الآبار والأبنية وغيرها ، وقد تقدم في كتاب عبد الملك إليه: « فن حافر وناقل وماح... » وفي كتاب ساق: « اذكر مكاسب آثائك بالطائف ، إذ كانوا ينقلون الحجارة على أكتافهم ، ويحفرون الآبار والمياه بأيديهم » .

(٢) القدمة: السابقة في الأمر كالعدم بالحرك ، قال: لعل قدم صدق ، أى ساق خير وأثر حس ، ومنه قوله تعالى: « وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ » وكذلك القدمة . واحتج: اصطفى واختار . (٣) أى عضوا وشق عليهم .

(٤) غير محتج حال من البيان ، وفي استاده إلى السان محار على أى غير محج صاحبه ، أو هو حال من المتكلم والجملة احتراستاً إذا في محاطه عبد الملك ، يعنى أنه يلقى ببناءه هذا في غير احتجاج على أمير المؤمنين ، ولا تعد الحدود ما يجب عليه له من التوقير والتعظيم ، وفي الأصل « ولا معد » وهو تحريف .

(٥) الصاة: الفية اليسيرة تنى في الإناء من الشراب ، وفي الأصل « صابة » وهو تحريف والإرث: القبة من كل شيء . (٦) طرف البصر كصر: تحرك .

(٧) أى بحيث برانى ويعلم أمرى ، المسط: نطه عن الأمر: عوقه ووطأ به عنه ، وفي الأصل « المنبط » وهو تحريف ، وقدمه من باب بصر: بعده .

(٨) مبت ، من أبت بعيره: إذا أحهد وأنعمه في السير حتى قطعه ، وصاحبه مبت أى مقطع عن

فَفُتُّ الطَّالِبَ ، وَلَحِقْتُ الهَارِبَ ، حَتَّى ثَارَتِ السَّنَةُ ^(١) ، وَبَادَتِ الْبِدْعَةُ ، وَخَسِيءُ الشَّيْطَانُ ، وَحُمِلَتِ الْأَدْيَانُ إِلَى الْجَادَّةِ الْعَظْمَى ، وَالطَّرِيقَةُ الْمُثَلَّى ، فَهَآنَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نُصَبُ الْمَسْأَلَةُ لِمَنْ رَامَنِي ، وَقَدْ عَقَدْتُ الْحُبُورَةَ ^(٢) ، وَقَرَنْتُ الْوُظَيْفَيْنِ لِقَائِلٍ مَحْتَجٍّ ، أَوْ لَا تَمُوتُ مَلْتَجٍ ^(٣) ، وَأَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيُّ الْمَظْلُومِ ، وَمَعْقِلُ الْخَائِفِ ، وَتُسْطَهْرُ لَهُ الْمِحْنَةُ ^(٤) تَبَأُ أَمْرِي ، وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٍّ ، وَمَا حَفَنْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي أَوْعِيَةِ ثَقِيفٍ حَتَّى رَوَى الظَّمَانُ ، وَبَطْنِ الْغَرَّانِ ^(٥) ، وَغَصَّتِ الْأَوْعِيَةُ ، وَانْقَدَّتِ الْأَوَكِيَةُ ^(٦) فِي آلِ مَرْوَانَ ، فَأَخَذَتْ ثَقِيفٌ فَضْلًا ^(٧) صَارَ لَهَا ، لَوْلَا لَمْ لَقَطَّتْهُ السَّائِلَةُ ، وَلَقَدْ كَانَ مَا أَنْكَرَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ تَحَامُلِي ، وَكَانَ مَا لَوْلَمْ يَكُنْ لَعَظُمَ الْخَطْبُ فَوْقَ مَا كَانَ ، وَإِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِرَابِعٍ أَرْبَعَةٍ : أَحَدُهُمْ ابْنَةُ ^(٨) شُعَيْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ

أَصْحَابِهِ ، لِأَنَّهُ جَدٌّ فِي سِيرِهِ حَتَّى اثْبَتَ أَخِيرًا ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ الشَّرِيفُ « إِنْ الْمُنْتَبِتُ لَا أَرْضَا قَطْعًا وَلَا ظَهْرًا أَتَى » وَفِي الْأَصْلِ « عَيْرٌ مُنْتَبِتٌ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . مُوجِفٌ ، وَجَفَّ الْفَرَسُ وَالْعَيْرُ وَجِيفًا : عَدَا ، وَأَوْحَفْتُهُ : أَعْدَيْتُهُ ، وَهُوَ الْعَقُّ فِي السَّيْرِ . وَأَجْهَفُ بِالْأَمْرِ : قَارِبُ الْإِحْلَالِ بِهِ .
(١) ثَارَتْ : نَهَضَتْ وَهَبَتْ وَعَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ . وَخَسِيءٌ : نَعْدٌ وَطَرْدٌ .

(٢) أَحْسَى : جَمَعَ بَيْنَ ظَهْرِهِ وَسَاقِيهِ ثُوبَ أَوْعِيرِهِ ، وَالْأَسْمُ الْحَبْرَةُ بِالْكَسْرِ وَيَصْمُ ، وَالْوُظَيْفُ : مُقَدِّمُ السَّاقِ . وَالْعَى : قَدْ تَهَيَّأَتْ وَاسْتَعَدَّتْ لِمَنْ رَامَ مَسَاءَتِي وَهَاشِي .

(٣) الْمُرَادُ بِهِ : لِأَجْلِ ، أَيْ مَتَادٌ فِي الْخَصُومَةِ بِأَنِّي أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهَا .

(٤) عَمَهُ : اخْتَبَرَهُ كَاهِنَتُهُ ، وَالْأَسْمُ الْحَمْنَةُ بِالْكَسْرِ .

(٥) الْغَرَّانُ : الْخَائِفُ ، عَرِثُ كَهْرَجٍ : حَاجٍ ، وَالطَّنَةُ بِالْكَسْرِ : اِمْتِلَاءُ الطَّنِ مِنَ الطَّعَامِ ، نَظْنُ كَهْرَجٍ طَاطَاوُطَةٍ ، وَنَظْنُ كَهْرَجٍ : عَظْمُ طَهْ .

(٦) انْقَدَتْ : انْطَلَعَتْ ، وَالْأَوَكِيَةُ : جَمْعُ وَكَاءٍ كُتَابٌ وَهُوَ رِبَاطُ الْقُرْبَةِ وَغَيْرُهَا ، كَسَى بِدَلَاكَ عَنْ اِمْتِلَاءِ الْأَوَدَةِ وَاسْتِظْطَاطِهَا . (٧) أَيْ مَا رَادَ وَفَضَلَ .

(٨) هِيَ صُغُرَاءُ بِنْتُ شُعَيْبِ رُوحِ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ، يَعْنِي أَنَّهَا أَسَارَتْ عَلَى أَبِيهَا أَنْ يَسْتَأْجِرَ مُوسَى مَا لَمْ تَأْتِ فِي شَأْنِ مُوسَى مَعَهَا : « وَلَمَّا وَرَدَ مَا مَدِينَةٍ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً

مِنَ النَّاسِ يَسْتَفُونُ ، وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ، قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ، قَالَتَا

عليه وسلم ، إذ رَمَتْ بِالظَّنِّ غَرَضَ الْيَقِينِ ، تَفَرُّسًا فِي النَّجِيِّ^(١) المصطفى
بالرسالة ، فحقَّ لها فيه الرجاء ، وزالت شبهة الشك بالاختبار ، وقبلها
العزير^(٢) في يوسف ، ثم الصديق^(٣) في الفاروق رحمة الله عليهما ، وأمير
المؤمنين في الحجاج ، وما حَسَدَ الشَّيْطَانُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خَامِلًا ، وَلَا شَرُفَ
بَغِيرِ سِجَافِكُمْ^(٤) ، غِبْطَةُ^(٥) يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الرَّجِيمُ أَذْبَرَ مِنْهَا ، وَلَهُ غُوَاةٌ
وَمِرْسَاةٌ^(٦) ، وَقَدْ قَلَّتْ حِيلُهُ ، وَوَهَنَ^(٧) كَيْدُهُ يَوْمَ كَيْتَ وَكَيْتَ ، وَلَا أَظُنُّ

لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ، فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ، فَقَالَ :
رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ، فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ ،
قَالَتْ : إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ، فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ
قَالَ لَا تَخَفْ ، نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، قَالَتْ إِحْدَاهُمَا : يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ
إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ، قَالَ : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكِ إِحْدَى
ابْنَتَيْ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَانِي حَجَجٍ ، فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ
وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْكَ ، سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ .

(١) أى في موسى الذى نأواه الله .

(٢) هو قطير العزيز الذى كان على خزائن مصر ، يشير إلى ما كان من أمراته دليجا لإدراودت
يوسف عن نفسه فأبى ، فاتهمته بأنه أرادها سوءا ، فسجن ثم حصص الحق وظهرت راءته ، فجعله
الملك على خزائن أرضه ، والقصة مشهورة ، ويقال ان قدوم يوسف عليه السلام مصر كان في عهد
الأسرة السادسة عشرة مدة حكم الملوك الرعاة ، ويقول المفسرون إن ملك مصر يومئذ كان الريان
ابن الوليد العمليقي .

(٣) يشير إلى اختيار أنى بكر لعمر رضى الله عنهما لتولى الخلافة قبل موته .

(٤) السحاب بالكسر والسحب بالفتح والكسر : الستر ، والمعنى ولا شرف الحامل دون أن
أن يكون في كسبكم ويستظل بظلكم . (٥) العطة : حسن الحال والمسرّة .

(٦) المرساة : أبحر السفينة الذى ترسى به ، وهو أكثر من ضم (خشبات يهرع بينها الرصاص المذاب
فتصير كصخرة) يشد بالحبال ويرسل في الماء فيمسك السفينة ويرسيها حتى لا تسير ، كنى بذلك عن
شدة تمسك الشيطان من أوليائه أولئك الذين يدسون له عند الحليفة وكيدون له .

(٧) وهن : ضعف ، وفعله كوعد وورث وكرم ، وكيت وكيت ويكسر آخرهما : أى كذا وكذا .

أَذْكَرَ لَهَا مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي صَالِحِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَفِي ثَقِيفٍ ، مَقَالًا هَجَمَ بِي الرَّجَاءُ لِعَدْلِهِ عَلَيْهِ ، بِالْحُجَّةِ فِي رَدِّهِ بِمَحْكَمِ التَّنْزِيلِ عَلَى لِسَانِ ابْنِ عَمِّهِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَدْ أَخْبَرَ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَايَةَ غُرِّ الْمَلَائِكَةِ^(١) مِنْ قَرِيشٍ عِنْدَ الْإِخْتِيَارِ وَالْإِفْتِخَارِ ، وَقَدْ نَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي مَنَاخِرِهِمْ ، فَلَمْ يَدْعُوا خَلْفَ مَا قَصَدُوا إِلَيْهِ مُوَسَّى^(٢) ، « وَقَالُوا : لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقُرَيْشِيِّينَ^(٣) عَظِيمٍ » فَوَقَعَ اخْتِيَارُهُمْ - عِنْدَ الْمِبَاهَاةِ بِنَفْخَةِ الْكِبَرِ وَكِبَرِ الْجَاهِلِيَّةِ - عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْمُخَزُومِيِّ وَأَبِي مَسْعُودٍ^(٤) الثَّقَفِيِّ ، فَصَارَا فِي الْإِفْتِخَارِ بِهِمَا صِنُونَيْنِ^(٥) ، مَا أَنْكَرَ اجْتِمَاعُهُمَا مِنَ الْأُمَّةِ مُنْكَرٌ ، فِي مَدِّ صَوْتِ الْقُرْآنِ ، وَمَبْلَغِ الْوَحْيِ ، وَإِنْ كَانَ لِيَقَالَ لِلْوَلِيدِ فِي الْأُمَّةِ يَوْمَئِذٍ « رَيْحَانَةُ قَرِيشٍ » ، وَمَا رَدَّ ذَلِكَ الْعَزِيزُ تَعَالَى إِلَّا بِالرَّحْمَةِ الشَّامِلَةِ فِي الْقَسَمِ السَّابِقِ ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : « أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ، نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ

(١) الملا : الجماعة . والفِر : المشهورون ، جمع أمر .

(٢) المواساة : المشاركة ، والسوية ، وأصلها الهمزة فقلت واوا تحفيفاً ، ويقال ما يؤاسي فلان فلانا : أى ما يشاركه ، وآسيته بنفسى : سويته (وآسيته بمالى : أثلته مه وجعلته فيه أسوة تكسر الهمزة وضمتها أى قدوة) ، وفى الحديث : « ما أحد عدى أعظم يداً من أبى بكر ، آسانى بنفسه وماله » وقد تقدم فى الجزء الأول فى كتاب عمر إلى أبى موسى : « آس بين الناس فى وجهك ومحلسك وعدلك » أى سوت بينهم واجعل كل واحد منهم أسوة خصمه . وفى كتاب على عليه السلام « آس بينهم فى اللحظة والظرة » فعنى الجملة : أنهم حين اختيارهم لم يدعوا وراء ما قصدوا إليه محلاً للتسوية بين من احاروهم وبين غيرهم ، فاختاروا رحلين لايسوتى بهما غيرها ولا يشاركهما أحد فى السودة ورمعة القدر ، وفى الأصل « موسى » وهو تحريف وصوابه « مواسى » كما رأيت .

(٣) مكة والطائف . (٤) هو عروة بن مسعود الثقفى .

(٥) إذا خرجت نخلتان ، أو ثلاث من أصل واحد ، فكل واحد منهن صنو ، والاثنان صنوان ، والجمع صنوان برفع النون .

مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وما قَدَّمْتَنِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ثَقِيفٌ فِي الْاِحْتِجَاجِ لَهَا ، وَإِنَّ لَهَا مَقَالًا رَجَبًا ، وَمَعَانِدَةً قَدِيمَةً ، إِلَّا أَنْ هَذَا مِنْ أَيْسَرِ مَا يَحْتَاجُ بِهِ الْعَبْدُ الْمُسْتَمِقُّ عَلَى سَيِّدِهِ الْمَغْضَبِ ، وَالْأَمْرُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : عَزَلَ أَمُّ أَقْرَ^(١) ، وَكَلَاهُمَا عَدْلٌ مُتَّبِعٌ ، وَصَوَابٌ مُعْتَدِلٌ ، وَالسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ .

قال نبأته : « فَأَتَيْتُ عَلَى الْكِتَابِ بِمَحْضَرِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَلَمَّا اسْتَوْعَبْتُهُ سَارِقَتُهُ النَّظَرَ مِنَ الْهَيْبَةِ مِنْهُ ، فَصَادَفَ لَحْظِي لَحْظَهُ ، فَقَالَ : اقْطَعْهُ وَلَا تُعْلِمَنَّ بِمَا كَانَ أَحَدًا ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ الْمَلِكِ فَشَأْنِي الْخَبْرَ بَعْدَ مَوْتِهِ » . (العقد الفريد ٣ : ٨)

٢٦٢ - كتاب الشعبي إلى الحجاج

وكتب الشعبي إلى الحجاج يسأله حاجة فاعتلَّ عليه ، فكتب إليه الشعبي : « وَاللَّهِ لَا عَذْرَئَتُكَ وَأَنْتَ وَالِي الْعِرَاقِ ، وَأَبْنُ عَظِيمٍ^(٢) الْقَرَّيْتَيْنِ » . فَقَضَى حَاجَتَهُ . (العقد الفريد ١ : ٢٧)

(١) في الأصل « قر » وهو تحريف .

(٢) هو عروة بن مسعود الثقفي - انظر ص ٢٦٤ - وكان عروة حدَّ الحجاج لأمه ، روى ابن خلكان في ترجمته نملًا عن المسعودي أن أم الحجاج هي الفارعة بنت ممام بن عروة بن مسعود الثقفي - انظر ج ١ : ص ١٢٣ .

٢٦٣ - كتاب امرأة إلى زوجها

(وكان مع الحجاج يحضر طعامه وهي في سوء حال)

روى أبو علي القالي في أماليه قال :

كان رجل من أهل الشام مع الحجاج يَحْضُرُ طعامه^(١) ، فكتب إلى امرأته يُعلمها بذلك ، فكتبت إليه :

أَيُّهْدَى لِي الْقِرْطَاسُ ، وَالْخُبْزُ حَاجَتِي وَأَنْتِ عَلَى بَابِ الْأَمِيرِ بَاطِنٌ^(٢)
إِذَا غَبِثَ لَمْ تَذْكُرِي صَدِيقًا وَلَمْ تُقِمِّي فَأَنْتِ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ ضَنِينٌ^(٣)
فَأَنْتِ كَكَلْبِ السَّوِّءِ جَوَّعَ أَهْلَهُ فَيُهْزَلُ أَهْلُ الْبَيْتِ وَهُوَ سَمِينٌ

(الأمالي ٢ : ١٣٨)

(١) حدث ابن زبادة في سرح العيون (ص ١١٨) عن كرم الحجاج قال :
« فأما كرمه ، فحكى أنه لما دخل المدينة فرق في أهلها عشرة آلاف دينار ، ثم قال : أينناكم وقد عاض المال الكثرة البوائف فاعذرونا ، فقال رجل : لا عذر الله من يعذرك ، وأنت أمير المصرين وابن عظيم القريتين ، فقال : صدقت ، واقترض أموالا من هناك من التجار فكان شيئا عظيما ، ولما ولي العراق كان يذم في كل يوم على ألف مائدة ، يجمع على كل مائدة عشرة أنفس ، وبطاف به في محفة (والحفنة كمخدة : مركب كالهودج إلا أنها لا تقب) على أيدي الرجال ، ويمر على القوم ، ويقول : يا أهل الشام ، اهشموا الخبز لثلاث يامد عليكم ، وقيل كان فعله هذا خاسا لأهل الشام وكان يرسل الرسل إلى الناس لحضور الطعام ، فكثر عليه ذلك فقال : أيها الناس رسل لي ليلكم السمس ، فإذا طلعت فاحضروا للعداء ، وإذا غربت فاحضروا للعتاء ، فكانوا يعملون ذلك . واسفل الناس يوما فقال : ما نال الناس قد قلوا ؟ فقام رجل وقال : يا أيها الأمير ، أنت أغنت الناس في بيوتهم عن الحضور إلى مائدتك ، فأعجمه ذلك وقال : احلس بارك الله عليك » .

وقال أبو العباس المبرد في الكامل (١ : ١٤٥) :

« وكان يطعم في كل يوم على ألف مائدة ، على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية ، وبطاف به في محفة على تلك الموائد لتفقد أمور الناس ، وعلى كل مائدة عشرة ، ثم يقول : يا أهل الشام ، اكسروا الخبز لثلاث يامد عليكم ، وكان له ساقيان أحدهما سقى الماء والعسل ، والآخر يسي اللبن » .

(٢) بطن ككرم فهو بطين : عظم بطنه ، أي وأنت مملوء البطن من كثرة الطعام .

(٣) أي بحبل .

٢٦٤ — كتاب البخترى بن أبى صفرة إلى أخيه المهلب

وروى أيضاً قال :

كَانَ الْبُخْتَرِيُّ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ مِنْ أَكْمَلِ فِتْيَانِ الْعَرَبِ جَمَالاً وَبَيَاناً
وَنَجْدَةً وَشِعْراً ، وَكَانَ بَنُو الْمُهَلَّبِ يَحْسُدُونَهُ لِفَضْلِهِ ، فَدَسَّتْ إِلَيْهِ أُمُّ وَلَدِ عُمَارَةَ
ابْنَ قَيْسِ الْيَحْمَدِيِّ فَرَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَبَى ، فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ عُمَارَةَ حَتَّى شَكَاهُ
إِلَى الْمُهَلَّبِ ، وَأَكْثَرَ فِي ذَلِكَ بَنُوهُ الْقَوْلَ ، فَعَرَفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِ الْمُهَلَّبِ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

جَفَوْتَ امْرَأً لَمْ يَنْبُ عِمَاثُ رِيْدُهُ	وَكُنْ إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ يُسَارِعُ
تَمُوتُ حِفَظاً دُونَ ضَيْمِكَ نَفْسُهُ	وَأَنْتَ إِلَى مَا سَاءَهِ مَطَالِعُ
كَأَنِّي أَخُو ذَنْبٍ ، وَمَا كُنْتُ مُذْنِباً	وَلَكِنْ دَهْتَنِي السَّارِيَاتُ الشَّبَادِعُ ^(١)
دَبَبَنْ (وَقد نَامَ الْغَفُولُ) بَعَيْنِنَا	إِلَيْكَ إِمَاءٌ مُوَسَّاتٌ جَزَالِعُ ^(٢)
فَأَوْقَدَنْ نِيرَانَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَنَا	جِهَاراً ، وَلَمْ تُسَدِّدْ عَلَى الْمَطَالِعِ
بَعَيْنِ أُمُوراً اسْتُ مَنَّ أَشَارُهَا	وَلَوْ جُعِلَتْ فِي سَاعِدَتِي الْجَوَامِعُ ^(٣)
أَصْبُو بَعْرَسَ الْجَارِ أَنْ كَانَ غَائِباً	وَتَمَكُّ التِّي تَسْتَكُّ مِنْهَا الْمَسَامِعُ ^(٤)
فَاسْتُ وَرَبُّ الْبَيْتِ أَصْبُو بِمَثَلِهَا	وَرَبِّي رَأَى مَا صَنَعْتُ وَسَامِعُ

(١) السادة : الدواهي والعارف والتمام ، جمع شبدعه وشدع بكسر الهمزة والدال .

(٢) امرأة مومس وهو موه : فاحرة أو محاهرة بالفجور « من المومس كوعد : وهو احكاك الشيء بالشيء حتى يجرده ، وأوهب : أمكنت من المومس » . والحوالع : جمع حালে ، وهي التي قد ألفت عنها الحياء ، حاب كفرح فهي حاملة وحالعه .

(٣) الحوامع : جمع حامعه وهي العل .

(٤) استكت المسمع : صمت وصافت « وعرس الرجل : امرأته .

فإن تلك عِزُّهُ الْيَحْمَدِيُّ وَأَخْتُهُ سَرَيْنٌ فَلَا قَاهِرَ الْيَسُّ خَالِعٌ^(١)
يَبِيتُ يُرَاعِي الْمَوَاسَاتِ إِذَا دَجَا الظُّلَامُ ، وَجَارُ الْبَيْتِ وَسَنَانُ هَاجِعٌ^(٢)
فَمَا أَنَا مِمَّنْ تَطَّيَّهَ خَرِيدُهُ وَلَوْ أَنَّهَا بَدَّرَتْ مِنَ الْأَفْقِ طَالِعٌ^(٣)
وَأِنِّي لَتَنْهَانِي خَلَاتِقُ أَرْبَعٍ عَنِ الْفُحْشِ فِيهَا لِلْكَرِيمِ رَوَادِعُ
حَيَاءٍ وَإِسْلَامٌ وَشَيْبٌ وَعِفَّةٌ وَمَا مَرَّ إِلَّا مَا حَبَّشَهُ الطَّبَائِعُ^(٤)
وَقَدْ كُنْتُ فِي عَصْرِ الشَّبَابِ مُجَانِبًا صِبَايَ ، فَأَنَّى الْآنَ وَالشَّيْبُ شَائِعُ
فَلَا تَقْطَعَنَّ مِنِّي وَسَائِجَ سُهْمَةٍ فَلَا يَصِلُ الْأَبْنَاءُ مَا أَنْتَ قَاطِعٌ^(٥)
وَكَافٍ بِأَجْرَامِي الْهَبَاجُ إِذَا التَّظَى شِهَابٌ مِنَ الْمَوْتِ الْمُحَرِّقِ لَا مِيعُ
تُبَّةٌ (وَعَهْدِ اللَّهِ) ، مَنَى مُشِيعًا صَبُورًا عَلَى اللَّأَوَاءِ وَالْمَوْتِ كَانِعٌ^(٦)
(الأمل ٢ : ١٣٨)

٢٦٥ - رسالة الحسن البصري إلى الحجاج

وقال أحمد بن يحيى المرتضى في كتابه « المنية والأمل » :

كتب الحجاج إلى الحسن البصري : « بلغنا عنك في القدر شيء »
فاكتب إلينا » فكتب إليه رسالة طويلة نحن ندكر منها أطرافاً :

-
- (١) الأليس : الحريء من كل شيء ، وصف من اليلس بالحرك وهو السحابة ، وحال : أي قد
خلع الحياء . (٢) دحا الليل : أظلم ، وسان : نائم ، وصف من الوسن بالحرك .
والهجو : اليوم لئلا . (٣) اعطاء : اسماله ، والحريده والحريد والحرد : الذكر لم يحس ،
والحفره الطويلة السكوت الحافضه الصوت المسره . (٤) حياه : مدحه وأعطاءه .
(٥) الوسائج : الأرحام المشاكه المديله ، جمع وشيعة ، وهي مأخوذه من وسائج الرماح وهي عروفيها ،
والسهمه : الفراة .
(٦) اللأواء : الأمده ، والموت كاح : أي استجمع للووب ، من كعت العباب كعب : صمت جاحها
للا مصاص .

• منها قوله : « سلام عليك أما بعدُ : فَإِنَّ الْأَمِيرَ أَصْبَحَ فِي قَلِيلٍ مِنْ كَثِيرٍ مَضَوْا ، وَالْقَلِيلُ مِنْ أَهْلِ الْخَيْرِ مَغْفُولٌ عَنْهُمْ ، وَفَدَّ أَدْرَكْنَا السَّلَفَ الَّذِينَ قَامُوا لِأَمْرِ اللَّهِ ، وَاسْتَنْثَوْا بِسُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمْ يُطِيلُوا حَقًّا ، وَلَا أَلْحَقُوا بِالرَّبِّ تَعَالَى إِلَّا مَا أَلْحَقَ بِنَفْسِهِ ، وَلَا يَحْتَجُّونَ إِلَّا بِمَا يَحْتَجُّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ : « وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ لِأَمْرٍ ثُمَّ حَالُ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ فِي السَّلَفِ يَذْكُرُ ذَلِكَ وَلَا يَجَادِلُ فِيهِ ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى أَمْرٍ وَاحِدٍ ، وَإِنَّمَا أَحْدَثْنَا الْكَلَامَ فِيهِ لَمَّا أَحْدَثَ النَّاسُ النُّكْرَةَ لَهُ ، فَلَمَّا أَحْدَثَ الْمُخْدَثُونَ فِي دِينِهِمْ مَا أَحْدَثُوهُ ، أَحْدَثَ اللَّهُ لِلْمَتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِ مَا يُطِيلُونَ بِهِ الْمُحَدَّثَاتِ ، وَيَحْذَرُونَ بِهِ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ :

ومنها قوله : فافهم أيها الأمير ما أقوله ، فَإِنَّ مَا يَنْهَى اللَّهُ عَنْهُ فَلَيْسَ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ لَا يَرْضَى مَا يُسْخِطُهُ مِنَ الْعِبَادِ ، لِأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ : « وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ » فَلَوْ كَانَ الْكُفْرُ مِنْ قِضَائِهِ وَقَدَرَهُ لَرْضَى عَنْ عَمَلِهِ .

ومنها قوله : ولو كان الأمر كما قال المخطئون لما كَانَ لِمُتَقَدِّمِ حَمْدِ لِمَا عَمِلَ ، وَلَا عَلَى مُتَأَخِّرِ لَوْمٍ ، وَلَقَالَ تَعَالَى : « جَزَاءُ بِمَا عَمِلْتُمْ أَيْدِيهِمْ » وَلَمْ يَقُلْ : « جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » .

ومنها قوله : « إِنَّ أَهْلَ الْجَهْلِ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَلَوْ نَظَرُوا إِلَى مَا بِلِ الْآيَةِ وَمَا بَعْدَهَا ، لَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُضِلُّ إِلَّا بِتَقَدُّمِ الْفَسْقِ وَالْكَفْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى : « وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ » أَيْ يَحْكُمُ بِضَلَالِهِمْ ،

وقال : « فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ » . « وَمَا يَضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ » .
ومنها قوله : واعلم أيها الأمير أن المخالفين لكتاب الله وعدله يقولون
في أمر دينهم بزعمهم على القضاء والقدر ، ثم لا يَرْضَوْنَ في أمر دينهم
إِلَّا بِالاجتهاد والبحث والطلب والأخذ بالحزم فيه ، ولا يعملون في أكثر
دينام على القضاء والقدر .

ومنها قوله محتجا بقوله تعالى : « قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ
دَسَّاهَا »^(١) « فلو كان هو الذي دَسَّاهَا لما خَيَّبَ نفسه ، تَعَالَى اللَّهُ عما يقول
الظالمون غُلُوبًا كِبَرًا . (المسه والأمل ص ١٢)

٢٦٦ — كتاب بشر بن مروان إلى أخيه عبد العزيز

وكتب بشر بن مروان إلى أخيه عبد العزيز بن مروان يعتذر
عن كتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لولا الهفوة لم أحتج إلى العذر ، ولم يكن
لك في قبوله مني الفضل ، ولو احتمل الكتاب أكثر مما ضمته لزدت
فيه ، وبقيّة^(٢) الأكابر على الأصاغر من شيم الأكارم ، ولقد أحسن
مستكين الدارمي حيث يقول :

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنْ مِنْ لَا أَخَالَه كَسَاعٍ إِلَى الْهَيْجَا بغير سلاح^(٣)

(١) زكاهها : أي ركني المس وطهرها من الذنوب ، وأعماها بالعلم والعمل ، دسها : نقصها وأخفاها

الحالة والسوق . (٢) أي إبقاء .

(٣) الهيجاء : الحرب .

وَأَنَّ أَبْنَ عَمِّ الْمَرْءِ (فَاعْلَمْ) جَنَاحُهُ وهل يَنْهَضُ الْبَازِي بغير جَنَاحٍ؟
(مفتاح الأَمْكَار ص ١٧٧)

٢٦٧ - كُتِبَ بَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَأَخِيهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ

وَرَوَى الطَّبْرِيُّ قَالَ :

كُتِبَ الْحُجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُزَيِّنُ لَهُ بَيْعَةَ الْوَلِيدِ ، وَأَوْفَدَ وَفْدًا فِي ذَلِكَ عَلَيْهِمْ عِمْرَانُ بْنُ عِصَّامِ الْعَنْزِيِّ ، فَقَامَ عِمْرَانُ خَطِيبًا فَتَكَلَّمَ وَتَكَلَّمَ الْوَفْدُ ، وَحَثُّوا عَبْدِ الْمَلِكِ وَسَأَلُوهُ ذَلِكَ :

وَلَمَّا أَرَادَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَنْ يَخْلَعَ أَخَاهُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَيُبَايِعَ لَابْنَهُ الْوَلِيدَ ، كُتِبَ إِلَى أَخِيهِ :

« إِنَّ رَأَيْتَ أَنَّ تَصَيَّرَ هَذَا الْأَمْرُ لِأَبْنِ أَخِيكَ »

فَأَتَى ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ :

« فَاجْعَلْهَا لَهُ مِنْ بَعْدِكَ ، فَإِنَّهُ أَعَزُّ الْخَلْقِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ »

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

« إِنِّي أَرَى فِي أَبِي بَكْرٍ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَا تَرَى فِي الْوَلِيدِ »

فَقَالَ عَبْدِ الْمَلِكِ : اللَّهُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ قَطَعَنِي فَاقْطَعْهُ ، فَكُتِبَ إِلَيْهِ

عَبْدُ الْمَلِكِ : « ائْجَلْ خَرَجَ مَصْرَ » .

فَكُتِبَ إِلَيْهِ عَبْدِ الْعَزِيزِ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي وَإِيَّاكَ قَدْ بَلَّغْنَا سِنًا لَمْ يَبْلُغْهَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ

بيتك إلا كان بقاؤه قليلا ، وإني لا أدري ولا تدري : أينما يأتيه الموت
أولا ؟ فإن رأيت أن لا تُعْثَّ (١) على بقية عمري فافعل .
فَرَّقَ له عبد الملك وقال : لعمري لا أُعْثُّ عليه بقية عمره ، ثم إن عبدالعزيز
واقته منيته (سنة ٨٥ هـ) فبايع عبد الملك لابنه الوليد ، ثم لسليمان من بعده ،
وكتب بيعته لهما إلى البلدان . (تاريخ الطبري ٨ : ٥٤)

٣٦٨ — بين عبد الملك وهشام بن إسماعيل

وكان عامل عبد الملك على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي ، فكتب
إليه عبد الملك أن يدعو الناس لبيعة الوليد وسليمان ، فدعا الناس إلى البيعة
فبايعوا ودعا سعيد بن المسيب (٢) أن يبايع لهما ، فأبى ، وقال : لا حتى أنظر ،
فغضبه هشام ستين سوطا وطاف به في ثُبَّان (٣) شَعَرٍ وجبسه ، وكتب إلى
عبد الملك يخبره بخلافه ، وما كان من أمره .

(١) أى أن لا تُفسد .

(٢) قال ابن خلكان في ترجمته : « هو أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو
ابن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المدني أحد الفقهاء السعة بالمدينة ، وكان سيد التابعين من الطراز
الأول ، جمع بين الحديث والفقه والرهدة والعبادة والورع ، وكانت ولادته لستين مضتا من خلافة عمر رضي
الله عنه ، وتوفي بالمدينة سنة إحدى وأربعين وقيل ثلاث وقيل أربع وقيل خمس وتسعين وقيل
خمس ومائة للهجرة ، والمسبب بفتح الياء المشددة ، وروى عنه أنه كان يقول بكسر الياء وشول : سبب
الله من يسبب أبني ج ١ : ص ٢٠٦ — وروى ياقوت في معجم البلدان قال . « لما مات السادة —
عبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص — صار الفقه في جميع البلدان إلى
الموالي ، فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح ، وفقيه أهل اليمن طاوس ، وفقيه أهل اليمامة يحيى
ابن أبي كثير ، وفقيه أهل البصرة الحسن البصري ، وفقيه أهل الكوفة إبراهيم النخعي ، وفقيه أهل
الشام مكحول ، وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني ، إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي ،
فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن المسيب » — انظر ج ٣ : ص ٤١٢ .

(٣) الثبان كرماء : سراويل صغيرة مقدار سببر يستر العورة المعلقة فقط يكون للبلاتين .

بودى أن أنقل ما حواه من الرسائل ، يئد أنه حال بيني وبين ذلك حائلان :
رداءة الخط ، وسوء التصوير ، فقد غشى أكثر صفحاته بظل أسود
كثيف من أثر التصوير ، مما حسر معه بصري عن تبين الحروف بجلاء
ووضوح ، ولما كان ديدني أن أبشر عملي بنفسى ، دون أن أركن فيه إلى
أحد سواى ، لم يستغنى أن أعهد إلى النساخ بنسخها منه ، إذ كانت عاقبة
الاستنساخ أن أعتهد ما نسخ ، وأراجع ثانياً فى دقة واستثبات ، وأرجو
أن تتاح لبعض أدبائنا الأماثل فرصة موفقة ، فينشر للناس هذا السفر
الجليل ، ميمطاً عنه اللثام ، معبداً إليه السبيل .

والله أسأل أن يمنحنا شرف الذؤوب على خدمة لئمة قرآنه ونبيّه ،
وأن يزوى عنا ما قد يعتورنا من الملل والكلال ، فى إحياء كنوزها
الدفينة ، واجتلاء جواهرها المستجينة ، وأن يرزقنا ثواب الدنيا وحسن ثواب
الآخرة ، عليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، وإليه المصير .

أحمد زكى صفوت

وحرر بالقاهرة فى { رجب ١٣٥٦ هـ
سبتمبر ١٩٣٧ م }



فهرس

مآخذ الرسائل فى هذا الجزء

الأغاني : لأبى الفرج الأصبهاني : الجزء الثانى - الخامس - السادس -

: الثامن - الحادى عشر - السادس

: عشر - الثامن عشر

تاريخ الأمم والملوك : لأبى جعفر : الجزء الرابع - السادس - السابع

أبن جرير الطبرى : الثامن - التاسع

تاريخ الكامل : لعز الدين بن الأثير : الجزء الثالث - الرابع

صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : الجزء الأول - السادس - التاسع

: العاشر

الكامل : المبرد : الجزء الأول - الثانى

العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث

زهى الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثالث

البيان التبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث

وفيات الأعيان لابن خلكا : » الأول - الثانى

شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثالث - الرابع

صحيح الإمام البخارى : الجزء الأول

مروج الذهب : للمسعودى : » الثانى

معجم البلدان : لياقوت الحموى : » الثانى - السادس

الإنامة والسياسة : لابن قتيبة : » الأول - الثانى

نهاية الأرب : لشهاب الدين النويري : الجزء السابع
الأمالى : لأبي على القالى : الجزء الثانى - ذيل الأمالى
مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : « الثانى
جمهرة الأمثال : لأبى هلال العسكرى : « «
عيون الأخبار : لابن قتيبة : « الخامس
تهذيب تاريخ ابن عساكر : « الأول
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار : « «
للمقرئزى

اختيار المنظوم والمنثور لابن طيفور : « الثانى عشر - الثالث عشر
نثر الدرر : لمنصور بن الحسين الآبى : « الثالث
غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائص :
الفاضحة للوطواط
المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى :
ثمرات الأبرار : لابن حجة الحموى :
كتاب الخراج : لأبى يوسف :
سرح العيون ، شرح رسالة أبى زيد :
لأبى نباتة المصرى
أدب الكتاب : لأبى بكر محمد بن :
يحيى الصولى

سيرة عمر بن عبد العزيز: لابن الجوزي:

الحسن البصري : » » :

فتوح البلدان : للبلاذري :

الفخري : لابن طباطبا :

كتاب الوزراء والكتاب :

لابن عبدوس الجهشياري :

مقدمة ابن خلدون :

خاص الخاص : للشعالبي :

مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح :

رسائل البلغاء : لمحمد كرد علي بك :

فهرس الرسائل

الباب الثالث

الرسائل فى العصر الأموى

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
خلافة الحسن ومعاوية		
كتاب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن على رضى الله عنهما	١	١
كتاب الحسن إلى معاوية	٢	٣
رد معاوية على الحسن	٣	٤
كتاب ابن عباس إلى معاوية	٤	٤
رد معاوية على ابن عباس	٥	٥
كتاب الحسن إلى معاوية	٦	٦
رد معاوية على الحسن	٧	٧
صورة أخرى لكتاب الحسن إلى معاوية	٨	٨
صورة أخرى لرد معاوية على الحسن	٩	١٠
كتاب معاوية إلى الحسن	٨	١٢
رد الحسن على معاوية	٩	١٣
كتاب معاوية إلى عماله	١٠	١٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
الصلح بين الحسن ومعاوية	١١	١٤
كتاب الحسن إلى معاوية بعد الصلح	١٢	١٦
كتاب معاوية إلى ابن عباس	١٣	١٧
رد ابن عباس على معاوية	١٤	١٧
كتاب معاوية إلى الحسين بن علي	١٥	١٨
رد الحسين على معاوية	١٦	١٩
كتاب الحسين بن علي إلى معاوية	١٧	٢٠
رد معاوية على الحسين	١٨	٢١
كتاب الحسين بن علي إلى معاوية	١٩	٢٢
رد معاوية على الحسين	٢٠	٢٢
كتاب محمد بن الحنفية إلى الحسين	٢١	٢٤
» الحسن بن علي إلى أهل البصرة	٢٢	٢٥
» ابن عباس إلى مجبرة الشام	٢٣	٢٥
» معاوية إلى عمرو بن العاص	٢٤	٢٦
رد عمرو على معاوية	٢٥	٢٦
كتب بين معاوية وبسر بن أبي أرطاة وبين زياد ابن أبيه	٢٦	٢٧
كتاب معاوية إلى زياد	٢٧	٢٩
رد زياد على معاوية	٢٨	٣٠
رد معاوية على زياد	٢٩	٣١
رد زياد على معاوية	٣٠	٣٣
كتاب الحسن بن علي إلى زياد ابن أبيه	٣١	٣٥
رد زياد على الحسن	٣٢	٣٦

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد الحسن على زياد	٣٣	٣٦
كتاب معاوية إلى زياد	٣٤	٣٧
كتاب زياد إلى معاوية	٣٥	٣٩
رد معاوية عليه	٣٦	٣٩
كتاب معاوية إلى زياد	٣٧	٣٩
رد زياد عليه	٣٨	٤٠
كتاب زياد إلى الحكم بن عمرو الغفاري	٣٩	٤٠
رد الحكم عليه	٤٠	٤٠
رد زياد عليه	٤١	٤١
كتاب المغيرة بن شعبة إلى معاوية	٤٢	٤١
رد معاوية عليه	٤٣	٤٢
بين معاوية والمغيرة بن شعبة	٤٤	٤٣
كتاب المستورد بن عانة الخارجي إلى سماك بن عبيد	٤٥	٤٣
كتاب حبيب بن مسلمة إلى أهل تخلص	٤٦	٤٤
عهد حبيب بن مسلمة لأهل تخلص	٤٧	٤٥
كتاب زياد إلى معاوية بن شأن حجر بن عدى	٤٨	٤٦
كتاب نعيم بن هاني إلى معاوية	٤٩	٤٩
كتاب معاوية إلى زياد	٥٠	٤٩
رد زياد على معاوية	٥١	٥٠
كتاب معاوية إلى زياد	٥٢	٥٠
» » » »	٥٣	٥١
» زياد إلى معاوية	٥٤	٥٢

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب السيدة عائشة إلى معاوية	٥٥	٥٢
« عبد الله بن الزبير إلى معاوية	٥٦	٥٣
رد معاوية على ابن الزبير	٥٧	٥٣
رد ابن الزبير على معاوية	٥٨	٥٣
كتاب سعيد بن العاص إلى معاوية	٥٩	٥٤
« معاوية إلى مروان بن الحكم	٦٠	٥٥
« سعيد بن العاص إلى معاوية	٦١	٥٦
رد معاوية على سعيد	٦٢	٥٦
كتاب معاوية إلى ابن عباس	٦٣	٥٧
« إلى عبد الله بن جعفر	٦٤	٥٨
« إلى الحسين	٦٥	٥٨
« إلى ابن الزبير	٦٦	٥٩
رد ابن عباس على معاوية	٦٧	٥٩
رد عبد الله بن جعفر على معاوية	٦٨	٦٠
رد عبد الله بن الزبير على معاوية	٦٩	٦٠
رد الحسين على معاوية	٧٠	٦١
بين معاوية وسعيد بن العاص	٧١	٦٨
كتاب معاوية إلى ابنه يزيد	٧٢	٦٩
خلافة يزيد بن معاوية		
كتاب يزيد إلى الوليد بن عتبة	٧٣	٧٣
صورة أخرى		٧٤
كتاب أهل الكوفة إلى الحسين بن علي	٧٤	٧٥
كتاب نان	٧٥	٧٧

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب ثالث	٧٦	٧٧
رد الحسين على أهل الكوفة	٧٧	٧٨
كتاب مسلم بن عقيل إلى الحسين	٧٨	٧٨
رد الحسين على مسلم	٧٩	٧٩
كتاب عبد الله بن مسلم الحضرمي إلى يزيد	٨٠	٧٩
كتاب يزيد إلى عبيد الله بن زياد	٨١	٨٠
كتاب الحسين إلى أهل البصرة	٨٢	٨١
كتاب مسلم بن عقيل إلى الحسين	٨٣	٨٢
كتاب عبيد الله بن زياد إلى يزيد	٨٤	٨٣
رد يزيد على ابن زياد	٨٥	٨٤
كتاب عبد الله بن جعفر إلى الحسين	٨٦	٨٥
كتاب من عمرو بن سعيد بن العاص إلى الحسين	٨٧	٨٥
رد الحسين على عمرو بن سعيد	٨٨	٨٦
كتاب الحسين إلى أهل الكوفة	٨٩	٨٧
كتاب ابن زياد إلى الحر بن يزيد	٩٠	٨٧
كتاب عمر بن سعد إلى ابن زياد	٩١	٨٨
رد ابن زياد على عمر بن سعد	٩٢	٨٩
كتاب آخر من ابن زياد إلى عمر بن سعد	٩٣	٨٩
» عمر بن سعد إلى ابن زياد	٩٤	٩٠
» ابن زياد إلى عمر بن سعد	٩٥	٩١
» عبد الله بن عمرو إلى يزيد	٩٦	٩٢
» يزيد إلى ابن زياد	٩٧	٩٣

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عبد الله بن الزبير إلى يزيد	٩٨	٩٣
» يزيد إلى أهل المدينة	٩٩	٩٤
» بنى أمية بالمدينة إلى يزيد	١٠٠	٩٥
» مسلم بن عقبة إلى يزيد	١٠١	٩٥
بعد موت يزيد		
الخوارج وابن الزبير		
كتاب نجدة بن عامر إلى نافع بن الأزرق	١٠٢	٩٨
رد نافع على نجدة	١٠٣	١٠١
كتاب ابن عباس إلى نجدة بن عامر	١٠٤	١٠٣
» نافع إلى خوارج البصرة	١٠٥	١٠٤
» » » عبد الله بن الزبير	١٠٦	١٠٥
» من عبد الله بن الزبير إلى المهلب بن أبي صفرة	١٠٧	١٠٦
» المهلب إلى الحارث بن عبد الله	١٠٨	١٠٨
رد الحارث بن عبد الله عليه	١٠٩	١٠٩
كتاب المهلب إلى الحارث بن عبد الله	١١٠	١٠٩
رد الحارث بن عبد الله عليه	١١١	١١٠
كتاب مصعب بن الزبير إلى المغيرة بن المهلب	١١٢	١١٢
كتاب عمر بن عبيد الله إلى مصعب بن الزبير	١١٣	١١٣
طلب التوابين بدم الحسين رضى الله عنه		
كتاب سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة بن اليمان	١١٤	١١٤
رد سعد بن حذيفة على ابن صرد	١١٥	١١٦

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
١١٧	١١٦	كتاب الثننى بن مخزبة إلى ابن صرد
١١٨	١١٧	كتاب عبد الله بن يزيد إلى ابن صرد
١١٩	١١٨	رد ابن صرد عليه
طلب المختار بن أبي عبيد الثقفى بدم الحسين رضى الله عنه		
١٢١	١١٩	كتاب المختار إلى عبد الله بن عمر
١٢٢	١٢٠	كتاب ابن عمر إلى عبد الله بن يزيد وإبراهيم بن طلحة
١٢٣	١٢١	كتاب المختار إلى أصحاب ابن صرد
١٢٤	١٢٢	» إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، افتعله المختار على محمد بن الحنفية
١٢٧	١٢٣	كتاب عبد الرحمن بن سعيد بن قيس إلى المختار
١٢٧	١٢٤	رد المختار على عبد الرحمن بن سعيد
١٢٨	١٢٥	كتاب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد
١٢٨	١٢٦	» » بالأمان لعمر بن سعد بن أبي وقاص
١٢٩	١٢٧	» » إلى محمد بن الحنفية
١٣٠	١٢٨	» » مالك بن مسمع وزيد بن عمرو
١٣١	١٢٩	» » الأحنف بن قيس
١٣٣	١٣٠	» » ابن الزبير
١٣٤	١٣١	» » ابن الزبير
١٣٦	١٣٢	» » » » »
١٣٦	١٣٣	رد ابن الزبير على المختار
١٣٨	١٣٤	كتاب المختار إلى ابن الحنفية
١٣٨	١٣٥	رد ابن الحنفية على المختار
١٣٩	١٣٦	كتاب ابن الحنفية إلى الشيعة بالكوفة

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عبد الله بن الزبير إلى عبد الله بن عباس	١٣٧	١٤٠
رد ابن عباس عليه	١٣٨	١٤٢
خلافة عبد الملك بن مروان		
كتاب عبد الملك إلى عمرو بن سعيد بن العاص	١٣٩	١٤٣
رد عمرو بن سعيد على عبد الملك	١٤٠	١٤٤
حروب الخوارج الأزارقة		
كتاب خالد بن عبد الله بن أسيد إلى عبد الملك بن مروان	١٤١	١٤٥
رد عبد الملك عليه	١٤٢	١٤٦
كتاب عبد الملك بن مروان إلى أخيه بشر	١٤٣	١٤٧
» خالد بن عبد الله بن أسيد إلى عبد الملك	١٤٤	١٤٨
» عبد الملك إلى أخيه بشر	١٤٥	١٤٩
» » » » » »	١٤٦	١٥٠
» » » » » »	١٤٧	١٥١
» خالد بن عبد الله بن أسيد إلى المرفصين من الجند	١٤٨	١٥٢
كتاب المرفصين إلى عمرو بن حريث	١٤٩	١٥٣
رد عمرو بن حريث عليهم	١٥٠	١٥٤
كتاب عبد الملك بن مروان إلى أخيه عبد العزيز	١٥١	١٥٤
» عبد الله بن عمرو إلى عبد الملك بن مروان	١٥٢	١٥٥
» محمد بن الحنفية إلى عبد الملك بن مروان	١٥٣	١٥٦
رد عبد الملك على ابن الحنفية	١٥٤	١٥٦
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	١٥٥	١٥٧

الرسالة	رقم لرسالة	رقم الصفحة
كتاب الحجاج إلى عبد الملك	١٥٦	١٥٧
» خالد بن أبان إلى موسى بن نصير	١٥٧	١٥٨
» الحجاج إلى عبد الملك	١٥٨	١٥٨
» موسى بن نصير إلى عبد العزيز بن مروان	١٥٩	١٥٩
رد عبد العزيز على موسى	١٦٠	١٦٠
رد موسى على عبد العزيز	١٦١	١٦١
كتاب عبد الملك إلى عبد العزيز	١٦٢	١٦١
رد عبد العزيز على عبد الملك	١٦٣	١٦٢
كتاب عبد العزيز إلى عبد الملك	١٦٤	١٦٣
رد عبد الملك على عبد العزيز	١٦٥	١٦٣
كتاب الحجاج إلى المهلب	١٦٦	١٦٣
» » » »	١٦٧	١٦٤
رد المهلب على الحجاج	١٦٨	١٦٤
كتاب الحجاج إلى المهلب	١٦٩	١٦٥
رد المهلب على الحجاج	١٧٠	١٦٥
كتاب الحجاج إلى المهلب	١٧١	١٦٧
رد المهلب على الحجاج	١٧٢	١٦٨
كتاب الحجاج إلى المهلب	١٧٣	١٧٠
رد المهلب على الحجاج	١٧٤	١٧٠
كتاب الحجاج إلى عتاب بن ورقاء	١٧٥	١٧١
» المهلب إلى الحجاج	١٧٦	١٧١
» عبدة إلى الحجاج	١٧٧	١٧٢

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	١٧٨	١٧٢
» الحجاج إلى المهلب	١٧٩	١٧٣
» أئى خالد القناني إلى قطرى بن العجاءة	١٨٠	١٧٤
» قطرى إلى سبرة بن الجعد	١٨١	١٧٤
» سبرة بن الجعد إلى الحجاج	١٨٢	١٧٦
» الحجاج إلى قطرى بن العجاءة	١٨٣	١٧٧
رد قطرى بن العجاءة على الحجاج	١٨٤	١٧٩
كتاب عبد الملك إلى الحجاج	١٨٥	١٨١
» المهلب إلى الحجاج	١٨٦	١٨٢
رد الحجاج على المهلب	١٨٧	١٨٣
رد المهلب على الحجاج	١٨٨	١٨٣
كتاب الحجاج إلى المهلب	١٨٩	١٨٥
رد المهلب على الحجاج	١٩٠	١٨٦
كتاب المهلب إلى الحجاج	١٩١	١٨٧
رد الحجاج على المهلب	١٩٢	١٨٨

حرب الخنزارج الشيبية

كتاب شبيب بن يزيد إلى صالح بن مسرح	١٩٣	١٨٩
رد صالح بن مسرح على شبيب	١٩٤	١٩٠
كتاب الحجاج إلى سفيان بن أبي المالءة	١٩٥	١٩١
» سفيان بن أبي المالءة إلى الحجاج	١٩٦	١٩٢
رد الحجاج على ابن أبي المالءة	١٩٧	١٩٣
كتاب الحجاج إلى سبرة بن أبيجر	١٩٨	١٩١٠

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
١٩٣	١٩٩	كتاب الحجاج إلى الجزل بن سعيد
١٩٤	٢٠٠	» الجزل بن سعيد إلى الحجاج
١٩٦	٢٠١	رد الحجاج على الجزل بن سعيد
١٩٦	٢٠٢	كتاب ماذر واسب إلى عروة بن المغيرة بن شعبة
١٩٧	٢٠٣	» عروة بن المغيرة بن شعبة إلى الحجاج
١٩٧	٢٠٤	» الحجاج إلى جند عبد الرحمن بن الأشعث
١٩٩	٢٠٥	» » إلى ابن الأسعد
١٩٩	٢٠٦	» عثمان بن قطن إلى الحجاج
٢٠٠	٢٠٧	رد الحجاج على ابن قطن
٢٠٠	٢٠٨	كتاب مطرف بن المغيرة بن سبعة إلى الحجاج
٢٠١	٢٠٩	» ماذر واسب إلى الحجاج
٢٠١	٢١٠	» الحجاج إلى عبد الملك بن مروان
٢٠٢	٢١١	» » إلى جند الشام
٢٠٣	٢١٢	» » إلى الحكم بن أيوب
٢٠٤	٢١٣	» عمران بن حطان إلى الحجاج
		فتنة محارب بن المغيرة بن شعبة
٢٠٥	٢١٤	كتاب مطرف إلى أخيه حمزة
٢٠٥	٢١٥	» » إلى سويد بن سرحان التقي وبكير بن هرون البجلي
٢٠٦	٢١٦	» البراء بن قبيصة إلى الحجاج
٢٠٧	٢١٧	رد الحجاج على البراء
٢٠٧	٢١٨	كتاب الحجاج إلى قيس بن سعد البجلي
٢٠٨	٢١٩	» قيس بن سعد إلى الحجاج

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب الحجاج إلى عدى بن وتاد	٢٢٠	٢٠٨
» » » » » »	٢٢١	٢٠٩
إلى خالد بن عتاب	٢٢٢	٢٠٩
رد خالد على الحجاج	٢٢٣	٢١٠
فتنة ابن الأشعث		
كتاب الحجاج إلى عبيد الله بن أبي بكرة	٢٢٤	٢١١
» » إلى عبد الملك	٢٢٥	٢١٢
رد عبد الملك على الحجاج	٢٢٦	٢١٣
كتاب الحجاج إلى ابن الأشعث	٢٢٧	٢١٤
» آخر من الحجاج إلى ابن الأشعث	٢٢٨	٢١٥
» ثالث من الحجاج إليه	٢٢٩	٢١٥
كتب بين ابن الأشعث والحجاج وصاحب اليمن وعبد الملك	٢٣٠	٢١٦
كتاب من ابن الأشعث إلى الحجاج - كتبه ابن القرية	٢٣١	٢١٩
رد الحجاج على ابن الأشعث	٢٣٢	٢٢١
كتاب المهلب إلى ابن الأشعث	٢٣٣	٢٢٢
» » إلى الحجاج	٢٣٤	٢٢٣
» » الحجاج إلى عبد الملك	٢٣٥	٢٢٤
» » إلى قتيبة بن مسلم	٢٣٦	٢٢٦
» » عبد الملك إلى الحجاج	٢٣٧	٢٢٦
» » » » » »	٢٣٨	٢٢٧
رد الحجاج على عبد الملك	٢٣٩	٢٠٨
كتب الحجاج إلى رزيق	٢٤٠	٢٠٥

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٢٣١	٢٤١	كتاب عبد الملك إلى الحجاج
٢٣١	٢٤٢	» الحجاج إلى قتيبة بن مسلم
٢٣١	٢٤٣	رد قتيبة على الحجاج
٢٣٢	٢٤٤	كتاب الحجاج إلى المهلب
٢٣٣	٢٤٥	» المهلب إلى حريث بن ققطبة
٢٣٣	٢٤٦	» يزيد بن المهلب إلى الحجاج
٢٣٥	٢٤٧	كتب بين الحجاج وعبد الملك ويزيد والمنصل أبي المهلب
٢٣٨	٢٤٨	كتاب الحجاج إلى أعراب قطعوا الطريق
٢٣٨	٢٤٩	كتاب الحجاج إلى عبد الملك
٢٣٩	٢٥٠	» » » »
٢٤٠	٢٥١	» » » »
٢٤١	٢٥٢	» عمر بن عبد العزيز إلى عبد الملك
٢٤١	٢٥٣	» عبد الملك إلى ابن مسعدة
٢٤٢	٢٥٤	رد مسعدة عليه
٢٤٢	٢٥٥	كتاب عبد الملك إلى يحيى بن خالد
٢٤٣	٢٥٦	» الحجاج إلى عبد الملك
٢٤٤	٢٥٧	رد عبد الملك على الحجاج
٢٤٤	٢٥٨	كتاب عبد الملك إلى الحجاج
٢٤٩	٢٥٩	رد الحجاج على عبد الملك
٢٥١		رواية أخرى لكتاب عبد الملك
٢٥٢	٢٦٠	كتاب عبد الملك إلى الحجاج
٢٥٩	٢٦١	رد الحجاج على عبد الملك
٢٦٥	٢٦٢	كتاب الشعبي إلى الحجاج

رقم الصفحة	رقم الرسالة	
٢٦٦	٢٦٣	كتاب امرأة إلى زوجها وكان مع الحجاج
٢٦٧	٢٦٤	» البختري بن أبي صفرة إلى أخيه المهلب
٢٦٨	٢٦٥	رسالة الحسن البصري إلى الحجاج
٢٧٠	٢٦٦	كتاب بشر بن مروان إلى أخيه عبد العزيز
٢٧١	٢٦٧	كتب بين عبد الملك وأخيه عبد العزيز
٢٧٢	٢٦٨	بين عبد الملك وهشام بن إسماعيل
		خلافة الوليد بن عبد الملك
٢٧٣	٢٦٩	كتاب الحجاج إلى الوليد
٢٧٤	٢٧٠	» » » »
٢٧٥	٢٧١	» شرح إلى مديق له
٢٧٥	٢٧٢	» الحجاج إلى قتيبة بن مسلم
٢٧٦	٢٧٣	بين الحجاج وقتيبة
٢٧٧	٢٧٤	» الوليد وعمر بن عبد العزيز
٢٧٨	٢٧٥	كتب بين الحجاج والوليد وسليمان بن عبد الملك
٢٨٢	٢٧٦	كتاب الحجاج إلى قتيبة
٢٨٣	٢٧٧	» » » »
٢٨٣	٢٧٨	رد قتيبة على الحجاج
٢٨٣	٢٧٩	كتاب الحجاج إلى قتيبة
٢٨٤	٢٨٠	» » » »
٢٨٤	٢٨١	» قتيبة إلى الحجاج رده عليه
٢٨٥	٢٨٢	» الحجاج إلى الوليد
٢٨٥	٢٨٣	» » » »

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٢٨٦	٢٨٤	رد الوليد على الحجاج
٢٨٦	٢٨٥	كتاب مسلمة بن عبد الملك إلى الوليد
٢٨٦	٢٨٦	» سليمان بن عبد الملك إلى الحجاج
٢٨٨	٢٨٧	رد الحجاج على سليمان
٢٩٠	٢٨٨	كتاب الحجاج إلى سليمان
٢٩١	٢٨٩	بين عمر بن عبد العزيز والوليد والحجاج
٢٩٢	٢٩٠	كتاب الحجاج إلى الوليد
٢٩٣	٢٩١	» الوليد إلى قتيبة بن مسلم
٢٩٤	٢٩٢	» عروة بن الزبير إلى الوليد
٢٩٤	٢٩٣	رد الوليد على عروة
٢٩٤	٢٩٤	كتاب ملك الروم إلى الوليد ورد الفرزدق عليه
٢٩٥	٢٩٥	» الوليد إلى أخيه سليمان
٢٩٦	٢٩٦	رد سليمان على الوليد
٢٩٦	٢٩٧	رد الوليد على سليمان
		خلافة سليمان بن عبد الملك
٢٩٧	٢٩٨	كتاب سليمان بن عبد الملك إلى عامله بالأردن
٢٩٨	٢٩٩	كتب من قتيبة بن مسلم إلى سليمان بن عبد الملك
٣٠٠	٣٠٠	رواية أخرى
٣٠١	٣٠٠	كتاب يزيد بن المهلب إلى سليمان بن عبد الملك
٣٠٢	٣٠١	ما قاضى عليه سليمان بن عبد الملك موسى بن نصير
٣٠٤	٣٠٢	كتاب سليمان بن عبد الملك إلى نقر بإفريقية
٣٠٥	٣٠٣	كتاب سليمان إلى عبد الله بن موسى بن نصير
٣٠٥	٣٠٤	» » إلى عبد العزيز بن موسى بن نصير

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عمر بن عبد العزيز الوراق إلى أبي بكر بن حزم	٣٠٥	٣٠٦
عهد سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز بالخلافة	٣٠٦	٣٠٧
صورة أخرى		٣٠٧
خلافة عمر بن عبد العزيز		
كتب عدى بن أرطاة إلى البصرة إلى عمر بن عبد العزيز	٣٠٧	٣١٠
رد عمر على كتابه	٣٠٨	٣١١
كتاب عدى بن أرطاة إليه	٣٠٩	٣١١
رد عمر على كتابه	٣١٠	٣١١
كتب عدى بن أرطاة إليه	٣١١	٣١٢
رد عمر على كتابه	٣١٢	٣١٣
كتاب عدى بن أرطاة	٣١٣	٣١٣
» » » » »	٣١٤	٣١٤
» » » » »	٣١٥	٣١٤
» » » » »	٣١٦	٣١٥
» » » » »	٣١٧	٣١٥
» » » » »	٣١٨	٣١٦
» » » » »	٣١٩	٣١٦
» » » » »	٣٢٠	٣١٦
» » » » »	٣٢١	٣١٧
» » » » »	٣٢٢	٣١٨
» » » » »	٣٢٣	٣١٨
» » » » »	٣٢٤	٣١٨
كتاب عبد العزيز بن عبد الله بن كرفة	٣٢٥	٣١٩

رقم الرسالة	رقم الصفحة	الرسالة
٣٢٦	٣٢٠	كتابه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وإلى السكوفة
» » » » » » » »	٣٢٠	» » » » » » » »
٣٢٨	٣٢٢	كتاب عبد الحميد بن عبد الرحمن إليه
٣٢٩	٣٢٢	رد عمر عليه
٣٣٠	٣٢٢	كتابه إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن
»	٣٢٣	إلى صالح بن عبد الرحمن وصاحبه
»	٣٢٣	إلى ابن أبي القرات
»	٣٢٤	إلى ميمون بن عمران عامله بالجزيرة
»	٣٢٤	إلى أمير الجزيرة
» » » »	٣٢٥	» » » »
»	٣٢٥	إلى يحيى بن يحيى عامله الموصل
»	٣٢٦	إلى جماعة من الخوربة
»	٣٢٧	إلى يحيى بن يحيى
»	٣٢٨	إلى أبي بكر بن حزم عامله بالمدينة
٣٢٠	٣٢٩	كتاب ابن حزم إليه
» » » »	٣٢٩	» » » »
» » » »	٣٣٠	» » » »
٣٤٣	٣٣٠	رد عمر على كتب ابن حزم
٣٤٤	٣٣١	كتاب إلى ابن حزم
»	٣٣٢	إلى أدير مكة
»	٣٣٣	إلى عروة بن ميمون له باليمن
»	٣٣٣	إلى عامله باليمن
٣٤٨	٣٣٣	كتاب رهب بن منبه إلى عمر

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رد عمر على كتابه	٣٤٩	٣٣٤
كتاباه إلى وإلى حمص	٣٥٠	٣٣٤
» إلى عامله بإفريقية	٣٥١	٣٣٤
» إلى يزيد بن المهلب عامل خراسان	٣٥٢	٣٣٥
كتاب الجراح بن عبد الله عامل خراسان إلى عمر	٣٥٣	٣٣٦
رد عمر عليه	٣٥٤	٣٣٦
كتاب عمر إلى الجراح بن عبد الله	٣٥٥	٣٣٦
كتاباه إلى الجراح	٣٥٦	٣٣٧
رد الجراح على كتابه	٣٥٧	٣٣٧
كتاباه إلى الجراح	٣٥٨	٣٣٨
رد الجراح على كتابه	٣٥٩	٣٣٨
كتاباه إلى الجراح	٣٦٠	٣٣٩
» إلى الجراح	٣٦١	٣٣٩
» إلى أهل خراسان	٣٦٢	٣٤٠
» إلى عبد الرحمن بن نعيم عامله بخراسان	٣٦٣	٣٤٠
» إلى عبد الرحمن بن نعيم	٣٦٤	٣٤١
» » » » » »	٣٦٥	٣٤١
» » » » » »	٣٦٦	٣٤١
كتاباه إلى عقبة بن زرعة	٣٦٧	٣٤٢
» إلى سليمان بن أبي السمري وإلى سمير قد	٣٦٨	٣٤٢
» » » » » »	٣٦٩	٣٤٣
» إلى حيان بن شريح	٣٧٠	٣٤٣
كتاب حيان بن شريح إليه	٣٧١	٣٤٤

الرسالة

رقم
الرسالة

٣٧٢	رده على حيان بن شريح	٣٤٤
٣٧٣	كتابه إلى عماله	٣٤٥
٣٧٤	ردهم عليه	٣٤٥
٣٧٥	رده عليهم	٣٤٥
٣٧٦	كتابه إلى بعض عماله	٣٤٥
٣٧٧	» » » »	٣٤٦
٣٧٨	كتاب إلى أحد عماله	٣٤٦
٣٧٩	» إلى عماله	٣٤٦
٣٨٠	» إلى بعض عماله	٣٤٧
٣٨١	» إلى عماله	٣٤٧
٣٨٢	» إلى زر بن بقر بن حيان	٣٤٧
٣٨٣	» إلى جعفر بن برقان	٣٨
٣٨٤	» إلى ثابت بن ثوبان	٣٤٨
٣٨٥	» إلى بعض عماله	٣٤٩
٣٨٦	» » » »	٣٤٩
٣٨٧	» » » »	٣٥٠
٣٨٨	» » » »	٣٥٠
٣٨٩	كتاب بعض عماله إليه	٣٥١
٣٩٠	رد عمر على كتبه	٣٥١
٣٩١	كتاب بعض عماله إليه	٣٥١
٣٩٢	رد عمر على كتبه	٣٥٢
٣٩٣	كتابه إلى بعض عماله	٣٥٢
٣٩٤	» إلى عماله	٣٥٢

الرسالة

رقم
الصفحة

٣٩٥	كتابه إلى عماله	٣٥٣
٣٩٦	كتاب أحد عماله إليه	٣٥٣
٣٩٧	رد عمر عليه	٣٥٣
٣٩٨	كتابه إلى بعض عماله	٣٥٤
٣٩٩	» إلى عماله	٣٥٥
٤٠٠	كتاب لعمر	٣٥٥
٤٠١	كتابه إلى أخ له	٣٥٥
٤٠٢	» إلى بعض أهل بيته	٣٥٦
٤٠٣	» إلى عمر بن عبد الله بن عتبة يعريه	٣٥٦
٤٠٤	» إلى رجاء بن حيوة	٣٥٦
٤٠٥	» لأهل العلم	٣٥٧
٤٠٦	» إلى حنن	٣٥٧
٤٠٧	» إلى بعض الأجناد	٣٥٧
٤٠٨	» إلى نفر كذبوا بالقدر	٣٦٠
٤٠٩	» إلى أهل المرسم	٣٦١
٤١٠	» بشأن كسوة البيت الحرام	٣٦٢
٤١١	» إلى الأسارى قسطنطينية	٣٦٢
٤١٢	رسالته إلى أهل البصرة في الأنبة	٣٦٣
	صورة أخرى	٣٦٤
٤١٣	كتابه إلى ابنه عبد الملك	٣٦٥
٤١٤	» » إلى ابنه يزيد بن عبد الملك	٣٦٦
٤١٥	» » يزيد	٣٦٧
٤١٦	» » »	٣٦٧

رقم الصفحة	رقم الرسالة	الرسالة
٣٦٨	٤١٧	كتابه إلى مؤدب ولده
٣٦٩	٤١٨	كتاب عمر بن الوليد بن عبد الملك إلى عمر بن عبد العزيز
٣٧٠	٤١٩	رد عمر على كتابه
٣٧٢	٤٢٠	كتابه حين توفي ابنه عبد الملك
٣٧٥	٤٢١	» إلى سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب
٣٧٥	٤٢٢	رد سالم على كتاب عمر
٣٧٨	٤٢٣	كتاب الحسن البصري إلى عمر (صعة الإمام العادل)
٣٨١	٤٢٤	رسالة الحسن البصري إلى عمر
٣٨٤	٤٢٥	كتاب الحسن البصري إلى عمر
٣٨٦	٤٢٦	» عمر إلى الحسن البصري
٣٨٦	٤٢٧	» الحسن البصري إلى عمر
٣٨٦	٤٢٨	» » » » »
٣٨٧	٤٢٩	» » » » »
٣٨٧	٤٣٠	» » » » »
٣٨٨	٤٣١	» » » » »
٣٨٨	٤٣٢	» » » » »
٣٨٩	٤٣٣	» » » » »
٣٨٩	٤٣٤	» » » » »
٣٨٩	٤٣٥	» » » » »
٣٩٠	٤٣٦	» » » » » عدى بن أرقطة
٣٩٠	٤٣٧	» » » » » مكحول
٣٩١	٤٣٨	» طائوس بن كيسان إلى عمر بن عبد العزيز
٣٩١	٤٣٩	» » » » » » » » » » »

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب غيلان إلى عمر بن عبد العزيز	٤٤٠	٣٩٢
خلافة يزيد بن عبد الملك		
كتاب به إلى العمال	٤٤١	٣٩٣
» إلى أخيه هشام	٤٤٢	٣٩٤
رد هشام عليه	٤٤٣	٣٩٤
رد يزيد على هشام	٤٤٤	٣٩٥
رواية أخرى		٣٩٦
خلافة هشام بن عبد الملك		
كتاب هشام إلى يوسف بن عمر	٤٤٥	٣٩٧
» حماد الراوية إلى بعض الرؤساء	٤٤٦	٣٩٩
رد كتاب حماد	٤٤٧	٤٠٠
رد حماد	٤٤٨	٤٠٠
كتاب حماد إلى صديق له	٤٤٩	٤٠٠
» أشرس بن عبد الله إلى ابن أبي العرطة	٤٥٠	٤٠١
» عاصم بن عبد الله إلى هشام	٤٥١	٤٠١
رسالة هشام إلى خالد بن عبد الله القسري	٤٥٢	٤٠٢
كتاب هشام إلى خالد القسري	٤٥٣	٤٠٩
» إلى ابن عمرو	٤٥٤	٤١٢
» » » » خالد	٤٥٥	٤١٤
» » » » »	٤٥٦	٤١٤
» » » » »	٤٥٧	٤١٥
رد خالد عليه	٤٥٨	٤١٥

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب عقال بن شبة إلى خالد	٤٥٩	٤١٦
» هشام إلى يوسف بن عمر الثقفي	٤٦٠	٤١٧
بين يوسف بن عمر وهشام	٤٦١	٤١٧
» » » » »	٤٦٢	٤١٩
كتاب هشام إلى يوسف بن عمر	٤٦٣	٤٢٠
» عبد الله بن الحسن إلى زيد بن علي	٤٦٤	٤٢١
» هشام إلى يوسف بن عمر	٤٦٥	٤٢٢
» سالم بن هشام إلى يوسف بن عمر	٤٦٦	٤٢٥
» يوسف بن عمر إلى هشام	٤٦٧	٤٢٦
» » » » »	٤٦٨	٤٢٧
رد هشام على يوسف	٤٦٩	٤٢٨
كتاب أحد عمال يوسف بن عمر إليه	٤٧٠	٤٢٨
» رجل من حمص إلى هشام	٤٧١	٤٢٩
» سليمان بن هشام إلى أبيه	٤٧٢	٤٢٩
رد هشام عليه	٤٧٣	٤٣٠
كتاب بعض عمال هشام إليه	٤٧٤	٤٣٠
رد هشام عليه	٤٧٥	٤٣١
كتابه إلى بعض عماله	٤٧٦	٤٣١
كتاب سام إلى بعض إخوانه	٤٧٧	٤٣١
كتابه في الاعتذار	٤٧٨	٤٣٢
كتاب عبد الحميد بن يحيى عن هشام إلى يوسف بن عمر	٤٧٩	٤٣٢
» عبد الحميد بن يحيى عن مروان إلى هشام	٤٨٠	٤٣٣
كتابه عن مروان إلى هشام	٤٨١	٤٢٤

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
رسالة عبد الحميد في وصف الإخاء	٤٨٢	٤٣٤
كتاب الوليد بن يزيد بن عبد الملك إلى هشام	٤٨٣	٤٣٨
كتاب أبي شاكر مسleme بن هشام إلى خالد القسرى	٤٨٤	٤٣٩
» هشام إلى الوليد	٤٨٥	٤٤٠
» الوليد إلى هشام	٤٨٦	٤٤١
رد هشام على الوليد	٤٨٧	٤٤٢
رد الوليد على هشام	٤٨٨	٤٤٥
خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك		
كتاب مروان بن محمد إلى الوليد	٤٨٩	٤٤٥
» الوليد إلى الأمصار بالبيعة لابنيه	٤٩٠	٤٤٨
» يوسف بن عمر إلى نصر بن سيار	٤٩١	٤٥٥
» الوليد إلى يوسف بن عمر	٤٩٢	٤٥٦
» » » » » »	٤٩٣	٤٥٧
» » » » » »	٤٩٤	٤٥٨
كتاب نصر بن سيار إلى الوليد	٤٩٥	٤٥٩
رد الوليد على نصر	٤٩٦	٤٦٠
كتاب مروان بن محمد إلى معيد بن عبد الملك بن مروان	٤٩٧	٤٦٠
خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك		
كتابه إلى مروان بن محمد	٤٩٨	٤٦٣
كتاب منصور بن جمهور إلى سليمان بن سليم	٤٩٩	٤٦٣
» يزيد إلى أهل العراق	٥٠٠	٤٦٥
» مردان بن محمد إلى الصخر بن يزيد	٥٠١	٤٦١

الرسالة	رقم الرسالة	رقم الصفحة
كتاب يزيد بالأمان للحارث بن سريج	٥٠٢	٤٦٩
» منصور بن عمر إلى نصر بن سيار	٥٠٣	٤٧٠
خلافة مروان بن محمد		
كتابه إلى بعض الخوارج	٥٠٤	٤٧١
رسالة عبد الحميد بن يحيى عن مروان إلى ابنه عبد الله بن مروان	٥٠٥	٤٧٣
» » » إلى الكتاب	٥٠٦	٥٣٤
» » » في الشطرنج	٥٠٧	٥٤٠
» » » في وصف الصيد	٥٠٨	٥٤٤
كتابه إلى أخيه	٥٠٩	٥٤٩
تحميد لعبد الحميد	٥١٠	٥٥٠
تحميد له في فتح	٥١١	٥٥١
وله في فتح	٥١٢	٥٥٢
تحميد له	٥١٣	٥٥٣
كتابه إلى مروان في حاجة	٥١٤	٥٥٤
» في الوصاة بشخص	٥١٥	٥٥٤
» في فتنة بعض العمال	٥١٦	٥٥٥
» عن مروان إلى بعض عماله	٥١٧	٥٥٦
الدعوة العباسية		
بين محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وبين من استجاب لدعوته	٥١٨	٥٥٧
من أهل خراسان		
كتاب إبراهيم بن محمد إلى شيعته بخراسان	٥١٩	٥٥٨

الرسالة	رقم الرسالة	رقم المصحة
كتاب إبراهيم بن محمد إلى أبي مسلم الخراساني وكتابه إلى سليمان بن كثير	٥٢٠	٥٥٩
كتاب أبي مسلم إلى نصر بن سيار	٥٢١	٥٦٠
» نصر بن سيار إلى مروان بن محمد	٥٢٢	٥٦١
» » » » » » » » » »	٥٢٣	٥٦١
رد مروان عليه	٥٢٤	٥٦٣
كتاب نصر إلى يزيد بن عمر بن هبيرة	٥٢٥	٥٦٣
كتب من أبي مسلم إلى قحطبة بن شبيب ، وكتب بين نصر بن سيار ومروان بن محمد وابن هبيرة	٥٢٦	٥٦٤
كتاب نصر إلى مروان	٥٢٧	٥٦٦
» عبد الحميد عن مروان إلى أبي مسلم الخراساني	٥٢٨	٥٦٨
رد أبي مسلم عليه	٥٢٩	٥٦٩
من رسالة لعبد الحميد عن مروان	٥٣٠	٥٦٩
كتاب عبد الحميد إلى أهله	٥٣١	٥٧٠
كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه	٥٣٢	٥٧١
كناهه إلى أبي مسلم الخراساني	٥٣٣	٥٧٢
التوقيعات		
توقيعات معاوية		٥٧٤
» يزيد بن معاوية		٥٧٦
» عبد الملك بن مروان		٥٧٧
» الوليد بن عبد الملك		٥٧٨
» سليمان بن عبد الملك		٥٧٩
» عمر بن عبد العزيز		٥٧٩

الرسالة

رقم
الصفحة

رقم
الرسالة

توقيعات يزيد بن عبد الملك	٥٨٢
» هشام بن عبد الملك	٥٨٢
» يزيد بن الوليد بن عبد الملك	٥٨٤
» مروان بن محمد	٥٨٤
» عبد الله بن علي	٥٨٥
» زياد	٥٨٦
» الحجاج بن يوسف	٥٨٩
» أبي مسلم الخراساني	٥٩١

فهرس أعلام الكتاب

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتباع اسم كل كاتب بأرقام الصفحات التي وردت فيها رسائله

ح	ا
الحارث بن عبد الله ١٠٩ ، ١١٠ ، حيب بن مسلمة ٤٤ ، ٤٥ ، الحجاج بن يوسف الثقفي ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ١٨٨ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٩ ، ٢٥٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٥٨٩ الحسن البصري ٢٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ الحسين بن علي رضي الله عنه ٣ ، ٦ ، ١٣ ، ١٢ ، ١٦ ، ٢٥ ، ٣٥ ، ٣٦ ، الحسين بن علي رضي الله عنه ١٩ ، ٢٠ ، ٢٣ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٧	إبراهيم الإمام ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، أبو بكر بن حزم ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، أبو خالد القناني ١٧٤ ، أبو مسلم الخراساني ٥٦٠ ، ٥٦٤ ، ٥٦٩ ، ٥٩١ أشروس بن عبد الله ٤٠١ أيوب بن القرية ٢١٩ ب البيخري بن أبي صفرة ٢٦٧ البراء بن قبيصة ٢٠٦ بسر بن أبي أرطاة ٢٧ بشر بن مروان ٢٧٠ ج الجراح بن عبد الله ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، الجزل بن سعيد ١٩٤

سليمان بن هشام بن عبد الملك ٤٢٩

ش

شبيب بن يزيد ١٨٩

شريح بن الحارث ٢٧٥

شريح بن هاني ٤٩

الشعبي ٢٦٥

ص

صالح بن مسرح ١٩٠

ط

طاوس بن كيسان ٣٩١

ع

السيدة عائشة ٥٢

عاصم بن عبد الله ٤٠١

عبد الحميد بن عبد الرحمن ٣٢٢

عبد الحميد بن يحيى ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ،

٤٣٥ ، ٤٧٣ ، ٥٣٤ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ،

٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ،

٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ،

٥٧٠

عبد الرحمن بن الأشعث ٢١٦ ، ٢١٩

عبد الرحمن بن سعيد بن قيس ١٢٧

عبد العزيز بن مروان ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٤

٢٧١

الحكم بن عمرو ٤٠

حماد الراوية ٣٩٩ ، ٤٠٠

حيان بن شريح ٣٤٤

خ

خالد بن أبان ١٥٨

خالد بن عبد الله بن أسيد ١٤٥ ، ١٤٨ ،

١٥٢

خالد بن عبد الله القسري ٤١٥

خالد بن عتاب ٢١٠

ز

زياد ابن أبيه ٢٧ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩

٤٠ ، ٤١ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٥٨٦

س

سالم أبو العلاء ٤٣١ ، ٤٣٢

سالم بن عبد الله بن عمر ٣٧٥

سالم بن هشام ٢٥ .

سبرة بن الجعد ١٧٦

سعد بن حذيفة ١١٦

سعيد بن العاص ٥٤ ، ٥٦ ، ٦٨

سفيان بن أبي العالية ١٩٢

سليمان بن صرد ١١٤ ، ١١٩

سليمان بن عبد الملك ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٦ ،

٢٩٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٥٧٩

المهلب بن أبي صفرة ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١٦٤ ،
١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٨٢ ،
١٨٣ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ٢٢٣ ، ٢٢٣ ،
٢٣٣

موسى بن نصير ١٥٩ ، ١٦١

ن

نافع بن الأزرق ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥

نجدة بن عامر ٩٨

نصر بن سيار ٤٥٩ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ،
٥٦٦

هـ

هشام بن إسْمَعِيل ٢٧٢

هشام بن عبد الملك ٣٩٤ ، ٣٩٧ ، ٤٠٢ ،

٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ،

٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢٢ ، ٤٢٨ ، ٤٣٠ ،

٤٣١ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٥٨٢

و

الوليد بن عبد الملك ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ،

٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٥٧٨

الوابد بن يزيد بن عبد الملك ٤٣٨ ، ٤٤١ ،

٤٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٦٠ ،

وهب بن منبه ٣٣٣

م

ماذر واسب ١٩٦ ، ٢٠١

المنثى بن مخربة ١١٧

محمد بن الحنفية ٢٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ،

المختار بن أبي عبيد الثقفي ١٢١ ، ١٢٣ ،

١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ،

١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ،

مروان بن محمد ٤٤٥ ، ٤٦٠ ، ٤٦٧ ، ٤٧١ ،

٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٨٤

مسلمة بن عبد الملك ٢٤٢ ، ٢٨٦ ،

مسلمة بن هشام بن عبد الملك ٤٣٩

مصعب بن الزبير ١١٢

مطرف بن المغيرة بن شعبة ٢٠٠ ، ٢٠٥ ،

المغيرة بن شعبة ٤١ ، ٤٣ ،

المفضل بن الهباب ٣٣٥

المستورد بن علفة ٤٣

مسلم بن عقبة ٩٥

مسلم بن عقيل ٧٨ ، ٨٢ ،

معاوية ٢ ، ٥ ، ٧ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٧٠ ،

١٨ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣١ ،

٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٠ ، ٥١ ،

٥٣ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٨ ،

٦٩ ، ٥٧٤

منصور بن جمهور ٤٦٣

منصور بن عمر ٤٧٠

ى

يزيد بن المهلب ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٣٠١	يزيد بن عبد الملك ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ٤٦٣ ،	٥٨٢ ، ٣٩٦
٥٨٤ ، ٤٦٩ ، ٤٦٥	يزيد بن معاوية ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٩٣ ،
يوسف بن عمر الثقفي ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢٦	٥٧٦ ، ٩٤
٤٥٥ ، ٤٢٧	

فهرس

معص ماورد فى الهامس من الموائد التى قد يحتاج القارىء إلى مراجعتها

٢٩	لا أُمُّ لك	٩٩	الشُّرَاة
٢٩	لا أُنالك	١٠٢	المعذرون
٤٦	أوتراب	١٠٤	الحكمة
٤٧	السَّبْيِيَّة	١١٣	تفرقوا سَدَرَمَذَر
٤٨	ركت الصُّلْبِيَاء	١٣١	وَيْلُهُ
٥١	لُكْمَةُ عبيد الله بن زياد	١٣٢	سجع المختار - مذهبه
٦١	قَسَطَ وأَقْسَطَ	١٣٩	حسن ابن الزبير لان الخنفية وسجن
٦٢	المُحِلُّ		عالم
٦٣	عمرو بن الحَمِق	١٤١	العصران
٦٤	اصطهاد بنى أمية أهل البيت	١٥٩	تنجيم الدين
٦٥	رحلتا قريش فى الجاهلية	١٦٦	نسب قميف
٦٦	محنة يزيد بن معاوية	١٦١	مَهْمِيم
٧٠	إسبات هاء السكت فى الوصل	١٧٣	حروب ضُرُوس
٧٦	الدَّوْلَةُ والدَّوْلَةُ	١٧٧	طبقات النسب
٨٨	حَجَّجَع هـ	١٧٧	مُرُون
٩١	مادهرى كندا ، ومادهرى كندا	١٧٨	عَلَاء - بَلْعَارْث - بَلْعَابِر
٩١	على قول	١٧١	أُم حَكِيم

- ١٨٣ الخلاف بين الأزارقة وكيد المهلب لهم
١٨٩ الخوارج الصُفْرية
٢٠٢ غَزَاة الخارِجِيَّة
٢٠٤ الحُرُورِيَّة
٢٢٦ سعيد بن جبير والحجاج
٢٣٤ الحجاج واللعن
٢٣٤ مَأْنَتْ بِأَبِي عُذْرَتِهِ
٢٥١ أَصَمُّ اللَّهِ صَدَاءُ
٢٥٤ أَوَّلُ مَا ظَهَرَ مِنْ أَمْرِ الْحَجَّاجِ
٢٥٤ يَابْنَ الْأَخْنَاءِ
٢٦٥ القارعة أم الحجاج
٢٦٦ كرم الحجاج
٢٧٢ سعيد بن المسيَّب
٢٨٤ اللَّهُ دَرُّهُ
٢٨٧ الحمراء والبيضاء
٢٩٠ عمل الحجاج قبل أن ينبه شأنه
٣٠٢ غصب سليمان بن عبد الملك على موسى
ابن نصير
٣١٦ القَدْرِيَّة
٣٢١ الدرهم في عهد عمر بن الخطاب
٣٢١ الآيين
٣٢١ المِهْرَحَان
٣٣١ فَدَكَ
- ٣٦٣ الطَّلَاءُ
٣٧٨ الحسن البصري
٣٩٠ مكحول بن عبد الله
٣٩٢ عَيْلَانُ الْقَدْرِيِّ
٤٠٣ أَطْعَمُونِي مَاءً
٤٠٥ خالد القَسْرِيُّ واتهامه في دينه
٤٠٦ خالد القسري ورأس الحِجَبَةِ
٤٠٧ نهر المبارك
٤٠٨ أَصْلُ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ
٤١٤ أم هشام بن عبد الملك وحمقها
٤١٨ خِنْذِفٌ وَقَيْسٌ ، تَقْيَسٌ وَتَخْنَدِفُ
٤١٨ بَلَّةُ
٤٢١ خذلان أهل الكوفة زيد بن علي
٤٢٢ إِحْطَامُ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
٤٢٦ الرُّصَافَةُ
٤٣٧ الْخَزَرُ
٤٤٤ اَرْبَعٌ عَلَى نَفْسِكَ
٤٤٤ اَرْقَاً عَلَى ظِلْعِكَ
٤٥٩ الْمُسَوَّدَةُ وَالْمُبَيَّضَةُ
٤٦١ التَّشْوِيسُ وَالتَّهْوِيسُ
٤٦٣ يَزِيدُ النَّاqِصُ
٤٦٨ كَانَ يَزِيدُ النَّاqِصُ قَدْرِيَا

- | | |
|---|---|
| ٥٦١ الجذع - أجدع | ٤٩٢ يَاهَنَاهُ |
| ٥٦٨ أَشْكُو إِلَى اللَّهِ عَجْرِي وَبَجْرِي | ٥٠٥ أَجْزَأُ مَجْزَاهُ وَأَغْنَى غَنَاهُ |
| ٤٣٢ ، ٥٧١ عبد الحميد بن يحيى الكاتب | ٥١١ سيف مشطَب ومشطوب |
| ٥٧٢ دعوة عبد الله بن معاوية بن عبد الله | ٥٤٢ الشُّطْرَنْج |
| ابن جعفر إلى نفسه | ٥٤٩ الخِصَائِصُ |
| ٥٧٢ الوصي | ٥٥٧ الشَّرَاةُ |
| ٥٨٩ مضطلع بالأمر ومطلع | ٥٥٨ أُوْ مُسْلِمُ الْحِرَاسَانِي أُولَيْتَهُ وَنَسَبَهُ |

الأمثال التي ورد شرحها في الهامش

٢٠٣ أحق من جبهة	٥ كباخرة عن حنفا بظلمها
٢٢٩ حتى يرجع الدر في الضرع	٢٣ أسعد أم سعيد ؟
٢٣١ قدح بن مقبل	٢٣ الحديث ذو شجون
٣٣٧ أم فرشت فأنامت	٢٣ سبق السيف العذل
٣٧١ التقت حلقتا البطان	٨٠ شق فلان العصا
٤٩٨ الحرب سجال	١٤٢ أحاديث الضبع استها
٥٧٥ عس رجبا ترعبا	١٦٣ كل مجر في الخلاء يسر
٥٨٥ يداك أوكنا وفوك ففخ	١٦٧ قلب له ظهر المجن

الخطا والصواب

أستطيع القراء المخذرة إذا أنا فصرت في إثبات جدول الخطأ والصواب في هذا الجزء ، لأن العمل أثقل كاهل ، فلم أجد فسحة من الوقت تمكنت من مراجعة ما قد يكون من الأخطاء ، وأكبر ظني أنها قليلة ضائلة يسهل عليهم ردها إلى نصابها ، وقد نظرت فيه نظرت عجل فوقع بصري عفوا في ص ١١٧ على كلمة « مبرزة » وهي خطأ ، وصوابها « مفرزة » .

